

كتاب الأذكياء

تصنيف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي

البغدادي

٥١٠ - ٥٩٧ هجرية





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صماً وأعينا عميا نشهد أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فجزاه الله عنا خير الجزاء.

أما بعد

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾

ثم أما بعد

فإن هذا الكتاب المسمى ﴿ **بالأذكياء** ﴾للامام الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى القرشى البغدادى .

قد حوى مسائل مهمة تتعلق بالذكاء والأذكياء فقد ذكر فيه فضل العقل وماهيته ومحله وذكر معنى الذهن والفهم والذكاء ، وعلامات الذكاء والذكى ، وذكر المنقول عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة وما نقل عن الأمم السابقة وذكر المنقول فى ذلك عن محمد ﷺ وما ورد عن أصحابه الكرام وغير ذلك كثير فى هذا الكتاب

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا والمسلمين بما فيه إنه على كل شيء قدير .

كتبه سعد كريم الفقى

نبذة عن المصنف

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن جعفر الجوزى نسبة إلى محلة فى البصرة تسمى محلة الجوز وقيل غير ذلك .

ولد فى بغداد سنة ٥١٠ هـ وتوفى أبوه وله من العمر ثلاث سنين فرعته أمه وعمته .

وقد أوتى حلاوة فى شمائله ورخامة فى النغمة وكان موزون الحركات لذيذ المفاكهة زاهدا فى الدنيا ولكنه لا يخلو من مجون لطيف ومداعبات حلوة .

توفى ابن الجوزى ليلة الجمعة الثانى عشر من شهر رمضان بين العشاءين سنة سبع وتسعين وخمسمائة بعد أن مرض خمسة أيام ودفن من الغد فى باب الحرب له مصنفات كثيرة منها :

أخبار النساء ، الأذكياء ، أخبار الظراف والمتماحنين وصفة الصفوة ، تاريخ عمر بن الخطاب ، تلبيس ابليس وغيرها كثير .

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق، ونعوذ به من كدر صفاء الفكر، وعكر ذهن الذهن، وصلى الله على المبعوث بجوامع الكلم إلى أعقل الأمم، وعلى جميع أتباعه والسائرين في منهاج أتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن أجل الأشياء موهبة العقل، فإنه الآلة في تحصيل معرفة الإله، وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب وتدرك الغوامض وتجمع الفضائل. ولما كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل، ويتباينون في تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم أحببت أن أجمع كتاباً في «أخبار الأذكياء» الذين قويت فطنتهم، وتوقد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم، وفي ذلك ثلاثة أغراض:

أحدها؛ معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني؛ تلقيح لباب السامعين إذا كان فيهم نوع إستعداد لنيل تلك المرتبة، وقد ثبت أن رؤية العاقل ومُخالطته تفيد ذا اللب، فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته كما قال الرضي:

فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أعي الديار بسمعي

وقد أنبأنا جماعة من أشياخنا قالوا: أخبرنا مضر بن محمد قال: سمعت يحي بن أكثم يقول: سمعت المأمون يقول لإبراهيم: لا شئ أطيب من النظر في عقول الرجال.

والثالث، تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسر عليه لحاقه، والله الموفق.

باب
في ذكر تراجم أبواب الكتاب
وهي ثلاثة وثلاثون باباً



الباب الأول
في ذكر فضل العقل

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد والقزاز، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أنه دخل على عائشة، فقال: يا أم المؤمنين! أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك؟ قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال: «أحسنهما عقلاً»، قلت: يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال يا عائشة: «إنما يُسئلان عن عقولهما فمن كان أعقل أفضل في الدنيا والآخرة».

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري، حدثنا محمد بن المسيب، حدثنا موسى بن سليمان، حدثنا بقية، حدثنا عبد الله بن عمرو، عن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة، عن نافع، عن ابن عمر قال. قال رسول الله ﷺ: «لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله».

أخبرنا محمد بن أبي منصور، أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشر، أخبرنا علي بن عمر الدار قطني، حدثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر، حدثنا جعفر الفيريابي، حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق، حدثنا

الحسن بن يحيى الخشني، عن أبي عبد الله مولى بن أمية عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: أكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت».

أخبرنا محمد بن أبي منصور، أخبرنا ابن المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أحمد بن الحرث، حدثنا جدي محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن ابن عباس قال: «لما خلق الله العقل قال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل. قال: وعزتي ما خلقت خلقاً قط أحسن منك، فبك أعطي وبك آخذ وبك أعاقب».

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا الحرث، عن أبي أسامة، حدثنا داود بن المجبر، حدثنا عباد كثير، عن ادريس، عن وهب بن منبه قال: إني وجدت فيما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته. وقال وهب: لأزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فهو أثقل على الشيطان من الجبال وأصعب من الحديد، وأنه ليزاوله

بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يستزله قال: يا ويله ماله ولهذا لا طاقة لي بهذا ويرفضه ويتحول إلى الجاهل، فيستأسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجلها في عاجل الدنيا، كالجلد والرجم والحلق وتسخيم الوجوه والقطع والصلب، وإن الرجلين ليستويان في أعمال البر، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر.

أنبأنا يحيى بن ثابت عن بندار، أخبرنا أبي، أخبرنا أبي على بن دوما، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أنبأنا اسحق بن بشر القرشي، أخبرنا إدريس، عن جده وهب بن منبه أن لقمان عليه السلام قال لابنه: «يا بني إعقل عن الله عز وجل، فإن أعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملاً وأن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده، يا بني ما عبد الله بشيء أفضل من العقل».

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد ابن عبد الله الحافظ، حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي، حدثنا وهيب، أخبرنا الجريري، عن أبي العلاء، عن مطرف أنه قال ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

أخبرنا محمد، أخبرنا أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن علي، حدثنا محمد بن الحسن بن الطفيل، حدثنا محمد بن أبي السري، حدثنا داود عن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما

يعطون يوم القيامة إلى على قدر عقولهم.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، أخبرنا صاعد بن سيار، أخبرنا أحمد بن سهل الفروجي، أخبرنا اسحق بن إبراهيم الحافظ إجازة، أخبرنا ...سن بن أحمد الفقيه، أخبرنا محمد بن المسيب، أخبرنا عبد الله بن ...ق، حدثنا عبد الله بن ضريس، عن أبي زكريا قال: إن الرجل ليتلذذ في الجنة بقدر عقله.

الباب الثاني
في ذكر ماهية العقل ومحله

نقل إبراهيم الحربي، عن أحمد بن حنبل أنه قال: العقل غريزة ومثله عن الحرث المحاسبي.

وروى: عن المحاسبي أيضاً أنه قال: هو نور. وقال آخرون: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات، وقال قوم: هو نوع من العلوم الضرورية، وهو العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. وقال آخرون: هو جوهر بسيط. وقال آخرون: هو جسم شفاف. وسئل أعرابي عن العقل فقال: لب اغتنمته بتجريب.

واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال هذا الاسم. أعني العقل ينطبق بالاشتراك على أربعة معان.

أحدها: الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء.

والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات.

والثالث: علوم تستفاد من التجارب تُسمى عقلاً.

والرابع: أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى

اللذة العاجلة، والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري. وقد شرحنا هذا وذكرنا فضائل العقل في كتابنا المُسمى «بمنهاج القاصدين» وهذه الإشارة تكفي هاهنا.

فصل

أما إشتقاق هذا الاسم أعني العقل؟ فقال ثعلب: أصله الامتناع. يقال: عقلت الناقة إذا منعتها من السير، وعقل بطن الرجل إذا حبس.

فصل

وأما محله؛ فنقل الفضل بن زياد، عن أحمد أن محله الدماغ، وهو قول أبي حنيفة. وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب، كما يروى عن الشافعي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[2] أي عقل. فعبر بالقلب عنه لأنه محله.

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٤٦.

(٢) سورة ق الآية رقم ٣٧.

الباب الثالث
في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء

حد الذهن: قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء. وحد الفهم: جودة التهيىء لهذه القوة، وحد الذكاء: جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير مهمل، فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه. وقال بعضهم: حد الذكاء سرعة الفهم وحدته، والبلادة: جموده وقال الزجاج: الذكاء في اللغة تمام الشيء، ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول، وذكيت النار إذا أتممت إشعالها.

أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء، وحدثنا عنه المبارك بن علي قال: أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين، أخبرنا اسماعيل بن سويد، أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: قولهم: فلان ذكي، معناه كامل الفطنة تامها، من قول العرب: قد ذكت النار تذكو إذا تم وقودها. ويقال: أذكيتها أنا إذا أتممت وقودها. ويقال: مسك ذكي إذا كان تام الطيب كامل نفاذ الريح.

قال جميل:

صادت فؤادي بعينها ومُبتسم ... كأنه حين أبدته لنا بُردُ
عذبٌ كأن ذكي المسك خالطه ... والزنجبيل وماء المُزن والشهدُ

ويقال، قد ذكيت الشاة إذا أتممت ذبحها، وبلغت الحد الواجب فيه.

قال الشاعر:

نعم هو ذكاها وأنت أضعتها ... وألهاك عنها خرفة وفطيم

والعرب تقول: جري المذكيات غلاب أي جري المسان مغالبة. وذلك أن المذكية من الخيل وهي التي تمت قوتها وشبابها. تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها وصلابتها، وأنها ليست كالجذاع والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها، فإنها لا تثبت ثبات المذكيات. وبعضهم يقول: جرى المذكيات غلاء. والغلاء: جمع غلوة وهو مدى الرمقة.

قال الشاعر في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة:

سَهْمُ الفؤادِ ذَكاؤُهُ ما مِثْلُه عِنْد العزيمةِ في الأنام ذَكَاءُ

وقال زهير في الذكاء الذي معناه تمام السن:

ويفضلها إذا اجتهدت عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود. والذكاء: تمام إتقاد النار مقصور يُكتب بالألف. قال الشاعر:

وتضرم في القلب اضطراماً كأنه ذكا النار ترفيه الرياح النوافخ

ويقال: مسك ذكي ومسك ذكية. والذي يذكر المسك يذكر، والذي يؤنث يقول ذهبت إلى الرائحة.

أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء.

لقد عاتَبَتْني بالشَّبابِ وثوبُها جديدٌ ومن أثوابها المسك تَنْفُحُ

وقد أراد به رائحة المسك.

قال ابن الأنباري: أخبرني أبي، أخبرنا أبو عفان المهزمي قال: المسك والعنبر يؤنثان ويُذكَّران.

الباب الرابع
في ذكر العلامات التي يستدل بها
على عقل العاقل وذكاء الذكي

قال مؤلف الكتاب هذه العلامات تنقسم قسمين: أحداهما من حيث الصورة، والثاني من حيث المعنى والأحوال والأفعال.

ذكر القسم الأول:

قال الحكماء: الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره، ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدة فهو مكار محتال لص، وأحمد العيون الشهل، وأذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد، وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود، ومن كان نحيف الوجه؛ فهو فهم مهتم بالأمور، واللطف في النحاف القصار أظهر، والمعتدلون في الطول صالحو الحال.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا الحسين بن علي بن نصر، حدثنا محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا ابن عياش، حدثنا الشعبي، حدثني عجلان قال لي زياد أدخل علي رجلاً عاقلاً. قلت: لا أعرف من تعني. قال: لا يخفى العاقل في وجهه وقده، فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان. قلت: أدخل، فدخل فقال زياد: يا هذا إني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك؟ قال: إني حاقن ولا رأي لحاقن.

قال: يا عجلان! أدخله المُتوضأ، فلما خرج قال: إني جائع ولا رأي لجائع. قال: يا عجلان! ائته بالطعام، فأتى به فطُعِمَ، ثم قال: سل عما بدا لك فما سأله عن شئ إلا وجد عنده بعض ما يريد.

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد. أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا عثمان بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين. قيل: ما هي؟ قال: استواء الخلق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

ذكر القسم الثاني وهو الإستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال

قال المؤلف: يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب، فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء، فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه.

أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبي، أخبرنا الحسن بن الحسين دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أخبرنا أبو حذيفة اسحق بن بشر القرشي، أخبرنا جعفر بن الحرث، عن شهر بن حوشب قال: قال أبو

الدرداء: ألا أنبئكم بعلامة العاقل؟ يتواضع لمن فوقه، ولا يزدري من دونه، يُمسك الفضل من منطقه، يخالق الناس بأخلاقهم ويحتجز الإيمان فيما بينه وبين ربه عز وجل، فهو يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان.

قال القرشي: وأخبرني إدريس، عن جده وهب بن منبه أن لقمان قال لابنه: يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال. الكبر منه مأمون والرشد فيه مأمول. يصيب من الدنيا القوت وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز. لا يسأم من طلب الفقه طول دهره، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه. والخصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وإنه شرهم، وإن رأى خيراً منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به، وإن رأى شراً منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا فهنالك حين استكمل العقل.

قال القرشي: وأخبرني عثمان بن عبد الرحمن، عن مكحول أن لقمان قال لابنه: غاية الشرف والسؤدد حسن العقل، ومن حسن عقله غطى ذلك جميع ذنوبه، وأصلح ذلك مساوئه ورضى عنه مولاه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي، أخبرنا محمد بن أبي بكر الوراق، حدثنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد الله المروزي، حدثنا شهاب بن الحسن العكبري، قال: سمعت الأصمعي يقول: سمعت أبان

بن جرير يقول: قال المهلب بن أبي صفرة: يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

الباب الخامس
في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة

معلوم أن فطن الأنبياء فوق الفطن، ولكنا أحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من شئ عنهم.

فمن المنقول عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: أنبأنا محمد ابن عبد الملك، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسين بن زرقويه، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، أخبرنا أبو حذيفة اسحق بن بشر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما رأت سارة ابراهيم قد شغف بأم اسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضواً من أعضاء هاجر، فبلغ ذلك هاجر، فلبست درعاً وجرت ذيلها، فهي أول نساء العالمين جرت الذيل، وانما فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة، فقال ابراهيم: هل لك في خير أن تعفي عنها وترضى بقضاء الله عز وجل؟ قالت: وكيف لي بما قد حلفت؟ قال: خفضيها، فتكون سُنة النساء وتبر يمينك. قالت: افعل. فخفضتها فمضت السُنة للنساء بالخفض منها.

أخبرنا عبد الأول، أنبأنا الداوودي، أخبرنا ابن أعين، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب السختياني وكُثَيِّر بن كُثَيِّر بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر، عن سعيد بن جبير قال، قال

ابن عباس: لما شب اسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء ابراهيم فلم يجد اسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه، فقال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغيِّرعتبة بابه، فلما جاء فأخبرته. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك إلحقي بأهلك.

قال المؤلف: وهذا الحديث يدل على فطنة إسماعيل أيضاً.

ومن المنقول عن سليمان عليه الصلاة والسلام: أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، اخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد بن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خرجت إمرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما، فأخذتا يختصمان في الصبي الباقي فاختصمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرتا على سليمان عليه السلام، فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة. فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظي منه لها، فقال: هو إبنك، فقضى به لها» أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن محمد بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن ادريس، حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان عليه السلام إلى مارد من مردة الجن فأتي به، فلما كان على

باب سليمان أخذ عوداً فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط، فوقع بين يدي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد، قال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا، قال: يقول اصنع ما شئت، فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي أخبرنا أحمد بن أحمد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول قال أبو هريرة: بينا سليمان بن داود عليه السلام يسعى في موكبه إذ مر بإمرأة تصيح بإبنها يالدين، فوقف سليمان وقال: إن دين الله ظاهر، فأرسل إلى المرأة، فسألها، فقالت: إن زوجها سافر وله شريك، فزعم شريكه أنه مات وأوصى إن ولدت غلاماً أن أسميه يالادين، فأرسل إلى الشريك فاعترف أنه قتله، فقتله سليمان عليه السلام.

حدثنا محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل إلى سليمان النبي ﷺ فقال: يا نبي الله! إن لي جيراناً يسرقون إوزي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال في خطبته: واحدكم يسرق إوز جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل برأسه فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام: أن ابليس جاء اليه، فقال له: ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال: بلى، قال: فارم بنفسك من هذا الجبل، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون إن لله عز وجل أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل.

الباب السادس
في سياق المنقول من ذلك
عن الأمم السالفة

فمن المنقول عن لقمان، حدثنا مكحول أن لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني اسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش. يعني نصف مثقال، وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يُقامر عليه، وكان على بابه نهر جار، فلعب يوماً بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه، وان هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك قال: فقُمِر سيد لقمان، فقال له القامر: اشرب ما في النهر وإلا فافتد منه، قال: فسلني الفداء. قال عينيك افقؤهما أو جميع ما تملك، قال: امهلني يومي هذا، قال: لك ذلك، قال: فأمسى كئيباً حزيناً إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمة على ظهره، فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده: ما لي أراك كئيباً حزيناً فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجاً فقص عليه القصة، فقال له لقمان: لا تغتم فإن لك عندي فرجاً، قال: وما هو؟ قال: إذا أتاك الرجل فقال لك اشرب ما في النهر، فقل له: أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد، فإنه سيقول لك اشرب ما بين الضفتين، فإذا قال لك ذلك، فقل له احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما

ضمنت له، فعرف سيده أنه قد صدق، فطابت نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له: فـِ لي بشرطي، قال له: نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد، قال: لا بل ما بين الضفتين، قال: فاحبس عني المد، قال: كيف أستطيع؟ قال: فخصمه، قال: فأعتقه مولاه.

حدثنا محمد بن اسحق قال، قال لقمان لابنه يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.

ومن ذلك ما نقل عن عبد الله بن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العرم: حدثنا الضحاك، عن ابن عباس: لقد كان لسبأ في مساكنهم آية، قال: كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاءً ولا صيفاً، فكفروا ما أنعم الله عليهم، فأرسل عليهم سيل العرم فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جرذاً له مخاليب وأنياب من حديد، فأول من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزدي، فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد، فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل الى بنيه، فقال: هل ترون ما رأينا؟ قالوا: نعم. قال: فان هذا الأمر ليس لنا اليه سبيل إضمحلت الحيل فيه، لأن الأمر لله وقد أذن في هلاكه، فأتى بهرة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة، فلما رأت الهرة ذلك ولّت هاربة، فقال عبد الله: احتالوا لأنفسكم. قالوا: يا أبت كيف نحتال؟ قال: اني محتال لكم بحيلة قال، فدعا أصغر بنيه ثم قال له: إذا جلست اليوم في المجلس، وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه، فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليغفل عنه، فإذا شتمته فليهم إلى فليلطمني ولا تتغيروا

أنتم عليه، فإذا رأى الجلساء انكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسر أحد منهم أن يتغير عليه، فأحلف أنا عند ذلك يميناً لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إلىّ اصغر بني فلطمني، فلم يتغيروا عليه لذلك قالوا نفعل.

فلما راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه، ثم أمره فلهى عنه فشتمه، فقام اليه فلطم وجهه، فعجبوا من جرأة ابنه، فنكسوا رؤوسهم وظنوا أن ولده يتغيرون عليه، فلما لم يتغير أحد منهم قام الشيخ، فحلف أن يتحول عنهم ويستبدلوا بداره، فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على ابنه، فقام القوم معتذرين، وقالوا: أما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون، فذلك الذي منعنا. قال: قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحويل سبيل، فعرض ضياعه على البيع، وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله فتحول عنهم، فلم يلبث القوم إلا قليلاً حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله، فلم يُفاجئ القوم ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل قد أقبل، فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم. وقد جاءت أخبار عن القدماء ستراها في أبوابها ان شاء الله تعالى.

الباب السابع
في سياق المنقول من ذلك عن نبينا ﷺ
كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه، فذلك كثير وليس هو مرادنا ههنا. إنما المراد القسم الأول.

أخبرنا حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط. فأما القرشي فأفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم أن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ فقال: عشراً لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف كل جزور لمائة وتبعها.

أخبرنا كعب بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزاة يغزوها إلا وري بغيرها» أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا أبو سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إن الله عز وجل يعرض بالخمر سينزل فيها أمراً فَمَنْ كان عنده منها شئ فليبعه فلينتفع به» قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال ﷺ: «إن الله عز وجل حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شئ، فلا يشربه ولا يبيع فاستقبل الناس بما كان عندهم منها

طرق المدينة فسفكوها» انفرد بإخراجه مسلم.

أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف».

حدثنا أبو هريرة قال، قال رجل: يا رسول الله! إن لي جار يؤذيني فقال: «إنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق» فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهم إلعنه. اللهم اخزه، فبلغه فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك.

حدثنا زيد بن أسلم، أن رجلاً قال لحذيفة يا حذيفة: نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ما تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون. لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة، وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بالعرصة، فقال رسول الله ﷺ: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة» فما قام منا أحد، ثم قال: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة» فوالله ما قام منا أحد. فقال: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي يوم القيامة». فوالله ما قام أحد منا.فقال أبو بكر: يا رسول الله! ابعث حذيفة. فقال رسول الله ﷺ: «يا حذيفة» فقلت: لبيك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «هل أنت ذاهب» فقلت: والله

مـا بي أن أقتل، ولكنني أخشى أن أؤسر. فقـال: «إنـك لـن تؤسـر» فقلت: مرني يا رسول الله بما شئت. فقال: «إذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشاً فقل يا معشر قريش إنما يريد الناس إذا كـان غـداً أن يقولـوا أيـن قريـش، أيـن قـادة النـاس، أيـن رؤوس النـاس، فيقدمونكم، فتصلون القتال فيكون القتل بكـم، ثـم ائـت قيساً فقـل يـا معشر قيس! إنمـا يريـد النـاس إذا كـان غـداً أن يقولـوا: أيـن أحـلاس الخيل، أين الفرسان، فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم».

فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم، فجعلت اصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلـك الحديـث الـذي أمرنـي بـه، حتى إذا كان وجاء السحر قام أبو سفيان فدعا اللات والعزى وأشرك، ثم قـال: لينظر كـل رجـل مـن جليسه ومعي رجـل منهـم يصطلي على النـار، فوثبت عليه فأخذت بيده مخافة أن يأخذني، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فـلان بـن فـلان. فقلـت أولى، فلمـا دنـا الصبـح نـادوا: أين قريـش أيـن رؤوس الناس؟ فقالوا: هات الذي أتيتنا به البارحـة أين بنو كنانة أين الرماة فقالوا: هات الذي أتيتنا به البارحة، فتخاذلوا وبعث الله عليهم تلك الليلة الريح، فمـا تركـت لهـم بنـاء إلا هدمتـه ولا إنـاء إلا أكفأتـه، حتى لقد رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول، فجعل يسحبه ولا يستطيع أن يقـوم، فجئـت رسـول الله ﷺ، فجعلـت أخبره عـن أبـي سفيان، فجعل يضحك حتى بدت نواجذه وجعلت أنظر إلى أنيابه.

عن عاصم الأحول، عـن الحسـن أن رجـلاً أتـى رسـول الله ﷺ برجل قد قتل حميماً له، فقال له النبي ﷺ: «أتأخذ الدية»؟ قال: لا.

قال: «أفتعفو». قال: لا. قال: «إذهب فاقتلـه». فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ: «إن قتله فهو مثله». قـال: فلحق الرجـل رجـل فقال له: إن رسول الله ﷺ قال كذا، فتركه وهو يجر نسعه في عنقه.

قال ابن قتيبة لم يرد رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم واستيجاب النار إن قتله. وكيف يريد هذا وقد أباح الله عز وجل قتله بالقصـاص، ولكن كره رسول الله أن يقتص وأحب لـه العفـو، فعـرض تعريضـاً أوهمه به أنه إن قتله كـان مثله في الإثـم ليعفـو عنـه، وكـان مـراده أنـه يقتل نفساً كما قتل الأول نفساً، فهذا قاتل وهذا قـاتل، فقـد استويا في قاتل وقاتل. إلا أن الأول ظالم والآخر مقتص.

قال مؤلف الكتاب: وفي حديث رسول الله ﷺ من هـذا كثير خصوصاً في المعاريض، فلنقتصر على هذه النبذة.

الباب الثامن
في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم أجمعين

فمن المنقول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حدثنا ثابت عن أنس قال: لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله يركب، وأبو بكر رديفه. وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام، فكان يمر بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هاد يهديني.

حدثنا الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول: دليل يدلني الطريق. وصدق والله أبو بكر.

حدثنا الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر الناس، فقال: «إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل». قال: فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به.

ومن المنقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا أسلم، عن أبيه قال: قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس، فرأى فيها حلة رديئة. فقال: كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحد لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها؟ قال: فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس.

قال: فدخل الزبير بن العوام، وهو تلك الحال قال، فجعل ينظر إلى تلك الحلة فقال له: ما هذه الحلة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ما هيه ما هيه ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطينيها. قال: إنك لا ترضاها. قال: بلى قد رضيتها. فلما توثق منه، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردها رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة، فقال: لا أريدها. فقال عمر: أيهات قد فرغت منها، فأجازها عليه وأبى أن يقبلها منه.

حدثنا بريد بن جرير، عن أبيه، عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم: سر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاء إدعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب عمر صدق جرير قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين.

أخبرنا نافع، عن ابن عمر قال: بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلاً، فقال: قد كنت مرة ذا فراسة وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئاً ادعوه لي، فدعوه فقال: هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً؟ قال: نعم.

وقد روينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء وكره أن يقول

يا أهل النار. وهذا من غاية الذكاء.

وروينا عنه أنه قال لرجل عرس هل كان؟ فقال: لا أطال الله بقاك. فقال عمر: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت لا وأطال الله بقاك.

ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام: عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فأطراه وكان بغضه، فقال له: إني ليس كما تقول وأنا فوق ما في نفسك.

حدثنا عبد الله بن سلمة قال: سمعت علياً يقول بمسكن: لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر قال، فأتيت أبا مسعود البدري، فأخبرته أن علياً يورد الأمور مواردها لا يحسنون يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست، إنما حوله زغيبات أو قال شعيرات.

اخبرنا سماك بن حرب، عن خنبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفيعها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولاً، فجاء احدهما إليها، فقال: إن صاحبي قد مات، فادفعي إليّ الدنانير، فأبت وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك، فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر، فقال ادفعي إلى الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءني، فزعم أنك مت فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب، فأراد أن يقضي عليها، فقالت: أنشدك الله أن تقضي بيننا إرفعنا إلى علي، فرفعهما إلى

علي وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

أخبرنا محمد، عن أبيه، عن علي أنه جئ برجل حلف، فقال: إمرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضان نهاراً، فقال: تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً.

ومن المنقول، عن الحسن بن علي عليهما السلام. قال مؤلف الكتاب: قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل قال: لما جئ بابن ملجم إلى الحسن قال له: أريد أن أسارك بكلمة، فأبى الحسن وقال: إنه يريد أن يعض أذني، فقال ابن ملجم: والله لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه.

قال ابن عقيل: إنظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد، وإنظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استرداد غشه.

ومن المنقول عن الحسين عليه السلام: أخبرنا إبراهيم بن رباح الموصلي قال: يروى أن رجلاً إدعى على الحسين بن علي مالاً وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين: ليحلف على ما إدعى ويأخذه، فقال الرجل: والله الذي لا إله إلا هو، فقال: قل والله والله والله إن هذا الذي تدعيه لك قبلي، ففعل الرجل وقام، فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً. فقل للحسين في ذلك، فقال: كرهت أن يُمجد الله فيحلم عنه.

ومن المنقول عن العباس عليه السلام: أخبرنا أبو رزين قال: سئل

العباس أنت أكبر أم النبي ﷺ؟. فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس بن عبد المطلب وهو أسير في وثاقه: أنه لا يصلح لك. قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

أخبرنا مجاهد قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحاً فقال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فاستحيا الرجل ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحيي من الحق، فقال العباس: ألا نقوم مرسلاً، ووصله عنه محمد بن مصعب القرساني، فقال عن مجاهد، عن ابن عباس. وقد جرى مثل هذه القضية عند عمر رضي الله عنه، عن الشعبي أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد عمر ريحاً فقال: عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين: أو يتوضأ القوم جميعاً. فقال عمر: رحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

ومن المنقول عن عبد الله بن جعفر: أخبرنا أبو مليك قال، قال ابن الزبير لابن جعفر: «أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ فقال: نعم، فحملنا وتركك»؟ أخرجاه في الصحيحين.

وقد روي لنا هذا بالعكس عن عبد الله بن أبي مليكة قال، قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير:«أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم، فحملنا وتركك»؟ انفرد باخراج هذا مسلم.

قال مؤلف الكتاب: والظاهر أنه انقلب على الراوي، وعلى هذا تكون الغبطة لابن الزبير.

ومن المنقول عن عبد الله بن رواحة: حدثنا عكرمة مولى ابن عباس أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب إمرأة، فخرج إلى الحجرة فواقع جارية له فاستنبهت المرأة فلم تره فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت فأخذت شفرة، فلقيها ومعها الشفرة، فقال لها: مهيم؟ فقالت: مهيم. أما أني لو وجدتك حيث كنت لوجأتك بها. قال: وأين؟ قالت: على بطن الجارية. قال: ما كنت. قالت: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب، فقال: إقرأ، فقال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح منشورٌ مِنَ الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به مُوقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استُثقِلت بالكافرين المضاجع

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري. قال: فغدوت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فضحك حتى بدت نواجذه.

ومن المنقول عن محمد بن مسلمة، عن عمرو بن دينار سمع جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله»؟. فقال له محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: أنا له يا رسول الله. فائذن لي أن أقول قال: قل، فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة، وقد عنانا وقد مللنا منه. قال الخبيث لما سمعها: والله لتملنه أو لتملن

منه، وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا. قال: إنا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل، وإنا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمراً. قال: نعم على أن ترهنوني نساءكم قال محمد: أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأولادكم. قال: فيعير الناس أولادنا بأنا رهناهم بوسق أو وسقين، وربما قال: فيسب إبن أحدنا، فيقال برهن وسق أو وسقين. قال: فأي شيء ترهنوني؟ قال: نرهنك اللامة يعني السلاح. قال: نعم، فواعده أن يأتيه، فرجع محمد إلى أصحابه فأقبل وأقبل معه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، وجاء معه برجلين آخرين، فقال: إني مستمكن من رمته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل، فجاؤوه ليلاً فأمر أصحابه، فقاموا في ظل النخل، وأتاه محمد فناداه، فقالت إمرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلة، فنزل إليه ملتحفاً في ثوب واحد وينفح منه ريح الطيب، فقال محمد: ما أحسن جسدك وأطيب ريحك. قال: إن عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب. قال: افتأذن لي أن أشمه؟ قال: نعم. قال: فادخل محمد يده في رأسه فشمه، ثم قال: أتأذن لي أن أشمه أصحابي؟ قال: نعم. فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قبضاً، ثم قال لأصحابه دونكم عدو الله، فخرجوا عليه فقتلوه ثم أتي رسول الله ﷺ فأخبره.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من اليهود ليقتله، فقال: يا رسول الله إني لن أستطيع ذلك. إلا أن تأذن لي. فقال رسول الله ﷺ: «إنما الحرب خدعة فاصنع ما تريد».

قال مؤلف الكتاب: قلت، وقد روينا عن الضحاك في اغتيالهم أبا رافع اليهودي ما يقارب هذه القصة، فلم نر التطويل بذكرها.

ومن المنقول، عن سويبط بن سعد بن حرملة، وقد شهد بدراً، عن وهب بن عبد الله بن زمعة قال: أخبرتنا أم سلمة قالت: خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت رسول الله ﷺ بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكانا قد شهدا بدراً، وكان نعيمان على الزاد وكان سويبط رجلاً مزاحاً، فقال النعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر. قال: أما لأغيظنك. قال: فمروا بقوم فقال لهم سويبط: أتشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم. قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم إني حر، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه، فلا تفسدوا عليَّ عبدي. قالوا: لا، بل نشتريه منك. قال: فاشتروه بعشر قلائص. قال: ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً، فقال نعيمان: إن هذا يستهزئ بكم إني حر ولست بعبد. فقالوا: أخبرنا بخبرك فانطلقوا به، فجاء أبو بكر فأخبره بذلك، فأتبع القوم فرد عليهم القلائص، وأخذ نعيمان، فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حولاً.

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان، أخبرنا المدائني، عن ربيعة بن ناجد قال: قيل لمعاوية بن أبي سفيان: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما وثقت بأحد قط.

وقال ثعلب: نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمحها فاستوت، ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت

فلمحها فاستوت، فقال لـه رجـل مـن أصحابـه: أهـذا كنـت دبرتـه مـن زمن عثمان؟ فقـال: هـذا والله كنت دبرتـه مـن زمـن عمـر رضـي الله عنهم.

قـال مؤلـف الكتـاب: وبلغنـا أن رجـلاً جـاء إلى حـاجب معاويـة فقال له: قل له على الباب أخوك لأبيك وأمك، ثـم قـال لـه مـا أعـرف هذا، ثم قال ائذن له فدخل، فقال له: أي الأخوة أنت؟ فقال: ابـن آدم وحواء. فقال يا غلام: أعطه درهماً. فقال: تعطي أخـاك لأبيـك وأمـك درهماً. فقال: لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

ومن المنقول عن حذيفة بن اليمـان، حدثنـا كعـب القرظـي قـال: قال فتى منا لحذيفة: رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: والله لـو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض. قال حذيفة: دعاني رسـول الله ﷺ ونحن بالخندق قال: اذهب فاجلس في القوم، فانظر ماذا يفعلـون، فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل في جنود الله عز وجل ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا ماء، فقام أبـو سـفيان بـن حـرب فقـال: يـا معشر قريش! لينظر كل امرئ من يجالس، فقـال حذيفـة: فـأخذت بيـد الرجل الذي إلى جنبي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان.

ومـن المنقـول عـن المغيرة بـن شـعبة، عـن أبي اسـحاق، عـن أبـي الخليل قال: أخبرنا علي قال: كان للمغيرة رمـح، فكنـا إذا خرجنـا مـع رسـول الله ﷺ في غـزاة خـرج بـه معـه، فـيركزه فيمـر النـاس عليـه فيحملونه، فقلت: لئن أتيت على النبي ﷺ لأخبرنـه، فقـال: إنـك إن فعلت لم ترفع ضالة.

حدثنا زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه. قال: فعزل عنهم. قال: فخافوا أن يرد عليهم، فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم لم يرد علينا. قالوا: أمرنا بأمرك. قال: تجمعون مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول إن المغيرة اختار هذا فدفعه إلى. قال: فجمعوا له مائة ألف درهم. قال: فأتى عمر فقال: إن المغيرة إختار هذا ودفعه إليّ. قال: فدعا عمر المغيرة فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب أصلحك الله إنما كانت مائتي ألف. قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة. قال فقال عمر للعلج: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنك أصلحك الله والله ما دفع إليّ قليلاً ولا كثيراً. قال فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا العلج؟ قال: الخبيث كذب عليَّ فأحببت أن أخزيه.

حدثنا مسلم بن صبيح الكوفي قال: سمعت أبي يقول: خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى طريراً جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة فقالت: إنكما خطبتماني ولست أجيب أحد منكما دون أن أراه وأسمع كلامه، فاحضرا إن شئتما، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها، وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى فقال له: لقد أوتيت جمالاً وحسناً وبياناً، فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم. فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال: ما يسقط عليَّ منه شئ وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة. فقال له المغيرة: لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما

يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من هذا الذي يحصي عليَّ مثل صغير الخردل، فتزوجت المغيرة.

ومن المنقول عن عمرو بن العاص: قال ابن الكلبي: لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة، فبعث إليه علجها ان أرسل إلي رجلاً من أصحابك أكلمه، ففكر عمرو، فقال: ما لهذا العلج أحد غيري، فقام حتى دخل على العلج فكلمه، فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط، فقال له العلج: حدثني هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هواني عندهم إذ بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني، فلا يدرون ما تصنع بي. قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه. فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فرجع، فقال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد. قال: صدقت. أعجل بهم وبعث إلى البواب خلِّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له: أنت هو. قال: على ما كان من غدرك.

ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت، عن الزهري قال: أخبرنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه أن النبي ﷺ ابتاع فرساً

من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته. فقام النبي ﷺ فقال: «أليس قد ابتعته منك»؟ قال: لا. فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني قد بايعتك، فمن جاء من المسلمين، قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لا يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد إني قد بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد»؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لخزيمة: «لم تشهد ولم تكن معنا»؟ قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء، أفلا أصدقك بما تقول؟.

ومن المنقول عن الحجاج بن علاط، عن معمر، عن ثابت البناني قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله: إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك أو

قلت شيئاً، فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم، وفشا ذلك بمكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون سروراً وفرحاً قال: وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب، فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر وأخبرني عثمان الجرزي، عن مقسم قال: فأخذ ابناً له كان يشبه برسول الله ﷺ، فقال له: قم واستلقي، فوضعه على صدره وجعل يقول: حبي قثم ذي الأنف الأشم، ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط فقال له: ويلك ماذا جئت به، وماذا تقول؟ ما وعد الله خير مما جئت به. قال: فقال الحجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له: ليخل لي بعض بيوته لأتيه فإن الخبر على ما يسره. قال: فجاءه غلامه فلما بلغ الباب قال: أبشر يا أبا الفضل. قال: فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه.

قال: ثم جاء الحجاج، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى صفية بنت حيي واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة، ولكني جئت لمالي كان ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فدفعته إليه، ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق

علينا الذي بلغك. قال: أجل. لا يحزنني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله، وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً، قال: فإني والله صادق والأمر على ما أخبرتك.

قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل. قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله، وجرت سهام الله فيهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه. وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ما له وما كان له من شئ ههنا ثم يذهب. فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مكتئباً حتى دخل أبو الفضل العباس، فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون ورد الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال: أخبرنا ابن اسحق قال: بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نعيم بن مسعود رسول الله ﷺ فحدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي، مرني أمرك. فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت منا رجل واحد، فحدّث عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة». فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم: يا معشر قريظة، وكان لهم

نديماً في الجاهلية، إني لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك. قالوا: صدقت. قال: تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم به أموالكم ونسائكم وأبناءكم، وإن قريشاً وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة إنتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به، ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمد. فقالوا: «لقد أشرت برأي ونصح، ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش، فقال: يا معشر قريش، إنكم قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمد أو دينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي. فقالوا: نفعل، ما أنت عندنا بمتهم. فقال: تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، فبعثوا إليه: ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهناً من أشرافهم، فندفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك؟ فقال: بلى، فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم، فلا تعطوهم رجلاً واحداً فاحذروا. ثم جاء غطفان، فقال: يا معشر غطفان، قد علمتم إني رجل منكم. قالوا صدقت، فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش، فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش: إن أبا سفيان يقول لكم يا معشر يهود إن الكراع والخف قد هلكا إنا لسنا بدار مقام، فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه، فبعثوا إليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من

رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمداً. فقال أبو سفيان: قد والله حذرنا نعيم، فبعث إليهم أبو سفيان إنا لا نعطيكم رجلاً واحداً، فإن شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا، فقالت يهود: هذا والله الذي قال لنا نعيم. والله ما أراد القوم إلا أن يقاتلوا محمداً فإن أصابوا فرصة إنتهزوها وإلاّ مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل، فبعثوا إليهم: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا، فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان، فخذلهم الله عز وجل.

ومن المنقول عن الأشعث بن قيس، عن الهيثم بن عدي قال: أخبرنا ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنه ام عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني، فقال: فوقي أمير ذو أمرة يعني أمها. فقال: قم فوامرها، فخرج من عنده، ولقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها قال: ومن ذلك؟ قال: محمد بن الأشعث. قال: قد زوجته، ودخل الأشعث. على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم. قال: فهل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً. قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس. قال: قد قاولنا رجلاً. قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل. قال: إنه قد فارقني ليؤامر أمها. فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث. قال: متى؟ قال: الساعة بالباب. قال: فزوج الحسن جعدة،

فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور، خدعتني. قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول الله ﷺ. ألست أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث.

ومن المنقول عن وحشي بن حرب، عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار قال: حدثنا جعفر بن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فقال لي: هل لك في وحشي، فجئنا حتى وقفنا عليه، فسلمنا فرد السلام، وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشي، أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا والله إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج إمرأة فولدت له غلاماً فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إيه، فكأني نظرت إلى قدميه.

الباب التاسع
في سياق المنقول من ذلك عن الخلفاء رضي الله عنهم

قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا طرفاً عن أبي بكر الصديق وعمر وعلي والحسن والحسين ومعاوية وابن الزبير، ونحن نذكر طرفاً مما نقل إلينا عمن بعدهم من الخلفاء والله الموفق.

فمن المنقول عن عبد الملك بن مروان: أخبرنا ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: وجه عبد الملك بن مروان عامر الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك، فأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما احتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة، فرجع فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبد الملك قال: فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا. أفتدري لِمَ كتب إلي بمثل هذا؟ فقال: لا. فقال: حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في الملك، فقال: لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك.

ومن المنقول عن هشام بن عبد الملك، قال هشام لمؤدب ولده:

إذا سمعت منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة، فلا تؤنبه لتخجله وعسى أن يبصر خطأه فيكون بصر للخطأ أقبح من ابتدائه به، ولكن احفظها عليه فإذا خلا فرده عنها.

ومن المنقول عن السفاح أخبرنا سعيد الباهلي عن أبيه قال: حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحسد ما كان لبني هاشم والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبد الله بن حسين بن حسن ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس أن يجعل السفاح بشئ إليه ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أو يعيا لجوابه، فيكون ذلك نقصاً عليه وعاراً، فأقبل إليه غير مغضب ولا منزعج فقال: إن جدك علياً كان خيراً مني وأعدل ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين، وكانا خيراً منك شيئاً، وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، فما رد عبد الله إليه جواباً وانصرف والناس يعجبون من جوابه له.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: أول خطبة خطبها السفاح في قرية يقال لها العباسية، فلما صار إلى موضع الشهادة من الخطبة قال رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف، فقال: أذكرك الله الذي ذكرته ألا أنصفتني من خصمي وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف، فقال له: ومن ظلمك؟ قال: أبو بكر الذي منع فاطمة فدكاً. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم. قال: مَن؟ قال: عمر. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال:

نعم. قال: مَن؟ قال: عثمان. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال نعم. قال: مَنْ؟ قال: علي. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: فأسكت الرجل وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مخلصاً، فقال له: والله الذي لا إله إلا هو لولا أنه أول مقام قمته، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عيناك أقعد وأقبل على الخطبة.

ومن المنقول عن المنصور؛ قال اسماعيل بن محمد قال: دخل ابن هرمة على أبي جعفر، فأنشده فقال: سل حاجتك. قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني. قال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله. قال: ما لي حاجة غير ذلك. قال: اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران، فأجلده ثمانين وأجلد الذي جاء به مائة. قال: فكان الشرطة يمرون به وهو سكران، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة، فيمرون ويتركونه.

وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليقاً، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة. قال: أفبكرٌ هي تزوجتها؟ قال: لا. قال: فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مسنة؟ قال: بل حديثة، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حاد الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه وقال له: تطيّب من

هذا الطيب، فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصرر لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن مر بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب وأشمهم منه، فليأتني به. وخرج الرجل بالطيب، فدفعه إلى إمرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تُحبه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومر مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال: اشتريته. قال: أخبرنا ممن اشتريته، فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء، وإن امتنع فأضربه ألف سوط من غير مؤامرة. فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته، فقال: هول عليه وجرده ولا تقومن بضربه حتى تؤامرني، فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير، فقال له: رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في إمرأتك؟ قال: نعم. قال: فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبر [illegible].

عن يعقوب بن جعفر أنه قال: ومما [illegible] يؤثر في ذكاء المنصور أنه دخل مدينة، فقال للربيع: اطلب لي رجلا يُعرفني دور الناس، فإني أحب أن أعرف ذلك، فجاء برجل يعرفه إلا أنه لا يبدؤه حتى يسأل المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب بها الرجل الربيع

فقال: ما قال لي شيئاً وأنا أهب لك ألفاً من عندي وسيركب فاذكره، فركب معه، فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعاً للكلام، فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعراً:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذقُ اللسان يقولُ ما لا يفعلُ

ثم إنه أراد الامضاء، فضحك وقال: يا ربيع، أعطه الألف درهم الذي وعدته وألفاً آخر.

وعن مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: خلا أبو جعفر يوماً مع يزيد بن أبي أسيد، فقال: يا يزيد، ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: أرى أن تقتله وتقرب إلى الله بدنه، فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي، فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي علي، ثم قال: قطع الله لسانك وأشمت بك عدوك أتشير علي بقتل أنصر الناس لنا، وأثقلهم على عدونا. أما والله لولا حفظي لما سلف منك، وإن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك قم لا أقام الله رجليك. قال: فقمت وقد أظلم بصري، وتمنيت أن تسيخ الأرض بي، فلما كان بعد قتله قال لي يا يزيد، أتذكر يوم شاورتك؟ قلت: نعم. قال: فوالله لقد كان ذلك رأياً وما لا أشك فيه، ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي.

ومن المنقول عن المهدي، عن القاسم بن محمد بن خلاد، عن علي بن صالح قال: كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي، فأراد أن يُبخره، فقام الخادم بالعود الذي يلهي به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أخذه

صاحب العسس البارحة، فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين. فكسره، ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر، ثم قال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه، فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخدام: اضمن ما تلف بقضيته.

ومن المنقول عن محمد بن الفضل قال: أخبرنا بعض أهل الأدب، عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعوداً عاماً للناس، فدخل رجل، وفي يده نعل ملفوفة في منديل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك، فقال: هاتها فدفعها إليه، فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم، فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ، فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي، وإن كان ظالماً اشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

ومن المنقول عن المأمون رحمه الله، قال المبرد: حدثني عمارة بن عقيل، قال ابن أبي حفصة الشاعر: أعلمت أن أمير المؤمنين يعني المأمون لا يبصر الشعر، فقلت: من ذا يكون أفرس منه وإنا لننشد أول البيت فيسبق آخره من غير أن يكون سمعه. قال: فإني أنشدته بيتاً أجدت فيه، فلم أره تحرك له، وهذا البيت فاسمعه.

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدِّين والناسُ بالدنيا مشاغيل

فقلت له: مازدته على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها مسبحة، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها، وهو المطوق لها. ألا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد؟.

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أن حسناً اللؤلؤي كان يحدث المأمون والمأمون يومئذ أمير، فنعس المأمون، فقال له اللؤلؤي: نمت أيها الأمير، فاستيقظ المأمون وقال: سوقي والله يا غلام، خذ بيده.

قال مؤلف الكتاب: قلت، وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث ليناموا عليه، فكان إيقاظه غفلة عما يراد من الحديث وسوء أدب.

ومن المنقول عن المعتضد بالله، عن أبي عبد الله محمد بن حمدون قال لي المعتضد بالله ليلة وقد قدم له عشاء: لقّمني، وكان الذي قدم له فراريج ودراريج، فلقمته من صدر فروج، فقال: لا. لقمني من فخذه، فلقمته لقماً، ثم قال: هات من الدراريج، فلقمته من أفخاذها، فقال: ويلك. هو ذا تتنادر على هات من صدورها، فقلت: يا مولاي ركبت القياس، فضحك فقلت: إلى كم أضحكك ولا تضحكني؟ قال: فشل المطرح وخذ ما تحته. قال: فشلته، فإذا دينار واحد فقلت: آخذها؟ قال: نعم، فقلت بالله هو ذا تتنادر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار، فقال: ويلك لا أجد لك في بيت المال حقاً أكثر من

هذا، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً، ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار، فقبلت يده، فقال: إذا كان غد وجاءني القاسم يعني ابن عبيد الله، فهو ذا أسارك خبر تقع عيني عليه سراراً طويلاً التفت فيه إليك كالمغضب وأنظر أنت إليه في خلال ذلك كالمتخالس لي نظر المترائي له، فإذا انقطع السرار، فأخرج ولا تبرح من الدهليز أو يخرج، فإذا خرجت خاطبك بخطاب جميل وأخذك إلى دعوته، ويسألك عن حالك، فأشك الفقر والخلة وقلة حظك مني وثقل ظهرك بالدين والعيال وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه، فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار، فإذا أخذتها، فيسألك عما جرى بيننا، فاصدقه وإياك أن تكذبه وعرفه أن ذاك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا، وحدثه بالحديث كله على شرحه، وليكن إخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد وإحلاف منه بالطلاق والعتاق أن تصدقه، وبعد أن تخرج من داره كل ما يعطيك إياه تجعله في بيتك.

فلما كان الغد حضر القاسم، فحين رآه ابتدأ يسارني وجرت القصة على ما وضعني عليه، فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني، فقال يا أبا محمد، ما هذا الجفاء لا تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة؟ فاعتذرت إليه باتصال الخدمة علي، فقال: ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم وتتفرج، فقلت: أنا خادم الوزير، فأخذني إلى طيارة وجعل يسألني عن حالي وأخباري وأشكو إليه الخلة والإضاقة والدين والبنات وجفاء الخليفة وإمساك يده ويتوجع ويقول: يا هذا ما لي لك ولن نضيق عليك ما يتسع على أن نجاوزك نعمة حصلت لي. لو

عرفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك، فشكرته وبلغنا داره، فصعد ولم ينظر في شئ، وقال: هذا يوم احتاج أن أختص فيه بالسرور بأبي محمد فلا يقطعني أحد عنه وأمر كتّابه بالتشاغل بالأعمال وخلا بي في دار الخلوة، وجعل يحادثني ويبسطني وقدمت الفاكهة، فجعل يلقمني بيده وجاء الطعام، فكان هذا سبيله، فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها للوقت وأحضر ثياباً وطيباً ومركوباً، فأخذت ذلك كله، وكان بين يدي صينية فضة فيه مغسل فضة وخردادي بلور وكوز وقدح بلور، فأمر بحمله إلى طيارتي، وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً له قيمة وافرة طلبته، وحمل إلى فرشاً نفيساً وقال هذا للبنات، فلما تقوض أهل المجلس خلا بي، وقال: يا أبا محمد، أنت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك، فقلت: أنا خادم الوزير، فقال: أريد أن أسألك عن شئ وتحلف لي أنك تصدقني عنه، فقلت: السمع والطاعة فأحلفني بالله وبالطلاق والعتاق على الصدق، ثم قال لي: بأي شئ سارك الخليفة اليوم في أمري؟ فصدقته عن كل ما جرى حرفاً بحرف، فقال: فرجت عني ولكون هذا هكذا مع سلامة نيته أسهل عليّ فشكرته وانصرفت إلى بيتي، فلما كان من الغد باكرت المعتضد بالله، فقال: هات حديثك فسقته عليه، فقال: احفظ الدنانير ولا يقع لك إني أعمل مثلها بسرعة.

أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي، عن القاسم علي بن المحسن، عن أبيه قال: بلغني أن المعتضد بالله كان يوماً جالساً في بيت يُبنى له يشاهد الصناع، فرأى في جملتهم غلاماً أسود، منكر الخلقة، شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين، ويحمل ضعف ما

يحملونه، فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج، فقال لابن حمدون وكان حاضراً أي شئ يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه ولعله لا عيال له، فهو خالي القلب. قال: ويحك قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطلاً إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها أو يكون لصاً يتستر بالعمل في الطين، فلاحاه ابن حمدون في ذلك، فقال: عليّ بالأسود فأُحضر، وقال مقارع فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف إن لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع، فقال الأسود: لي الأمان. فقال: لك الأمان إلاّ ما يجب عليك فيه من حد، فلم يفهم ما قال له، وظن أنه قد أمنه فقال: إنا كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالساً فاجتاز بي رجل في وسطه هيمان فتبعته فجاء إلى بعض الأتاتين، فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهيمان وأخرج منه ديناراً فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته وكتفته وسدد فاه وأخذت الهيمان، وحملته على كتفي وطرحته في نقرة الأتون وطينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه، فطرحتها في دجلة والدنانير معي يقوى بها قلبي، فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله، وإذا على الهيمان مكتوب لفلان بن فلان، فنودي في البلدة باسمه، فجاءت امرأة قالت: هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ومعه هيمان فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنانير إليها، وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

قال المحسن: وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهضوا من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته

حتى اندس بين الغلمان، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل، فإذا به يخفق خفقاناً شديداً، فوكزه برجله فقعد واستدعى آلات العقوبة، فأقر، فقتله.

قال المحسن: وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره أنه كان قائماً على شاطئ الدجلة في دار الخليفة، فرأى صياداً وقد طرح شبكته، فثقلت بشيء، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجر وبين الآجر كف مخضوبة بحناء. قال: فأحضر الجراب والكف والآجر، فهال المعتضد ذلك، وقال: قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال: ففعل فخرج جراب آخر فيه رجل قال: فطلبوا فلم يخرج شئ آخر، فاغتم المعتضد فقال معي في البلد من يقتل إنساناً ويقطع أعضاؤه ويفرقه ولا أعرف به ما هذا ملك. قال وأقام يومه كله ما طعم طعاماً، فلما كان من الغد أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب فارغاً وقال له: طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد، فإن عرفه منهم رجل، فسله على من باعه، فإذا دلك عليه، فسل المشتري من اشتراه منه ولا تقر على خبره أحداً. قال: فغاب الرجل وجاءه بعد ثلاثة أيام، فزعم أنه لم يزل يتطلب في الدباغين، وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه، وسأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى، وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه، فقال: ويحك. كيف وقع هذا الجراب في يدك؟. فقلت أوتعرفه؟ قال: نعم. إشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شئ أرادها وهذا منها. فقلت له: ومن

فلان الهاشمي، فقال: رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له: فلان عظيم، إلا أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم لحرم المسلمين وأشدهم تشوقاً إلى مكائدهم، وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفاً من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال، ولم يزل يحدثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال، فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مولاتها فيها، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر بذل فيها ألوف دنانير، فوجه إليها لا أقل من أن تنفذيها إليّ لتودعني، فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها، فما يعرف لها خبر وادعى أنها هربت من داره. وقالت الجيران: أنه قتلها وقال قوم: لا، بل هي عنده، وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسوّدت وجهها، فلم ينفعها شيء، فلما سمع المعتضد سجد شكراً لله تعالى على انكشاف الأمر له، وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنية، وأخرج اليد والرجل إلى الهاشمي، فلما رآهما امتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها، ثم حبس الهاشمي، فيقال: انه قتله. ويقال: مات في الحبس.

قال عبد الله محمد بن أحمد بن حمدون قال: كنت قد حلفت وعاهدت الله أن لا أعقد مالاً من القمار وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا صرفته في ثمن شمع يحترق، أو نبيذ يشرب، أو جذر مغنية،

فجلست يوماً ألاعب المعتضد، فقمرته بسبعين ألف درهم، فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعتان من قبل أن يأمر لي بها، فجلست أفكر وأندم على ما حلفت عليه، وقلت كم أشتري من هذه السبعين ألف شمعاً وشراباً وكم أجذر وما كانت هذه العجلة في اليمين، ولو لم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة، وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك، فلما سلَّم من السجود قال لي: في أي شئ تفكرت؟ فقلت: خير، فقال بحياتي.اصدقني، فصدقته، فقال: وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفاً في القمار، فقلت: افتصغر؟ قال: نعم. قد صغرت. قم ولا تفكر في هذا. قال: ودخل في صلاة الفرض، فلحقني الغم أعظم من الأول وندمت على فوت المال، وجعلت ألوم نفسي لِمَ صدقته، فلما فرغ من صلاته قال لي: يا أبا عبد الله، بحياتي أصدقني عن هذا الفكر الثاني، فصدقته، فقال: أما القمار فقد قلت إني صغرت، ولكني أهب لك سبعين ألفاً من مالي ولا يكون عليَّ إثم في دفعها إليك، ولا عليك إثم في أخذها، وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة حلالاً، فقبلت يده وأخذت المال فاعتقدت به ضيعة، والله أعلم.

الباب العاشر
في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

قال ابن الموصلي: حدثني أبي قال: أتيت يحيى بن خالد بن برمك، فشكوت إليه ضيقة اليد، فقال: ويحك وما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء، ولكن عليك ههنا أمر أدلك عليه، فتكن فيه رجلاً قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن استهدي صاحبه شيئاً وقد أبيت ذلك فألح علي، وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير، فهو ذا استهديه إياه وأخبره إنه قد أعجبتني وإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وإنظر كيف يكون. قال: فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد أتاني فساومني الجارية، فقلت: لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار، فلما سمعتها ضعف قلبي عن رد، فبعتها وقبضت العشرين ألفاً، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي: كيف صنعت في بيعك الجارية؟ فأخبرته فقلت والله ما ملكت نفسي إن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها. فقال: إنك لخسيس وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا، فخذ جاريتك، فإذا ساومك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك. قال: فجاءني الرجل فاستمت عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار، فضعف قلبي على ردها ولم أصدق بها، فأوجبتها له بها، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي: بكم بعت الجارية؟ فأخبرته، فقال لي ويحك. ألم تؤدبك الأولى عن الثانية؟ قلت: ضعفت والله عن رد شيء لم أطمع فيه. فقال: هذه جاريتك فخذها إليك. قال:

فقلت: جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها. أشهدك أنها حرة وإني قد تزوجتها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: قال: يحيى بن خالد ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية والكتاب والرسول.

وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ويجود رأيه وكان يقول: ولد الآباء أبناء وولد خالد بن برمك آباء. وكان يحيى يقول لإبنه جعفر يا بني خذ من كل أدب طرفاً فإنه من جهل شيئاً عاداه، وأنا أكره أن تكون عدو الشئ من الأدب. وكان يقول: من بلغ رتبة فتاه فيها أخبر أن محله دونها. وقال له رجل: والله لأنت أحلم من الأحنف. فقال: ما تقرب إلى من أعطاني فوق حقي.

وبلغنا عن الرشيد أنه رأى يوماً في داره حزمة خيزران فقال لوزيره الفضل بن الربيع ما هذه؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يرد أن يقول الخيزران لموافقته اسم أم الرشيد. وقال الفضل: إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب، فإنهم إن أجابوكم شق عليهم وإن لم يجيبوكم شق عليكم.

قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله ليس في السرف خير، فقال: بل ليس في الخير سرف. فرد اللفظ واستوفى المعنى.

ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً فلم يمسه بيده، ولا قال له شيئاً، ولكنه نادى يا غلام مرآة أمير المؤمنين فجيء بها. فقال: بل بها وجه حتى أخذ ذلك الشئ بيده.

حدثنا أبو علي بن مقلة قال: كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات أخدم بين يديه، فأول شئ برزق عشرة دنانير في كل شهر وهو يخلف أخاه في ديوان السواد، ثم زادت حاله فرقاني إلى ثلاثين ديناراً في كل شهر، فكنت كذلك معه إلى أن تقلد الوزارة الأولى، فحصل رزقي خمسمائة دينار في كل شهر، ثم أمر بقبض ما في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز، وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل إليه فيراها وينفذها إلى خزائن المقتدر. فجاؤوه يوماً بصندوقين، فقالوا له: هذان وجدناهما في دار إبن المعتز، فقال: أفعلمتم ما فيهما؟ قالوا: نعم جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم، فقال: لا تفتح. ثم قال: يا غلمان هاتوا ناراً، فجاء الفراشون بفحم وأمرهم فأججوا النار، وأقبل عليّ وعلى من كان حاضراً، فقال: والله لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها إسم أني قد عرفته، فتفسد نيات العالم كلهم عليّ وعلى الخليفة وما هذا رأي حرقوهما، قال: فطرحا بأقفالهما في النار، فلما احترقا بحضرته أقبل علي، فقال: يا أبا علي قد أمنت كل من جنى وبايع ابن المعتز، وأمرني الخليفة بأمانة، فاكتب للناس الأمان مني ولا يلتمس منك أحد أماناً كائناً من كان إلا كتبته له وجئني به لأوقع فيه، فقد أردتك لهذا العمل. ثم قال لمن حضر: أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ويكاتبونه في طلب الأمان، فشكرناه. ودعت الجماعة له وشاع الخبر وكتبت الأمانات، فكتبت في ذلك مائة ألف أو نحوها.

حدثنا ابن المحسن عن أبيه قال: سمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يقول: كان أبو علي بن مقلة يوماً يأكل، فلما رفعت المائدة

وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى التي كان يأكلها، ففتح الدواة واستمد منها نقطة على الصفرة حتى لم يبق لها أثر، وقال: ذاك أثر شهوة، وهذا أثر صناعتي، ثم أنشد:

إنَّما الزّعفرانُ عِطْرُ العذَارى   وَمِدادُ الدّواةِ عِطْرُ الرِّجال

قال أبو بكر الصولي: قال لي المكتفي بالله، وقد أنشدته: أنت أشعر من فلان، فقلت: لإنعامك علي ترى ذلك، وإلا ففلان أشعر مني، فلما خرجنا قال لي القاسم بن عبيد الله: رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئاً فقلت: لا. فقلت: من أين لي هذا الفهم؟.

وذكر أن ملكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو، فبلغ ذلك منه، فشكا إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطلعون على أسرار لي لا بد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يُظهرها، وأكره أن أنال البرئ منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة، وجعلها كذباً كلها ثم دعا برجل، رجل، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك: إخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه، وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه، وإكتب على كل خبر اسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أفشي إليهم، وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سره فحذره.

قيل: رفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: «السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة فإن كنت أخرجتها بالنصح فخسرانك فيه أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في

محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك وتردع أمثالك، فاستر على نفسك هذا العيب، واتق من يعلم الغيب، فإن الله للصالح والطالح بالمرصاد». وقال الوزير أبو منصور بن جهير يوماً لولد أبي نصر بن الصناع: إشتغل بآداب وإلا كنت صناعاً بغراب.

الباب الحادي عشر
في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة

قال المؤلف: بلغني أن رجلاً قدم إلى بغداد للحج، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه، فلم يتفق، فجاء إلى عطار موصوف بالخير، فأودعه إياه، ثم حج وعاد، فأتاه بهدية، فقال له العطار: من أنت وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العقد الذي أودعتك، فما كلمه حتى رفسه رفسة رماه عن دكانه، وقال تدعي عليّ مثل هذه الدعوى، فاجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدعي عليه إلا هذا، فتحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلا شتماً وضرباً، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة، فله في هذه الأشياء فراسة، فكتب قصته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء، فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة، فقال: اذهب إلى العطار غداً، واقعد على دكانه، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله، من الصبح إلى المغرب ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام، فإني أمر عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك، فلا تقم لي ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه، فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني ما يقول لك فإن أعطاكه فجئ به إليّ.

قال فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخرساني وقف وقال: سلام عليكم. فقال: الخرساني ولم يتحرك: وعليكم السلام، فقال: يا أخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض

حوائجك علينا، فقال: كما اتفق ولم يشبعه الكلام وعضد الدولة يسأله ويستخفي وقد وقف ووقف العسكر كله، والعطار قد أغمى عليه من الخوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك متى أودعتني هذا العقد، وفي أي شيء كان ملفوفاً، فذكرني لعلي أذكره، فقال: من صفته كذا وكذا، فقام وفتش، ثم نقض جرة عنده فوضع العقد، فقال: قد كنت نسيت، ولو لم تذكرني الحال ما ذكرت. فأخذ العقد ثم قال: وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة، ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريه فذهب إليه فأعلمه، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار، فعلق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان ونودي عليه: هذا جزاء من استودع فجحد. فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلمه إلى الحاجي وقال: إذهب.

وقال المؤلف أيضاً: بلغني عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي، وكان يقف عند روزنة ينظر إلى امرأة فيها، فقالت المرأة لزوجها: قد حرم عليّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد، فلا يشك الناس أن لي معه حديثاً، وما أدري كيف أصنع. فقال زوجها إكتبي إليه رقعة وقولي فيها: لا معنى لوقوفك فتعال إليّ بعد العشاء. إذا غفل الناس في الظلمة، فإني خلف الباب، ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب، فدخل، فدفعه الرجل فوقع في الحفرة وطموا عليه، وبقي أياماً لا يدرى ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له: ما لنا فيه خبر، فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار، فأخذه أخذاً عنيفاً في الظاهر، ثم قال

له: هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك إذا رجعت إلى مسجدك فأذن الليلة واقعد في المسجد، فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب انفاذي إليك، فأعلمني به، فقال: نعم. ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ، فقال له: قلبي إليك ولأي شئ أراد منك عضد الدولة؟ فقال: ما أراد مني شيئاً وما كان إلا الخبر، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال، فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له: ما فعل التركي؟ فقال: أصدقك. لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها ويقف تحت روزنتها، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه، ففعلت به كذا وكذا، فقال: اذهب في دعة الله، فما سمع الناس ولا قلنا.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق، ويقيمون في جبال شاقة، فلا يقدر عليهم، فاستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم، وأكثر طيبها، وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير، ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة، فنزل القوم وأخذوا المتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل، وبقي المسافرون عراة، فلما فتح الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها، ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يُمكنه الإستبداد بها، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبداً قبل ذلك، فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين.

وقال مؤلف الكتاب: وحدثت أن بعض التجار قدم من خرسان ليحج، فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال إن حملتها خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المودع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئاً، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة، فقال: أويعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأخبره بقصته، فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً وهو من خواصك. فقال: عليّ به فجاء، فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال: من جاءك به؟ قال: فلان الفراش قال: عليّ به، فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال من المكان الفلاني، فقال: إذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل: ههنا والله تركت مالي، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفراش هلم بالمال، فتلكأ فأوعده فأحضر المال.

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي قال: حكى السلامي الشاعر قال: دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خرواني فرآني ألحظه، فرمى به إليّ وقال: خذه. فقلت: وكل خير عندنا من عنده. فقال عضد الدولة: ذاك أبوك فبقيت متحير لا أدري ما أراد، فجئت أستاذي

فشرحت له الحال، فقال: ويحك قد أخطأت عظيمة، لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلباً حيث يقول:

أَنْعَتُ كلباً أَهْلَه في كَدِّه   قَدْ سَعُدت جُدودهم بجده

وكل خير عنده مِنْ عِنْدِهِ

قال: فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك فقال: ما بك؟ فقلت حممت الساعة. فقال: هل تعرف سبب حماك؟ قلت نظرت في ديوان أبي نواس، فقال: لا تخف لا بأس عليك من هذه الحمى. فسجدت بين يديه وانصرفت.

وروى أبو الحسن بن هلال ابن المحسن الصابي في تاريخه قال: حدثني بعض التجار وقال: كنت في المعسكر، واتفق ان ركب السلطان جلال الدولة يوماً إلى الصيد على عادته، فلقيه سوادي يبكي قال: ما لك؟ فقال: لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي. فقال: امض إلى المعسكر فهناك قبة حمراء، فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك، فلما عاد السلطان، قال لبعض سراته قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شئ منه، ففعل وأحضر البطيخ، فقال: عند من رأيتموه؟ فقيل في خيمة فلان الحاجب. فقال: أحضروه. فقال له: من أين هذا البطيخ. فقال: الغلمان جاؤوا به. فقال: أريدهم الساعة، فمضى وقد أحس بالشر، فهرب الغلمان خوفاً من أن يُقتلوا وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم. فقال: أحضروا السوادي، فأحضر فقال له: هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال: نعم. قال: فخذه وهذا الحاجب

مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حتى يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، ووالله لئن أخليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه، فاشترى الحاجب نفسه بثلاثمائة دينار، فعاد السوادي إلى السلطان وقال: يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار، فقال: قد رضيت بذلك؟ قال: نعم. قال: اقبضها وامض مصاحباً السلامة.

قال الصابي: وحكى من كان حاضراً بأصفهان قال: جاء إليه تركماني قد لزم يد تركماني، فلما دخلا إليه قال: هذا وجدته قد ابتنى بابنتي وأريد أن أقتله بعد إعلامك به. قال: لا، بل تزوجها به ونعطي المهر من خزائننا، فقال: لا أقنع إلا بقتله، فقال: هاتوا السيف، فجيء به فسله وقال للأب تعال، فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيده الجفن، وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن ولم يمكنه من إدخال السيف، فقال: يا سلطان، ما تدعني فقال: كذلك ابنتك لو لم ترد ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعاً، ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

حدثنا الأصمعي قال: وفد فلان بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بخاصرة، فلزم سارية من المسجد يُصلي إليها بحسن الركوع والخشوع وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه. فقال عمر للعلاء بن المغيرة وكان خصيصاً لعمر: إن يكن سرّ هذا كعلانيته، فهو فعل أهل العراق غير مدافع عن فضل. فقال له العلاء بن المغيرة: أنا آتيك يا أمير المؤمنين

بخبره، فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فقال له: اشفع صلاتك فإن لي حاجة، فلما سلم من صلاته قال له العلاء: تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين، فإني إن أشرت عليه أن يوليك العراق ما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومائة ألف، قال فاكتب لي على ذلك خطاً، فقام من وقته فكتب له خطاً بذلك، فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان والياً على الكوفة: أما بعد؛ فإن بلالاً غرنا بالله فكدنا نغتر به، ثم سبكناه فوجدناه خبثاً كله.

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أن رجلاً وعظ أميراً. فأنفذ إليه الأمير مالاً قبله، فلما عاد الرسول قال الأمير: كلنا صياد ولكن الشباك تختلف، وقيل: لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده، فتطير من ذلك، فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودعها إليه ثم أنشد:

فألقَتْ عصاها واستقرت بها النوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسَافِرُ

فسرّ بذلك وسري عنه وأكرمه.

نزل أمير بقرية، فاحتاج إلى المزين يمسح شعره، فجاء الأمير وحده إليه، وقال: أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم، فامسح شعري، فإن كنت حاذقاً جاء الأمير فمسحت شعره وإنما فعل ذلك لئلا يعلم أنه الأمير فينزعج فيجرحه.

حدثني عمر بن عثمان قال: دخل المنصور أمير المؤمنين قصراً، فرأى في جداره كتاباً.

وما لي لا أبكـي بعيـن حزينـةٍ   وَقَدْ قَـرُبَتْ للظّاعنين حُمُـول

وتحته مكتوب: ايه ايه. قال أبو عمر ويروى آه آه، فقال المنصور أي شئ ايه ايه؟ قال له الربيع، وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب: يا أمير المؤمنين: إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال له: الله ما كان أظرفه فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع.

قال المؤلف: نقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال: دخل هاشمي على المنصور فاستدنا ودعا بغدائه وقال أدنه، فقال: قد تغديت، فكف عنه، فلما خرج دفع الربيع في قفاه فوافقه الحجاب، فدخل عمومته فشكوا إلى المنصور، فقال الربيع: هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف، فأدناه أمير المؤمنين واستجلسه، ثم أذن له في الغداء، فقال له قد تغديت. قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ولكن بالفعل.

حدثنا المدايني عن غياث بن إبراهيم أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقارب في خطوه، فقال له أبو جعفر: كبرت سنك يا معن، فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لجلد. قال: على أعدائك، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك.

حدثنا أبو الفضل الربعي قال: حدثني أبي قال: قال المأمون لعبد الله بن طاهر: أيما أطيب مجلسي أو منزلك؟ قال: ما عدلت به يا أمير المؤمنين. قال: ليس لي إلى هذا، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال: منزلي يا أمير المؤمنين. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني فيه مالك. وأنا ههنا مملوك.

(وذكر) محمد بن عبد الملك الهمداني أن أحمد بن طولون جلس يوماً في منتزه له يأكل، فرأى سائلاً في ثوب خلق فوضع يده في رغيف ودجاجة وفرخ وقطع لحم وقطعة فالوذج، وأمر بعض الغلمان بمناولته، فرجع الغلام وذكر أنه ما هش له، فقال ابن طولون للغلام: جئني به، فمثل به بين يديه، فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته، فقال له: احضرني الكتب التي معك وأصدقني عمن بعث بك، فقد صح عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر: هذا والله السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا، فوجهت إليه بطعام يسر إلى أكله الشبعان، فما هش له ولا مد يده فأحضرته فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جنانه علمت أنه صاحب خبر.

ورأى ابن طولون يوماً حمالاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته، فقال: لو كان هذا الإضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق، فرجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال: أصدقني عن حالها، فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة. فضرب الحمال مائتي ضربة بعصا، وأمر بقتل الأربعة.

وكان ابن طولون يُبكر ويخرج، فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب، فدعا بعض أصحابه يوماً وقال: امض إلى المسجد الفلاني، وأعط إمامه هذه الدنانير. قال، فمضيت فجلست مع الامام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق، ولم يكن معه ما يصلح به شأنها، وأنه صلى

فغلط مراراً في القراءة، فعدت إلى ابن طولون فأخبرته، فقال: صدق، لقد وقفت أمس، فرأيته يغلط كثيراً علمت شغل قلبه.

حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مُسلماً عليه، فقال: يا سجستاني: من أعلمكم بالبصرة؟ قال: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشادكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال، فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليَّ، قال، فجمعنا قال: أيكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنذا يرحمك الله، قال: هل يجزئ في الظهاري عتق عبد أعور، فقال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، فقال يا زيادي: كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها قال: ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي، قال يا هلال: كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم الشادكوني، قال يا شادكوني: من قرأ ألا أنهم يثنون صدورهم، قال: ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم. فقال: يا أبا حاتم كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر بالبصرة؟ قال: لست رحمك الله صاحب بدعة وكتابة أنا صاحب قرآن. قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه، ولم يمر. لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يُصغي إلى سره، فأمر بضربه وحبسه. فقال كاتب الحبس: كيف أكتب قصته؟ قال: إكتب إسترق السمع فأتبعه شهاب ثاقب، ووجد أعمى مع عمياء فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتهما، فقال صاحب الربع: اكتب ظلمات بعضها فوق بعض.

قال الحسن بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي قال: كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحير حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يوماً في زقاق خال في بعض أطراف بغداد، فدخله فوجد فيه مُنكراً ووجد فيه زقاقاً لا ينفذ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة، وعظم الصلب وتقدير ذلك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب المسالح: ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها؟ قال: دينار، فقال: أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق بين الاحتلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة، وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها، فاستبعد الرجل هذا، وقال: هذا فكر بعيد، فقال: اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق باباً غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء، فخرجت عجوز ضعيفة، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها: فهذه الدار من

يسكنها وأومأ إلى التي عليها عظام السمك؟ فقالت: والله ما ندري على الحقيقة من سكانها إلا أن فيها خمسة شباب أعفار، كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلا كل مدة طويلة، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ. ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم. قال؛ فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز، وقال للرجل: هذه صفة لصوص أم لا؟ فقال: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها. قال: وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال، وأدخلهم إلى سطوح الجيران، ودق هو الباب، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه، فما فاتهم من القوم أحد، وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي، وكان يفتخر بهذه القصة.

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب له أنك قد سُبقت، ولم يدر كيف يُكني عن ذلك، فكان ثَّم كاتب فقال: إن رأيت أن تكتب شعراً.

يا أيُّها الملكُ الذي جَدُّه	لكلِّ جد قاهر غالبُ
طائرك السَّابقُ لكنّه	أتى وفي خدمته حاجبُ

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به.

قال الشيخ: حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقري قال: كان حاجب باب ابن النسوي ذكياً، فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برادة، فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة، فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد الماء، وإنما هذه علامة بين هذين، وبه حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال: حدثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء فجاء بها، فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمداً فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: رد ما أخذت، فقيل له: من أين علمت؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج وهذا المنزعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

وبه ذكر بعض مشايخنا: أن رجلاً من جيران إبن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فما أكلت قط أحل من هذا. فقال بحكم المداعبة: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من؟ فقالت: إمرأة تستأذن، فأذن لها، فدخلت، فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليّ وما يقربني والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة،

فقلت لها: صناعته؟ فقالت: خباز، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت: بنت فلان، قلت: فما اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة... قلت: أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى، فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت: خذي شقتك وانصرفي. فمضت فبعثت إليه اثنين وقلت احضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنما استدعيتك لأعطيك كرا طعام وعمالته تقيمه خبزاً للرحالة، فسكن روعه وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى. صديق مخسر عدو مبين. أنت مني وإليَّ. كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير، قلت: الله الله لا أحتاج أن أوصيك بها لا تُضيق صدرها فقبل يدي، فقلت امض إلى دكانك وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت، وهذا الصحن معها، وأقسمت عليَّ بالله أن لا أردها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده، فقبلته، فهل هو حلال؟ فقال: والله ما في الدنيا أحل من هذا. قال: فكُلْ، فأكل.

كان لأحمد بن خصيب وكيل له في ضياعه، فرمي إليه بخيانة، فعزم على القبض عليه والاساءة إليه، فهرب فكتب إليه أحمد يؤنسه ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه، ويأمره بالرجوع إلى عمله فكتب إليه:

أنا لك عبدٌ سامعٌ ومطيعٌ ... وإنِّي لما تَهْوى إليك سَريعُ
ولكنْ لي كفّاً أعيشُ بفضلِها ... فما أشتري إلا بها وأبيعُ

أأجعلها تحت الرحائم أبتغي خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ

حدثنا أبو سهل بن زياد قال: كان شاعر له ضويعة فهجا عاملها، وبلغه ذلك فأمسك عنه، فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر، فقسمها وحمل غلة الشاعر أصلاً، فجاء الشاعر إليه يشكو، فقال: يا هذا ليس بيننا، هجوتنا بالشعر ونحن نهجوك بالشعير فقد استوت الحال بيننا وبينك.

قال الشيخ وحدثني ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة: أين شتيت؟ قال: عندك يا أمير المؤمنين، وأراد الخليفة تصحيف إبن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير، فأخذه البول. فخرج، فلما جاء قال: أين كنت؟ قال: أصوب الرأي يعني أنه لا رأي لحاقن.

حدثني بعض الشيوخ قال: سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتهومين إلى الوالي، فقال الوالي: أنا ما أضرب أحداً منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فأدخلوا فليمر كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج، فإن الخيط يُلف على يد الذي سرق، وكان قد سود الخيط بسخام، فدخلوا فكلهم جر يده على الخيط في الظلمة إلى واحد منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحد فألزمه بالمال، فأقر به.

الباب الثاني عشر
في سياق المنقول من ذلك عن القضاة

حدثنا الشعبي قال: جاءت إمرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يُمسي، ثم أخذها الحياء فقالت: اقلني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك الله خيراً فقد أحسنت الثناء قد أقلتك. فلما ولّت قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت إليك في الشكوي، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجها. قال: عليَّ بالمرأة وزوجها، فجئ بهما، فقال لكعب: اقض بينهما. قال: أأقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت ما لم أفطن إليه. قال: فإن الله يقول: ﴿فانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّساء مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ﴾[1] صم ثلاثة أيام وافطر عندها يوماً، وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة. فقال عمر: فقال عمر: لهذا أعجب إليَّ من الأول، فرحله بدابة وبعثه قاضياً لأهل البصرة.

أخبرنا مجاهد بن سعيد قال: قلت للشعبي يقال في المثل: إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا؟ فقال لي في ذلك: إن شريحاً خرج أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يُصلي يجئ ثعلب فيقف تجاهه، فيحاكيه ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه فأخذه

(١) سورة النساء الآية رقم: ٣.

بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل.

أخبرنا مجاهد عن الشعبي قال: شهدت شريحاً وقد جاءته إمرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلى مظلومة. فقال: ياشعبي، إن أخوة يوسف ﴿جَاءوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[1].

حدثنا شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة يبيعها، فقال له المشتري: يا أبا أمية، كيف لبنها؟ قال: إحلب في أي إناء شئت. قال: كيف الوطء؟ قال: افرش ونم. قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الابل عرفت مكانها على سوطك. فقال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها. فلم ير شيئاً مما وصف، فرجع إليه فقال: لم أر فيها شيئاً مما ووصفتها به. قال: ما كذبتك. قال: اقلني. قال: نعم.

قال القرشي: وحدثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال: إن شريحاً خرج من عند زياد وهو مريض، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولاً يسأله كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى. قال: يأمر بالوصية وينهى عن النياحة.

قال الشيخ: وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحاً وهو في مجلس القضاء فقال: لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني. قال: لهذا جلست مجلسي. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيب القريب. قال: وتزوجت امرأة من قومي، قال: بارك الله

---

(١)سورة يوسف، الآية رقم: ١٦.

لك بالرفاء والبنين. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها. قال: الشرط أملك. قال: وأريد الخروج. قال: في حفظ الله. قال: أقض بيننا. قال: قد فعلت.

حدثنا صالح بن أحمد الجعلي قال: حدثني أبي قال: دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة، فقال: أما واحدة فمرضع، والأخرى بكر، والثالثة ثيب، فقيل له: بم علمت؟ قال: أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يميناً وشمالاً.

أخبرنا أبو الحسن القيسي قال: استودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً، وكان أميناً لا بأس به، وخرج المستودع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى أياساً فأخبره، فقال له إياس: أعَلِم أنك أتيتني؟ قال: لا. قال: فنازعته عن أحد؟ قال: لا. لم يعلم أحد بهذا. قال: فانصرف واكتم أمرك، ثم عد إليَّ بعد يومين. فمضى الرجل، فدعا إياس أمينه ذلك، فقال: قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأعده موضعاً للمال وقوماً يحملونه، وعاد الرجل إلى إياس فقال له: إنطلق إلى صاحبك، فاطلب المال، فإن أعطاك فذلك، وإن جحدك فقل له: إني أُخبر القاضي، فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه، وأخبرته ما جرى، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس فزجره وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن.

وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض، فقال

تحت هذا دابة، فنظروا فإذا حية، فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

قال الجاحظ: وحج إياس فسمع نباح كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه، فقال: قد أُرسل، فانتهزوا إلى الماء، فسألوهم فكان كما قال، فقيل له: من أين علمت؟ قال: كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى.

ومر إياس ليلة بماء فقال: أسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفته. قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين، فسألوا: فإذا كلبٌ غريب والكلاب تنبحه.

حدثنا أبو سهل قال: لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبد الله بن الحسن العنبري وبين عمر بن عامر على قضاء البصرة، وكانا يجتمعان جميعاً في المجلس وينظران جميعاً بين الناس. قال: فتقدم إليهما قوم في جارية لا تثيب. فقال فيها عمر بن عامر: هذه ضئيلة. وقال عبيد الله بن الحسن: كل ما خالف ما عليه الخلقة فهو عيب.

أخبرنا يزيد بن هارون قال: تقلد القضاء في واسط رجل ثقة كثير الحديث، فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف دينار، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة الرجل قدَّر أنه قد هلك، فهمَّ بانفاق المال، ثم دبر وفتق الكيس من أسفله، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت. وقدَّر أن الرجل وافى وطلب الشاهد بوديعته، فأعطاه الكيس بختمه، فلما

حصل في منزله فض ختمه فصادف في الكيس دراهم، فرجع إلى الشاهد، فقال له: عافاك الله، اردد عليَّ مالي فإني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها، فأنكره ذلك واستعدى عليه القاضي المقدم ذكره، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه، فلما حضرا سأل الحاكم: منذ كم أودعته هذا الكيس؟ قال: منذ خمس عشرة سنة، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها، فإذا هي دراهم إليها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها، فأمره أن يدفع الدنانير إليه، فدفعها إليه وأسقطه وقال له: يا خائن. ونادى مناديه: ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد، فاعلموا ذلك ولا يغترن به أحد بعد اليوم، فباع الشاهد أملاكه في واسط وخرج عنها هارباً، فلم يُعلم له خبر ولا أُحس منه أثر.

أخبرنا أبو محمد القرشي قال: استودع رجل رجلاً مالاً، ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إيّاس بن معاوية فقال الطالب: إني دفعت المال إليه قال: ومن حضر؟ قال: دفعته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد. قال: فأي شيء في ذلك الموضع؟ قال: شجرة. قال: فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة، فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبين به حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل، قال إياس للمطلوب: إجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة ثم قال: له: يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا. قال: يا عدو الله إنك لخائن. قال: أقلني أقالك الله، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه.

حدثنا ابن السماك قال: اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يوماً رجلان وهو بجامع المنصور، فقال أحدهما: إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: ما أسلم إليَّ شيئاً. فقال للطالب: ال لك بيّنة؟ قال: لا. قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا. لم يكن هناك إلا الله عز وجل. قال: فأين سلمتها إليه؟ قال: بمسجد الكرخ. فقال للمطلوب: أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قُم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها، فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه، فقال: تظن أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا ما بلغ إليه، فكان هذا كالاقرار، فألزمه بالذهب فأقرَّ به.

حدثنا أبو العيناء قال: ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي داود. ما خرجت من عنده يوماً، فقال: يا غلام خذ بيده، بل كان يقول يا غلام: أخرج معه، فكنت أفتقد هذه الكلمة عليه، فلا يخل بها ولا اسمعها من غيره.

ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي سمعت أبي يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها، فقال له أحدهم: كم سنو القاضي؟ قال: فعلم أنه قد استصغر. فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على أهل البصرة.

حدثنا إبن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جمّالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فمطله بثمنها وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوروه، فقال: إذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، واخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فآتني حتى أشاور عليك، ففعل الرجل، فأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل فأخبره فقال: عُد إليه فقل له إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي، فأحضر وأوكل رجلاً بقبض المال وأخرج، فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقي لك من المال، ففعل ذلك، فحبسه القاضي فأخرجته أم جعفر وقالت: لهارون قاضيك حبس وكيلي، فمره لا ينظر في الحكم، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل: احضر لي شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين، فحضر، فقال للرجل: مكانك. فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب، فقرأه وقال للخادم: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم.

حدثنا المدايني قال: كان المطلب بن محمد الحنظبي على قضاء مكة، وكان عند امرأة قد مات عندها أربع أزواج، فمرض مرض الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

قال المؤلف: وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني. فقال له:

أوَليسَ قد طلقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلى اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

قال أبو محمد يحيى بن محمد من سليمان بن فهد الأزدي: حدثني من أثق به أن قاضياً من القضاة سألته زوجته أن يبتاع لها جارية، فتقدم إلى النخاسين بذلك، فحملوا إليه عدة جوار، فاستحسن أحداهن، فإشار على زوجته بها قال: ابتاعها لك من مالي؟ فقالت: ما لي إليه حاجة، ولكن خذ هذه الدنانير فابتعها لي بها، وأعطته مائة دينار، فأخذها فعزلها في مكان وخرج، فاشتراها لنفسه وأعطى ثمنها من ماله وكتب عهدتها باسمه، وأعلم الجارية بذلك سراً واستكتمها، فكانت زوجته تستخدمها، فإذا أصاب خلوة من زوجته وطئ على الجارية، فاتفق يوماً أنها صادفته فوقها، فقالت له: ما هذا ياشيخ سوء زان. أما تتقي الله أما أنت من قضاة المسلمين؟ فقال: أما الشيخ فنعم، وأما الزنا فمعاذ الله، وأخرج عهدة الجارية باسمه، وعرفها الحيلة، وأخرج دنانيرها بختمها، فعرفت صحة ذلك، ولم تزل تداريه حتى باعها.

أخبرنا التنوخي، عن أبيه قال: سمعت قاضي القضاة بالسائب يقول: كان ببلدنا همدان رجل مستور، فأحب القاضي قبول قوله، فسأل عنه فزكى له سراً وجهراً، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله، وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر، فيقيم الشهادة فيها، وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود، فلما أراد اقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل القاضي عن سبب ذلك، فقال: إنكشف لي أنه مراء، فلم يسعني

قبول قوله، فقيل له: وكيف؟ قالك كان يدخل إلي في كل يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان، فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً، فعلمت أنه متصنع، فلم أقبله.

قال أبو بكر الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: كان الأفشين يحسد أبا دلف ويبغضه للفروسية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه عنده بخيانة وقتل، فاحضر السيَّاف، فبلغ ابن أبي داود، فركب مع من حضر من عدوله، فدخل على الأفشين، ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تُحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تحمله إليه مُسلّماً، ثم التفت إلى العدول فقال: اشهدوا إني قد أديت الرسالة عن أمير المؤمنين إليه، فلم يقدم الأفشين عليه وسار ابن إبي داود إلى المعتصم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما اعتد بعمل خير خير منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوّب رأيه ووجه من أحضر القاسم، فأطلقه ووهب له، وعنّف الأفشين فيما عزم عليه.

قال ابن قتيبة: شهد الفرزدق عند بعض القضاة، فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس وزيدونا، فقيل له حين انصرف: والله ما أجاز شهادتك.

تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي، فادعى أحدهما على الآخر طنبوراً، وأنكر المدعى عليه، فقال المدعي: لي بينة، فجاء برجلين فشهدا، فقال المدعى عليه: أيها القاضي سلهما عن صناعتهما، فقال

أحدهما: أنا نباذ، وقال الآخر: هو قواد. فالتفت القاضي إلى المدعى عليه، فقال له: اتريد على طنبور أعدل من هذين؟ قم فأعطه طنبوراً.

اختصم رجلان في شاة وكل واحد منهما قد أخذ بأذنها، فجاء رجل، فقالا: قد رضينا بحكمك، يرجع فيما احكم به، فحلفا. فقال: خلياها فخلياها، فأخذ بأذنها وساقه، فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه.

قال المؤلف: بلغنا عن أبي عمر القاضي أنه قلد بعض الأعيان القضاء، فذكر عنده بأشياء لا تليق بالقضاء، فأراد صرفه فعوتب على ذلك، وقيل له: إن صح عندك ما رمي به فأعزله، فقال: ما صح عندي ولا بد من صرفه. قيل: ولم ذاك؟ قال: أليس قد احتمل عرضه أن يقال فيه مثل هذا، وتشبهت صورته بصورة من إذا رمي بهذا يغار أن يشك فيه، والقضاء أرق من هذا فصرفه.

دخل أحمد بن أبي داود على الواثق، فقال له: كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات، فذكرك بكل قبيح، فقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليّ ورغبتي عنه.

تقدم رجل إلى بعض القضاة ليشهد في كتاب بمهر. فقال له القاضي: ما اسمك؟ قال: المُسيب. فقال: اليوم لا.

الباب الثالث عشر
في سياق المنقول من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهاءها

فمن المنقول عن الشعبي، قال مجاهد: دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر، فغمض عينيه، فقال داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان الماء البارد، ثم قال: كم عطاك؟ قلت: ألفي درهم، فجعل يسار أهل الشام ويقول: لحن العراقي، ثم قال: كم عطاؤك لأرد قولي، فيغلظني، فقلت: ألفا درهم، فقال: ألم تقل ألفي درهم، فقلت: لحنت يا أمير المؤمنين فلحنت، لأنني كرهت أن تكون راجلاً وأكون فارساً. فقال: صدقت واستحيا.

من المنقول عن ابراهيم النخعي قال الشيخ: حدثنا المبارك بن علي قال: حدثنا جرير عن مغيرة قال: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه، وخرجت الخادم فقالت: اطلبوه في المسجد. قال القرشي: حدثني الأعمش عن إبراهيم قال: أتاه رجل فقال: إني ذكرت رجلاً بشيء، فبلغه عني، فكيف لي أن أعتذر إليه؟ قال: تقول والله إن والله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء. وقال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه قال: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول: إن سئلتم عني، فقولوا لا ندري أين هو، لإنكم إذا أخرجتم لا تدرون أين أكون.

ومن المنقول عن الأعمش أخبرنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً، فوجدناه قاعداً في ناحية، فجلسنا في ناحية أخرى، وفي الموضع خليج

من ماء المطر، فجاء رجل عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم عبّرني هذا الخليج، وجذب بيده، فأقامه وركبه، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِيْ سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ﴾[1] فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به وقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[2]. ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء.

حدثنا أبو بكر بن عياش قال: كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء، فقرؤا عليه، وكان أبو حصين إمامهم. فقال الأعمش يوماً: إن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم، حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه: إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر، فإذا كان غداً فاقرأ على الصافات وأهمز الحوت، فلما كان من الغد قرأ عليه الرجل الصافات وهمز الحوت، ولم يأخذ عليه الأعمش، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر، فلما بلغ الحوت همز، فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه، فقال له الأعمش: يا أبا فلان لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لقي الحوت من هذا المحراب، فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به، فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال، وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد.

---

(١) سورة الزخرف الآية رقم: ١٣.

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم: ٢٩.

أخبرنا أبو الحسن المدايني قال: جاء رجل إلى الأعمش، فقال يا أبا محمد: اكتريت حماراً بنصف درهم فأتيتك لأسألك عن حديث كذا وكذا، فقال: أكتر بالنصف وارجع.

ومن المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: أخبرنا ابن المبارك قال: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوى لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيأ يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بالخل، فقالوا له: تحسن كل شئ. فقال: عليكم بالشكر فإن هذا شئ أُلهمته لكم فضلاً من الله عليكم.

حدثنا محمد بن الحسن قال: دخل اللصوص على رجل، فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يعلم أحداً قال: فأصبح الرجل وهو لا يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل يُشاور أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أحضرني أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم، فأحضره إياهم فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم. قال: فاجمعوا كل ذي فجر عندكم وكل متهم فادخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوا واحداً واحداً، فقولوا هذا لصك، فإن كان ليس بلصه، وإن كان لصه فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فرد الله عليه جميع ما سُرق منه.

حدثنا حسين الأشقر قال: كان بالكوفة رجل من الطالبيين من خيارهم، فمر بأبي حنيفة، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد ابن أبي ليلى

قال: فإذا رجعت أحب أن أراك، وكانوا يتبركون بدعائه، فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام، وإذا رجع مر بأبي حنيفة، فدعاه وسلم عليه فقال له أبو حنيفة: ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى، فقال: شيء كتمته الناس، فأملت أن يكون لي عنده فرج. فقال أبو حنيفة: قل ما هو. قال: إني رجل موسر وليس لي من الدنيا إلا إبن كلما زوجته امرأة طلقها، وإن اشتريت له جارية أعتقها. قال: فما لي ما عندي في هذا شيء، فقال أبو حنيفة: اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك، فقرب إليه ما حضر عنده فتغدى عنده، ثم قال له: أدخل أنت وابنك إلى السوق فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها، فاشترها لنفسك لا تشترها له، ثم زوجها منه، فإن طلقها رجعت إليك، وإن أعتقها لم يجز عتقه، وإن ولدت ثبت نسبه إليك. قال: وهذا جائز؟ قال: نعم هو كما قلت، فمر الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره فقال: هو كما قال لك.

وعن أبي يوسف قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع: حاجب المنصور، وكان يُعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين: هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا مُتصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع، لا تعرّض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي. قال: لا.

ولكنك أردت أن تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي.

حدثنا عبد الواحد بن غياث قال: كان ابو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟ قال: بالحق. قال: انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

حدثنا علي بن عاصم قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال للحجام تتبع مواضع البياض لا تزد. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، فتتبع مواضع السواد لعله يكثر.

حدثنا يحيى بن جعفر قال: سمعت ابا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنها إلى بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت يا أعرابي، ما رأيك في السويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة. قلت بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

حدثنا عبد المحسن بن علي قال: ذكر أبو حنيفة وفطنته، فقال: استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر المستودع وجعل يحلف له، فانطلق الرجل إلى أبي

حنيفة يشاوره، فقال: لا تعلم أحداً بجحوده. قال: وكان المستودع يجالس أبا حنيفة، فخلا به وقال له: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبو حنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبو حنيفة: إذهب إليه وقل له: أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال: فذهب الرجل فقال له، فدفع إليه الوديعة، فلما رجع المستودع قال أبو حنيفة: إنني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

حدثنا ابن الوليد قال: كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يوماً لأبي حنيفة: إنني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبو حنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة، فقال له: إنني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله، فماذا ترى؟ قال: إحتل واقترض حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وإنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وإنه يريد حمل أهله معه، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاءوا إلى أبي

حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء. قالوا له: ما يُمكننا أن ندعها تخرج. فقال ثم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى ذلك. فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه، فقال له الفتى: وأنا أريد منهم شيئاً آخر فوق ذلك، فقال أبو حنيفة: أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك، وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يُمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال، فقال الرجل: الله الله لا يسمعوا بهذا، فلا آخذ منهم شيئاً، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

أخبرنا أحمد بن الدقاق قال: بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أبا حنيفة، فأوصاه أبو حنيفة، فقال: إذا دخلت عليَّ فضع يدك على ذكرك، ففعل ذلك، فلما سألوه عنه قال: قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم.

وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة: ليس هذا فقهاً فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى، ففعل الرجل ذلك، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله عز وجل.

ومن المنقول عن ابن عون قال أبو بكر القرشي: حدثنا ابن مثنى

أن ابن عون كان في جيش، فخرج رجل من المشركين، فدعا للبراز، فخرج إليه ابن عون وهو متلثم، فقتله ثم إندس فجهد الوالي أن يعرفه فلم يقدر عليه، فنادى مناديه أعزم على من قتل هذا المشرك إلا جاءني، فجاءه ابن عون فقال: وما على الرجل أن يقول أنا قتلته.

وعن يحيى بن يزيد قال: جاء شرطي يطلب رجلاً من مجلس ابن عون فقال: يا أبا عون فلاناً رأيته قال: ما في كل الأيام يأتينا فذهب وتركه.

ومن المنقول عن هشام بن الكلبي أخبرنا محمد بن أبي السري قال، قال لي هشام بن الكلبي: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوماً في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة.

ومن المنقول عن عمارة بن حمزة، بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور، فجلس على مرتبته المرسومة له، فقام رجل فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. فقال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: قم يا عمارة فاجلس مع خصمك، قال: ما هو لي بخصم. قال: وكيف وهو يتظلم منك؟ قال: إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة.

ومن المنقول عن ابن المبارك رضي الله عنه. قال ابن حميد: عطس

رجل عند ابن المبارك. فلم يحمد الله، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد لله. قال: يرحمك الله.

ومن المنقول عن أبي يوسف رحمه الله تعالى حدثنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبي قال: كان عند الرشيد جارية من جواريه وبحضرته عقد جوهر، فأخذ يقلبه ففقده فاتهمها، فسألها عن ذلك، فأنكرت فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقنه، فأقامت على الإنكار وهو متهم لها، وخاف أن يكون قد حنث في يمينه، فاستدعى أبا يوسف وقص عليه القصة، فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرج من يمينك، ففعل ذلك. فقال لها أبو يوسف: إذا سألك أمير المؤمنين عن العقد فأنكريه، فإذا أعاد عليك السؤال فقولي قد أخذته، فإذا أعاد عليك الثالثة فأنكري، وخرج. فقال للخادم: لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى. وقال للرشيد: سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد، فإنها تصدقك، فدخل الرشيد فسألها، فأنكرت أول مرة، وسألها الثانية، فقالت: نعم قد أخذته، فقال: أي شيء تقولين؟ فقالت: والله ما أخذته ولكن هكذا قال لي أبو يوسف، فخرج إليه فقال: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد خرجت من يمينك لأنها أخبرتك أنها قد أخذته، وأخبرتك أنها لم تأخذه، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين، وقد خرجت أنت من يمينك فسُرَّ ووصل أبا يوسف، فلما كان بعد مدة وجد العقد.

وبلغنا أن الرشيد قال لأبي يوسف: ما تقول في الفالوذج واللوزينج أيها أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا أقضي بين غائبين عني

فأمر بإحضارهما، فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصَّف جاميهما، ثم قال يا أمير المؤمنين: ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

ومن المنقول عن يزيد بن هارون، قال أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان قال: قال لي يزيد بن هارون: أنت أثقل عندي من نصف رحى البزر. قلت: يا أبا خالد، لِمَ لَمْ تقل من الرحى كله؟ فقال: أنه إذا كان صحيحاً تدحرج، وإذا كان نصفاً لم يُرفع، إلا بجهد.

ومن المنقول عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، حدثنا الحسن بن الصياح قال: لما أن قدم الشافعي إلى بغداد، وأوفق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد. قال: فبكر الناس ليهنوا الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، فجعل الناس يقولون: كيف ندعو لهما فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة، وإن لم ندعو لهما كان تقصيراً قال، فدخل الشافعي، فجلس فقيل له في ذلك، فقال: الله الموفق، فلما أذن دخل الناس، فكان أول متكلم الشافعي فقال:

لا قَصَّـرا عنـها ولا بَلَغْـتَهَـا   حتّى يطولَ على يديْك طُولُهَـا

قال عبد العزيز بن أبي رجاء: سمعت الربيع يقول، مرض الشافعي، فدخلت عليه، فقلت يا أبا عبد الله: قوى الله ضعفك. فقال: يا أبا محمد، والله لو قوّى الله ضعفي على قوتي أهلكني. قلت يا أبا عبد الله: ما أردت إلاَّ الخير، فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمت إنك لم ترد إلاَّ الخير.

قال المؤلف: من فقه الشافعي رضي الله عنه أنه أخذ بظاهر

اللفظ، فعلم أنه إذا قوي الضعف حصل الأذى. وقد جاءني حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه علَّم رجلاً دعاء فقال قل: «اللهم قوِّ في رِضَاكَ ضَعْفي»، إلاَّ أن معناه قوِّ ما ضعف. وفي هذا نوع تجوز. والربيع تجوز، والشافعي قصد الحقيقة.

حدثنا الربيع قال: رأيت الشافعي وقد جاءه رجل يسأله عن مسألة، فقال: من أهل صنعاء أنت؟ قال: نعم. قال: فلعلك حداد؟ قال: نعم.

حدثنا حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال: حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها. قال: تأكل نصفها وترمي نصفها.

قال المؤلف: وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه. وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيراً لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلاَّ الفطن، فتذكر منه هاهنا مسائل لأن ذكر مثل هذا ينبه الفطن.

فمنها: إذا قال لزوجته وهي في ماء إن أقمت في هذا فأنتِ طالق، وإن خرجت منه فأنتِ طالق، فإننا ننظر فإن كان الماء جارياً ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت، وإن كان راكداً فالحيلة أن تحمل في الحال مكرهة، فإن كانت على سلم فقال لها إن صعدت فيه أو نزلت أو أقمت أو رميت نفسك أو حطك أحد فأنتِ طالق، فإنها تنتقل إلى سلم آخر، فإن أكل رطباً كثيراً، ثم قال: أنتِ طالق إن لم تخبريني بعدد ما أكلت، فخلاصها أن تعد من واحد إلى عدد يتحقق أن

ما أكله قد دخل فيه، فإن أكل رطباً، فقال لها: أنت طالق إن لم تميزي نوى ما أكلتُ من نوى ما أكلتِ، وقد اختلط، فإنها تفرد كل نواة على حدة، فإن قال لها: أنت طالق إن لم تصدقيني هل سرقت مني أم لا، فإنها إذا قالت سرقتُ ما سرقت لم تطلق، فإن كان له ثلاث زوجات، فاشترى لهن خمارين، فاختصمن عليهما، فقال: أنتن طوالق إن لم تختمر كل واحدة منكن عشرين يوماً في هذا الشهر، فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى بالخمارين عشرة أيام، ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ويبقى خمار الوسطى إلى تمام عشرين يوماً، ثم تأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر.

مسألة: إذا سافر بالنسوة سفراً قدره ثلاثة فراسخ، ومعه بغلان، فاختصمن على الركوب، فحلف بالطلاق لتركبن كل واحدة منكن فرسخين، فتركب الكبرى والوسطى فرسخاً ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها، وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين. والله أعلم.

مسألة: إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة عشرة ملأى وعشرة في كل واحدة نصفها وعشرة فرغ، ثم قال: أنتن طوالق إن لم أقسمها بينكن بالسوية من غير أن أستعين على القسمة بميزان ولا مكيال، فإنه يملأ خمساً من المنصفات بالخمس الأخر، ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فرغاً.

فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء، فقال: اسقنيه فامتنعت، فحلف بالطلاق لا شربت هذا الماء، ولا أرقتيه ولا تركتيه في الإناء ولا فعل

غير ذلك، فالحيلة أن تطرح في الإناء ثوباً يشرب الماء، ثم يجفف في الشمس.

فإن حلف رجل أن امرأته بعثت إليه قد حرمت عليك وتزوجت بغيرك، وأوجبت عليك أن تبعث لي نفقتي ونفقة زوجي، فهذه امرأة زوَّجها أبوها من مملوكه، ثم بعث بالمملوك في تجارة، فمات الأب، فإن البنت ترثه وينفسخ نكاح العبد، وتقضي العدة، وتتزوج برجل، فتبعث إليه أنفذ لي المال الذي معك فهو لي.

فإن كان له زوجتان إحداهما في الغرفة، والأخرى في الدار، فصعد في الدرجة فقالت كل واحدة إليَّ، فحلف لا صعدت إليك ولا نزلت إليك ولا أقمت مكاني ساعتي هذه، فإن التي في الدار تصعد والتي في الغرفة تنزل، وله أن يصعد أو ينزل إلى أيتهما شاء.

فإن حلف على زوجته لا أدخل بيتك بارية ولا وطئتك إلا على بارية فوطئها في البيت ولم يحنث، فوجهه أن يحمل إلى بيته قصباً وينسج له الصانع بارية في البيت ويطأها عليها.

فإن حلف لابد أن يطأ زوجته نهار يوم ولا يغتسل فيه من جنابة مع قدرته على استعمال الماء، ولا تفوته الصلاة في الجماعة مع الإمام فإنه يصلي مع الإمام الفجر والظهر والعصر، ومن يطأ بعد العصر فإذا غربت الشمس اغتسل وصلى مع الإمام.

فإن حلف إني رأيت رجلاً يصلي إماماً بنفسين وهو صائم، فالتفت عن يمينه، فنظر إلى قوم يتحدثون، فحرمت عليه امرأته وبطل صومه، ووجب جلد المأمومين ونقض الجامع، فهذا رجل تزوج بامرأة

قد غاب زوجها، وشهد المأمومان بوفاته وأنه وصى بداره أن تجعل مسجداً وكان مقيماً صائماً، فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم والناس يقولون خرج يوم الصوم وجاء يوم العيد، وهو لم يعلم بأن هلال شوال قد رؤي، ورأى إلى جانبه ماء وعلى ثوبه نجاسة، فإن المرأة تحرم عليه بقدوم زوجها وصومه يبطل بكون اليوم عيداً، وصلاته تبطل برؤية الماء، ويجلد الرجلان لكونهما شاهدي زور، ويجب نقض المسجد لأن الوصية ما صحت والدار لمالكها.

فإن كان عنده تمر وتين وزبيب ووزن الجميع عشرون رطلاً فحلف أنه باع التمر كل رطل بنصف درهم، والتين كل رطل بدرهمين، والزبيب كل رطل بثلاثة دراهم، فجاء ثمن الجميع عشرين درهماً، فإنه قد كان التمر أربع عشرة رطلاً، والتين خمسة أرطال، والزبيب رطل واحد.

ومن المنقول عن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، قال محمد ابن يحيى النديم: حدثنا المبرد قال: سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شئ فقال: لا. وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. فقال: لله درك ما وضعت واو قط موضعاً أحسن منها في هذا الموضع ووصله وجمله.

ومن المنقول عن أبي العيناء، أخبرنا محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو العيناء قال: قال المتوكل قد أردتك لمجالستي، فقل: لا أطيق ذلك ولا أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف، ولكنني محجوب والمحجوب تختلف إشارته، ويخفى عليه الايماء، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان، ووجهك راض، وبكلام راض ووجهك غضبان، ومتى لم

أميز هذين هلكت. قال: صدقت، ولكن تلزمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم.

قال: وروي أن المتوكل قال: اشتهي أن أنادي أبا العيناء لولا أنه ضرير. فقال أبو العيناء: إن عفاني أمير المؤمنين من رؤية الهلال ونقش الخواتم، فإني أصلح.

وبلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبد الله بن سليمان، فقال: ألم يكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل في أمرك؟ قال: جرني على شوك المطل. قال: أنت أخترته. قال: وما عليَّ وقد أختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً، واختار علي أبا موسى، فحكم عليه.

شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال، فقال أبو العيناء: لأراني الله يوم فراغك. وقيل لأبي العيناء: بقي من يلقى؟ قال: نعم في البئر، وسأل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم، وعن حماد بن سلمة ابن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين أبوابهما في الصرف.

ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حدثنا غلام لابن المزوق البغدادي قال: كان مولاي مكرماً لي، فاشترى جارية وزجنيها فأحببتها حباً شديداً، وأبغضتني بغضاً شديداً عظيماً، وكانت تنافرني دائماً واحتملها إلى أن أضجرتني يوماً، فقلت لها: أنتِ طالق ثلاثاً إن خاطبتيني بشئ إلاّ خاطبتك بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك، فقالت لي في الحال: أنت طالق ثلاثاً بتاتاً. قال: فأبلست ولم أدرِ ما

أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت، فتصير بذلك طالقاً مني، فأرشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها أنت طالق ثلاثاً إن أنا طلقتك، فتكون قد خاطبتها به وفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الإيمان.

ومن المنقول عن علي بن عيسى الربعي أنه كان يمشي على دجلة، فرأى الرضي والمرتضي في سفينة ومعهما عثمان بن جني، فقال: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعلي يمشي على الشط بعيداً عنهما.

ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي الله عنه حدثني أزهر بن عبد الوهاب قال: جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء، ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟ قال له: لا تصل، فقيل له: كيف هذا؟ قال لأن النبي ﷺ قال: «رُفِعَ القلمُ عَنْ ثلاثٍ عَنِ الصبِّي حتى يبلغ وعن النائم حتى ينتبه وعن المجنون حتى يفيق» ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل، فهو مجنون.

قال: حدثني ابو حكيم إبراهيم بن دينار، عن ابن عقيل قال: بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد، فخرجت متطيلساً، فجلست على تل في طريقه، فلما وصل سأل عني، فقيل هذا ابن عقيل، فانحرف فنزل وجلس معي، وقال: كنت أحب أن ألقاك وسألني عن مسائل في الطهارة، ثم قال لخادمه: أي شئ معك؟ فأخرج خمسين دينار، فقال: تقبل هذه. فقلت: لست بمحتاج، فإن أمير

المؤمنين لا يحوجني إلى أحد ولا أقبلها، فلما انصرفت إلى المنزل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلي. قال: وأنا علمت أن ثم من هو عين للخليفة يخبره بما جرى.

وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوَّق يوماً عن الجمعة فجاؤه يستوحشون له، فقال: أنا صليت عند الصناديق. واحتبس يوماً فاستوحشوا له، فقال: أنا صليت عند المنارة وإنما عني صناديق بيته ومنارة بيته.

ومن المنقول عن بعض الفقهاء، أن رجلاً قال له إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها. قال: توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

الباب الرابع عشر
في سياق المنقول من ذلك
عن العباد والزهاد

حدثنا جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: إعتللت بطرسوس علة الذرب، فدخل عليّ هؤلاء القراء يعودوني، فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددت يدي فقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول، قيل لي: إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت: يا أستاذي إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي، فأحب أن تعلمني إياه قال؛ فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني قال، فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط؟ قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه. قال، فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى أي شئ هي فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت. قال؛ فاغتظت غيظاً شديداً وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما أن رآني عرف ما في وجهي، فقال: يا أحمق، إنما جربناك إئتمنتك على فأرة، فخنتني أفأئتمنك على اسم الله الأعظم؟ مر عني، فلا أراك.

الباب الخامس عشر
في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية

حدثنا على بن المغيرة قال: لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسّم ماله بين بنيه وهم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار، فقال: يا بنيّ، هذه القبة الحمراء وهي من أدم وما أشبهها من المال لمضر، فسمي مضر الحمراء. وهذا الخباء الأسود وما أشبه من المال لربيعة فأخذ خيلا دهماً فسمي ربيعة الفرس. وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وكانت الخادم شمطاء، فأخذ إياد البلق. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فأخذ أنمار ما صار له. وقال لهم: إن أشكل الأمر عليكم في ذلك واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلاء قد رعى، فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور: فقال ربيعة: وهو أزور، وقال إياد: وهو أبتر، وقال إنمار: وهو شرود، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. قال: إياد: هو أبتر؟ قال: نعم. قال أنمار هو شرود؟ قال: نعم. هذه و الله صفة بعيري دلوني عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته، فساروا حتى قدموا على نجران، فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البعير أصحاب بعيري وصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم نره. فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه، فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً، فعرفت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت

إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئته لازوراره. وقال إياد: عرفت بتره بإجتماع بعره ولو كان ذيالاً لمصع بعره به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته، ثم يجوز إلى مكان آخر أرق منه وأخبث. فقال الشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فأطلبه. ثم سألهم من هم؟ فأخبروه فرحب بهم وقال: تحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا، فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر. وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة. وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً سرياً لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له. وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا. فلما سمع صاحبهم كلامهم، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين، فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملك ولا يولد له ولد، فكرهت أن يذهب المُلك فأسكنت رجلاً نزل بهم من نفسها، فوطئها، وقال للقهرمان: الخمر التي شربناها ما أمرها؟ قال: من حبة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم ما أمره؟ فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم شئ غيرها. فأتاهم فقال: قصوا قصتكم، فقصوا عليه ما وصى به أبوهم وما كان من اختلافهم، فقال: ما اشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والابل وهن حمر فسميت مضر الحمراء، وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة الفرس، وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق، فهو لإياد، فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر. وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك.

قال مؤلف الكتاب: واعلم أن العرب تضرب المثل للذكي بالدهاء، فيقولون: أدهى من قيس بن زهير وهو سيد عبس، وكان شديد الذكاء، ومن كلامه أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونذل شبع، وأمة ورثت وقبيحة تزوجت.

عن الشعبي قال: خرج عمرو بن معد يكرب يوماً حتى انتهى إلى حي، فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته، فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: عمر بن معد يكرب. قال: يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهداً، فأنت أعلم، فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت.

عن أبي حاتم الأصمعي قال: حدثنا شيخ من بني العنبرة قال: أسرت بني شيبان رجلاً من بني العنبر، فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفدوني. قالوا: ولا تكلم الرسول إلاّ بين أيدينا، فجاؤه برسول فقال: له: ائت قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق، وإن النساء قد اشتكت، ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم أعقل. قال: فما هذا وأشار بيده؟ قال: هذا الليل. قال: أراك تعقل انطلق، فقل لأهلي عرُّوا جملي الأصهب، وأركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري. فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقص عليهم الرسول القصة، فلما خلا معهم قال:

أما قوله إن الشجر قد أورق، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا. وقوله أن النساء قد اشتكت، فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكل للغزو وهي الأسقية. وقوله هذا الليل، يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل. وقوله عروا جملي الأصهب يريد ارتحلوا عن الصمان. وقوله: اركبوا ناقتي يريد اركبوا الدهناء، فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم، فأتاهم القوم، فلم يجدوا منهم أحد.

قال مؤلف الكتاب: وبلغني عن أبي الأعرابي قال: أسرت طيئ رجلاً شاباً من العرب، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء، فأعطيا به عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيئ لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرفا، فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجون، فما لبث أن جاء وطرد قطعة من إبلهم، فذهب بها كأنه قال له إلزم الفرقدين على جبل طيئ فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه.

حدثنا ابن الأعرابي عن بعض مشايخه: أن رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة وكان غيوراً فابتنى لها في داره صومعة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وإن فتى من كنانة مرّ بالصومعة، فنظر إليها ونظرت إليه، فاشتد وجد كل واحد منهما بصاحبه ولم يمكنه الوصول إليها، وأنه افتعل بيتاً من الشعر ودعا غلاماً من الحي، فعلمه البيت وقال له: ادخل هذه الدار وأنشد كأنك لاعب، ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومئ في ذلك إلى أحد، ففعل الغلام ما

أمر به، وكان زوج الجارية قد أزمع على سفر بعد يوم أو يومين، فأنشد الغلام يقول:

لَحَى الله مَنْ يُلحي على الحبِّ أهله وَمَنْ يمنعُ النفس اللجوجَ هَوَاهَا

قال: فسمعت الجارية ففهمت، فقالت:

ألا إنمّـــا بيــن التفــرُّق ليـــلة وتُعْطى نُفُوس العـاشقينَ مُنَاها

قال: فسمعت الأم ففهمت، فأنشأت تقول:

ألا إنَّمـا تَعنـون نـاقة رحْلِـكُم فَمَن كـانَ ذا نُوق لـديه رَعَاهَا

قال، فسمع الأب، فأنشأ يقول:

فإنَّـا سَنَرعـاها ونُـوثِقُ قَيْدَهـا ونطردُ عنهـا الوَحْشَ حين أتَاها

فسمع الزوج ففهم، فأنشأ يقول:

سَمِعتُ الَّذي قُلْتم فها أنا مُطَلِّقٌ فَـتَاتُكُـم مَـهْـجُورةٌ لِبَـلاَهَا

قال: فطلقهـا الـزوج وخطبهـا ذلـك الفتـى وأرغبهـم في المهـر فتزوجها.

حدثنا العتبي قال: اشتد الحر عندنـا بـالبصرة ليلـة، وركـدت الريح، فقيـل لأعرابي: كيف هواؤكم البارحة؟ قـال: امسـك كأنـه يستمع.

حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: وقف أعرابي على قوم فقال: رحمكم الله إني من أبناء سبيل وافضاء سفر، فرحم الله أمرأ أعطى من سعة وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهماً فقال له: آجرك الله من غير أن يبتليك.

عن ابن الأعرابي قال، قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم فتجاعلا جعلاً، فلما شربه أذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: قدم إعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر قال: فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وابنتان منها، قال: فقلت لإمرأتي اشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي، قال: فدفعنا إليه الدجاجة، فقلنا اقسمها بيننا نريد بذلك أن نضحك منه قال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم قلنا: فإنا نرضى. قال: فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، ثم ناولنيه، وقال: الرأس للرئيس، ثم قطع الجناحين قال: والجناحان للإبنين، ثم قطع الساقين فقال: والساقان للإبنتين، ثم قطع الزمكي وقال: العجز للعجوز، ثم قال: الزور للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها، فلما كان من الغد قلت لامرأتي: أشوي لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلنا اقسم بيننا قال: أظنكم وجدتم من قسمتي أمس. قلنا: لا. لم نجد، فاقسم بيننا، فقال: شفعاً أو وتراً قلنا: وتراً. قال: نعم. أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية، ثم قال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال: ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي. الوتر ما تجيء إلا هكذا، قلنا: فاقسمها شفعاً. قال: فقبضهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة،

ورمى إليه بدجاجة، والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمى إليهم بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله أنت فهمتها لي.

قال، قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كل شئ مني في إدبار وإدباري في إقبال.

حدثني مهدي بن سابق قال: أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿والزيتون وطور سينين﴾. قال الرجل: فأين التين؟ قال: التين تحت كسائك.

حدثنا عيسى بن عمر قال: ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. قال، فقال الأعرابي: فلا جرم، فهل أديتم ديته؟ فقالوا: لا. فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليَّ ديته، فما خرجوا حتى دفعوها له.

حدثنا ابن قتيبة قال: كان أبو العاج على حوالي البصرة، فأتى برجل من النصارى، فقال: ما اسمك؟ فقال: بندار شهر بندار فقال: أنتم ثلاثة وجزية واحدة. لا والله العظيم، فأخذ منه ثلاث جزى. قال: وولي تبالة، فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير ولاني بلدكم وإني والله ما أعرف من الحق موضع صوتي هذا، ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً، فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه.

قال: روي أن أعرابياً جاء إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن ناقتي سرقت، فادع الله أن يردها عليَّ فقال: اللهم إن ناقة هذا الفقير سرقت ولم ترد سرقتها، اللهم ارددها عليه، فقال الأعرابي: يا شيخ، الآن ذهبت ناقتي ويئست منها. قال: وكيف؟ قال: لأنه إذا أراد أن لا تسرق فسرقت لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع، ونهض من عنده منصرفاً.

استأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى ولكنني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إلى الملك سدتهم، فقال كسرى زه احشوا فاه دراً.

قال الجاحظ. قال رجل لأعرابي: أتهمز اسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء. قال: تجر فلسطين؟ قال: إن إذن لقوي، قال: كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنوي رقعة فيها:

رأيتُ في النّوم أنى مالِكٌ فرساً ... ولى نصيف وفي كفّى دنانيرُ
فقال قومٌ لهم عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ... رأيت خيراً وللأحلام تفسيرُ
أقْصِصْ مَنَامَك في دَار الأمير تَجدْ ... تحقيقَ ذاك وللفَال التّباشيرُ

فلما قرأها كتب في ظهرها: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف الآية رقم: ٤٤.

قال: أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له. قال: كيف تراه؟ قال: أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك، لأنك لو تركته لأورثك الشك.

قيل: نزل أعرابي في سفينة، فاحتاج إلى البراز، فصاح الصلاة الصلاة، فقربوا إلى الشط، فخرج فقضى حاجته، ثم رجع، قال: ادفعوا فصلاتكم بعد وقت.

وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: إسمي وثيق، وقال الآخر: منيع، وقال الآخر: إسمي ثابت، وقال الآخر: إسمي شديد. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم.

قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه: من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له؟ وكان فيهم أعرابي، فقال: ألقه يا أحول، فقال: خذه قاتلك الله.

وقف أبو العيناء على باب صاعد، فقيل له: وهو يصلي فانصرف وعاد، فقيل له: في الصلاة، فقال: لكل جديد لذة.

سئل الحسن: لأي شيء استحب صوم أيام البيض؟ فقال: لا أدري. فقال أعرابي في حلقته: لكني أدري. قال: وما هو؟ قال: لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن، فأحب الله عز وجل أن لا يُحدث في السماء أمر إلا حدثت له في الأرض عبادة.

حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك، فجعل يمد يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما بين يديك، فقال: من أجدب انتجع، فشق

ذلك على سليمان وقال: لا يعد إلينا.

ودخل أعرابي آخر، فمد يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما يليك. فقال: من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

حدث ابن المدبر قال: إنفرد الرشيد، وعيسى بن جعفر بن المنصور، والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابياً فصيحاً، فولع به عيسى إلى أن قال له: يا ابن الزانية. فقال له: بئس ما قلت قد وجب عليك ردها أو العوض، فارض بهذين المليحين يحكمان بيننا. قال عيسى: قد رضيت، فقالا للأعرابي: خذ منه دانقين عوضاً من شتمك، فقال: هذا الحكم؟ قال: نعم. قال: فهذا درهم خذوه، وأمكم جميعاً زانية، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي، وضمه الرشيد إلى خاصته.

سمع أعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قال: من نوي حجة وعاقه عنه عائق كتبت له. فقال الأعرابي: ما وقع العام كراء أرخص من هذا.

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال: سمنت فأهزلتني أراني الله فيك السبل.

ودعا أعرابي على عامل، فقال: صب الله عليك الصادات. يعني الصفع والصرف والصلب.

وقال أعرابي: اللهم من ظلمني مرة فأجزه، ومن ظلمني مرتين فأجزني وأجزه، ومن ظلمني ثلاث مرات فأجزني ولا تجزه.

وقال أعرابي لإمرأته: أين بلغت قدركم؟ قالت: قد قام خطيبها تعني الغليان.

وقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيئ، فقال: ما منع طيئاً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم، فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة.

وقال الأصمعي: سألت أعرابية عن ولدها كنت أعرفه، فقالت: مات والله وقد آمنني الله بفقده المصائب ثم قالت:

وكُنْتُ أخافُ الدَّهْرَ ما كان باقياً فَلمّا تولّى ماتَ خَوْفي مِنَ الدّهْر

سمع ابن الأعرابي رجلاً يقول: أتوسل إليكم بعلي ومعاوية. فقال له: جمعت بين ساكنين.

الباب السادس عشر
في ذكر من أحتال بذكائه
لبلوغ غرض

حدثنا محمد بن سعد قال: كان الهرمزان من أهل فارس، فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزدجرد من حلوان إلى أصبهان، ثم أتى أصطخر، ووجه الهرمزان إلى بلدة تستر، فضبطها وتحصن في القلعة، وحاصرهم أبو موسى، ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر، فبعث أبو موسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب، فقدم بهم المدينة في زيِّهم ذلك، فجعل الناس يعجبون، فأتوا بهم منزل عمر، فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه، فقال الهرمزان بالفارسية: قد ضل ملككم، فقيل لهم: هو في المسجد، فدخلوا فوجدوه نائماً متوسداً رداءه، فقال الهرمزان: إن هذا ملككم. قالوا: هذا الخليفة. قال: أما له حاجب ولا حارس؟ قالوا: الله حارسه حتى يأتي عليه أجله. فقال الهرمزان: هذا الملك الهني، فقال عمر: الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام، فاستسقى الهرمزان، فقال عمر: لا يجمع عليك القتل والعطش، فدعا له بماء، فأمسك بيده، فقال عمر: اشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه، فرمى بالإناء من يده، فأمر عمر بقتله، فقال: أولم تؤمني؟ قال: وكيف؟ قال: قلت لي لا بأس عليك، فقال الزبير وأنس وأبو سعيد: صدق. فقال عمر: قاتله الله أخذ أماناً ولا أشعر، ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان.

عن عبد الملك بن عمير قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث بن كعب، فإني ذكرت امرأة

منهم وعندي شاب من بني الحرث، فقال أيها الأمير: إنه لا خير لك فيها. فقلت: ولم؟ قال: رأيت رجلاً يقبلها، فأقمت أياماً، ثم بلغني أن الفتى تزوج بها، فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يُقبلها؟ قال: بلى. رأيت أباها يُقبلها، فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

قال الهيثم: وأخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي، عن أبيه: أن رجلاً خطب إلى قوم، فقالوا: ما تعالج؟ قال: أبيع الدواب فزوجوه، ثم سألوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير، فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب وأنفذ تزويجه.

أخبرنا الأصمعي أن محمد بن الحنفية أراد أن يقدم الكوفة أيام المختار، فقال المختار حين بلغه ذلك: إن في المهدي علامة يضربه رجل في السوق بالسيف فلا يضره، فلما بلغ ذلك محمد أقام ولم يقدم الكوفة.

أخبرنا داود بن الرشيد قال، قلت للهيثم بن عدي: بأي شئ استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قال، قلت: والله قد أحببت ذلك. قال: اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: أستأذن على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكروني له، فقال له الربيع: يا هذا، إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه

لهم غيرهم، فاحتل بحيلة هي أرد عليك من هذه. فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه، فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم، فقد احتالوا لكم بكل ضرب. قال له: هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليه، فقال له المهدي: ويحك يا ربيع إني والله أرى الرؤيا لنفسي، فلا تصح لي، فكيف إذا ادعاها من لعله قد افتعلها؟ قال: والله قلت له مثل هذا، فلم يقبل. قال: هات الرجل، فأدخل إليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية وجمال ومرؤة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك. ماذا رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي، فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب يواقيت، ثم يعدها، فيجدها ثلاثين ياقوتة، كأنها قد وهبت له، فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك، لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت. قال له سعيد: يا أمير المؤمنين، فما أصنع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفراً؟ قال له المهدي: فكيف نعمل؟ قال: يعجل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم، فقبض المال، وقيل: من يكفل بك، فمد

عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفل لي، فقال له المهدي: أتكفل به؟ فاحمر وخجل وقال: نعم. وكفله وانصرف، فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً حرفاً وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مصداق ما قلت لنا؟ قال له سعيد: وما رأى أمير المؤمنين شيئاً؟ فضجع في جوابه. فقال سعيد: إمرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً. قال له المهدي: ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق. قال: لأنني أحلف على صدق. قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك مبيناً. فقال له سعيد: الله أكبر، فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني، قال له: حباً وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة، فأخذ ذلك وانصرف، فلحق به الخادم الذي كان كفل به، وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟ قال له سعيد: لا والله. قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له. قال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله، وحدَّث به نفسه، وأسرَّ به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نام خيل له ما حل في قلبه، وما شغل به فكره في المنام. قال له الخادم: فقد حنثت بالطلاق. قال: طلقت واحدة، وبقيت معي على إثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم، وأتملس وأتحصل على عشرة آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب. قال: فبهت الخادم في وجهه وتعجب من ذلك، فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي، فاستر عليَّ ذلك،

ففعل ذلك، فطلبه المهدي لمنادمته، فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على عسكر المهدي، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

قال مؤلف الكتاب: هكذا رويت لنا هذه الحكاية.

عن عاصم الأحول قال: حدثنا سمير أن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوجك حتى تطلق. قال: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه وأقام على امرأته وادعى القوم الطلاق، فقال لهم: كيف قلت؟ قالوا: قلنا لا نزوجك حتى تطلق ثلاثاً، فقلت: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً. فقال: أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال: فقد طلقت ثلاثاً. قالوا: ما هذا أردنا، فلما وفد شقيق بن ثور إلى عثمان وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك، فجعلها نية.

عن عوف بن مسلم النحوي، عن أبيه قال: خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك، فرأوا شيخاً ومعه غلام، وقد كان العدو ندر بهم، فهربوا فقال عمر يا شيخ: دلنا على قومك وأنت آمن. قال: أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني، ولكن أقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق الغلام، فقال الشيخ: إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت. والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها، فضرب عنقه.

حدثنا الحسن بن عمارة قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك؟ فقال: حدثني. فقلت: حدثني الحكم بن عتبة، عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علياً

عليه السلام يقول: ما أخذ الله عز وجل على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال: فحدثني أربعين حديثاً.

حدثنا الحميدي قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد، فقال له: أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدثنا في زمزم أنه لما شرب له، فقال سفيان: نعم، فقال إني قد شربت الآن دلواً من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث، فقال سفيان: اقعد، فحدثه بمائة حديث.

حدثنا ابن أبي ذر قال: كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عال ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال: يا أبا محمد، حدثني فحدثه أحاديث، فقال: زدني فزاده، فقال: زدني فزاده، فدفعه في صدره، فوقع إلى الوادي، فتفاشى ذلك، فاجتمع الحاج وقال: سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل إلى الرجل، فترك رأسه في حجره وقال: مالك؟ أي شيء أصابك؟ فلم يزل يركض رجليه ويزبد من فيه. قال: وكثر الضجيج، سفيان بن عيينة قتل رجلاً، فقال له: قم ويلك أما ترى الناس ما يقولون؟ فقال له وهو يخفي صوته: لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقام.

قال المحسن بن علي التنوخي، عن أبيه قال: حججت في موسم اثنين وأربعين، فرأيت مالاً عظيماً وثياباً كثيرة تفرق في المسجد الحرام، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: بخرسان رجل صالح عظيم النعمة والمال يقال له

علي الزراد أنفذ عام أول مالاً وثياباً إلى ههنا مع ثقة له، وأمره أن يعتبر قريشاً، فمن وجده منها حافظاً للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوباً. قال، فحضر الرجل عام أول، فلم يجد في قريش البتة أحداً يحفظ القرآن إلا رجلاً واحداً من بني هاشم، فأعطاه قسطه، وتحدث الناس بالحديث ورد باقي المال إلى صاحبه، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب، فوجد خلقاً عظيماً من بطون قريش قد حفظوا القرآن، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته، وأخذوا الثياب والدراهم، فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ، وهم يطالبونه. قال، فقلت: لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له.

حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: كنت في بيت عمتي ولها بنون، فسألت عنهم فقالوا: قد مضوا إلى عبد الله بن داود فأبطؤا ثم جاؤا يذمونه، وقالوا طلبناه في منزله فلم نجده، وقالوا: هو في بُستينة له فقصدناه، وسلمنا عليه، وسألناه أن يحدثنا فقال: متعت بكم أنا في شغل عن هذا. هذه البستينة لي فيها معاش، وتحتاج أن تسقي وليس لنا من يُسقيها، فقلنا: نحن نديز الدولاب ونسقيها، فقال: إن حضرتكم نية فافعلوا، فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان، ثم قلنا له: حدثنا الآن فقال: متعت بكم ليس لي نية في أن أحدثكم، وأنتم كانت لكم نية تؤجرون عليها.

أخبرنا علي بن المحسن، عن أبيه قال: أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان. أحدهما يتوسل بأمير المؤمنين علي، والآخر بمعاوية، ويتعصب لهما الناس، ويجمعان

القطع، فإذا انصرفا فيقتسمان القطع، وكانا يحتالان بذلك على الناس.

حدثنا عبد الواحد بن محمد الموصلي، حدثنا بعض فتيان الموصلي قال: لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل، فدخلت لأنهب، فوجدت كيساً فيه أكثر من ألف دينار، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك، فيبصرني بعض الجهد، فيأخذه مني، فطفت الدار، فوقعت على المطبخ، فعمدت إلى قدرة كبيرة فيها سكباج، فطرحت الكيس فيها، وحملتها على يدي، فكل من استقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة التي سلمت إلى منزلي.

وحدثني أبو الحسن بن عباس القاضي قال: رأيت صديقاً على بعض زوارق الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح، وهو يكتب رقعة، فقلت: ويحك في هذا الموضع وهذا الوقت. قال: أريد أن أزور على رجل مرتعش ويدي لا تساعدني، فتعمدت الجلوس ههنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح فيجيء خطي مرتعشاً فيشبه خطه.

قال المحسن: وحدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن قال: خرج بعض حذاق المكيدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما حصل بها قال: إن هذا بلد حماقة وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني، فقالت: شأنك. قال: كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتة، فإذا كان كل يوم فخذي لي ثلثي رطل زبيب وثلثي رطل لوز آنياً، فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة جديدة نظيفة لأعرفها في الميضاة الفلانية، وكانت قريبة من الجامع. ولا تزيديني على هذا شيئاً ولا تمري بناحيتي،

فقالت: أفعل وجاء هو فأخرج جبة صوف كانت معه، فلبسها وسراويل صوف ومئزر، وجعلها على رأسه، ولزم اسطوانة يمر الناس عليها، فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع لا يستريح إلا في الأوقات المحظور فيها الصلاة، فإذا جلس فيها سبح ولم ينطق بلفظة، فتنبه على مكانه، وروعي مدة، ووضعت العيون عليه. فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام، فتحير أهل البلد في أمره، وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعة إلى تلك الميضاة فيبول فيها، ويعد إلى الآجرة وقد عرفها وعليها ذاك المعجون، وقد صار مُنحلاً وصورته صورة الغائط، فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط، فيأكله فيقيم أوده ويرجع، فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته، وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء، فعظم شأنه عندهم فقصدوه وكلموه فلم يجبهم، وأحاطوا به، فلم يلتفت، واجتهدوا في خطابه، فلزم الصمت، فزاد محلة عندهم حتى أنهم كانوا يتمسحون بمكانه، ويأخذون التراب من موضعه، ويحملون إليه المرضى والصبيان، فيمسح بيده عليهم، فلما رأى منزلته، وقد بلغت إلى ذلك، وكان قد مضى على هذا السمت سنة اجتمع مع امرأته في الميضاة وقال: إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالي فاعلقي بي والطمي وجهي وقولي: يا عدو الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى ههنا تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك، ولا تفارقيني واظهري أنك تريدين قتلي بابنك، فإن الناس سيجتمعون إليك، وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف بأني قتلته وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني، فاطلبي قودي باقراري،

وحملي إلى السلطان، فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات، أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم، فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً، فاقبلي الفداء منهم، واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد ولا تقيمي بالبلد، فإني سأهرب وأتبعك.

فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به وفعلت به ما قال، فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا: يا عدوة الله هذا من الأبدال، هذا قوّام العالم، هذا قطب الوقت، فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشر فصبروا، وأوجز في صلاته ثم سلم، وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال: أيها الناس! هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم؟ فاستبشروا بسماع كلامه وارتفعت ضجة عظيمة وقالوا: لا. قال: إني إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرته، وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة، فقتلت ابن هذه المرأة وتبت، وجئت إلى ههنا للعبادة، وكنت محدثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفاً من أن تكون توبتي ما صحت، وما زلت أدعو الله أن يقبل توبتي ويُمكنها مني إلى أن أُجيبت دعوتي باجتماعي بها وتمكينها من قودي، فدعوها تقتلني واستودعكم الله. قال: فارتفعت الضجة والبكاء، وهو مار إلى والي البلد ليقتله بإبنها. فقال الشيوخ: يا قوم، لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فارفقوا بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا، فطافوا بها وسألوها. فقالت: لا أفعل. فقالوا: خذي ديتين، فقالت: شعرة من ابني بألف دية، فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات، فقالت: اجمعوا المال، فإذا رأيته وطاب قلبي بقبوله فعلت، وإلا قتلت القاتل، فجمعوا مائة ألف

درهم وقالوا: خذيها. فقالت: لا أريد إلا قتل قاتل إبني في نفسي أثر، فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حليهن، فأخذت ذلك وأبرأته من الدم وانصرفت، وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر، حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدة طويلة.

قال: كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش، فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله تعالى، فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة وكانت زعرة، فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج، فحلف بالطلاق ليبيعها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سنور فعلقتها في عنق الناقة وقالت: ادخلها السوق وناد عليها من يشتري هذا السنور بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا فرق بينهما، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السنور الذي في عنقك.

وبلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي، فأنشده قصيدة فقال: له سلني حاجتك. فقال يا أمير المؤمنين: تهب لي كلباً، فغضب وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول تهب لي كلباً، فقال: يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك؟ قال: لا بل لك. قال: فإني اسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال يا أمير المؤمنين: هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي، فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين فمن

يقوم عليها؟ فأمر له بغلام. فقال يا أمير المؤمنين: فهبني قصدت صيداً وأتيت به المنزل، فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاً أي جمعاً من عيال، فمن أين ما يتقوت به هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً، فقال: أما العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. قال: فأنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالدو، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريباً واحداً عامراً. قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، فقال: يا أمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار غامر، فضحك منه وأرضاه.

كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم، فقال له يوماً: لِمَ لا تسلم؟ قال: لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها. قال: فاسلم واشربها فأسلم، فقال له الضحاك: إنك قد أسلمت الآن، فإن شربت حددناك، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك.

وروى ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل اهله.

قال الجاحظ: كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئاً، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد، فيبيت وجعاً فيبكر إليه، فيقول لعلك ذكرت القرد. فيقول: نعم. فيقول: من ثم لم تنفع الرقية.

وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أتى بجارية قد جنت في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم عليها، فإذا هي قد سقطت، فقال لأهلها أخلو بي بها، فقال لها، أصدقيني عن نفسك وعلي خلاصك، فقالت: انه قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي، وأنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر، فخفت الفضيحة. فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال: نعم، ثم خرج إلى أهلها، فقال: إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها، فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يهلك ويفسد، فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من أذنها صمت، وإن خرج من فمها خرست، وإن خرج من يدها شلت، وإن خرج من رجلها عرجت، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها. فقال أهلها: ما نجد شيئاً أهون من ذهاب عذرتها، فأخرج الشيطان من فرجها، فأوهم أنه قد فعل، ودخلت المرأة على زوجها.

لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له: لِمَ لطمتني؟ قال: جُعِل لي جُعْل أن ألطم سيد بني تميم. قال: ما صنعت شيئاً عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيد بني تميم، فانطلق فلطمه فقطع يده وذلك ما أراده الأحنف.

قال الشيخ: حكى لنا أبو محمد الخشاب النحوي قال: حاز بعض الحاكة على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة، فقالت: ويحك أي شئ قد طرأ لك؟ قال: أريد أن أكون طبيباً. قالت:

لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك، قال: لابد، فخرج أول يوم فقعد يصف للناس، فحصل قراريط، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة، فانظري ايش يحصل. فقالت: لا تفعل. قال: لا بد، فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها، وكانت شديدة المرض، اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت: ابعثي إليه فجاء، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف، فقال: عليَّ بدجاجة مطبوخة، فجئ بها، فأكلت، فقويت، ثم استقامت، فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا اليه مرضاً يشتكيه، فاتفق أنه وصف له شيئاً أصلح به، فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له: هذا رجل حائك لا يدري شيئاً. فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل قولكم. قالوا: فنجربه بمسائل قال: افعلوا، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال: إن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب، ولكن أليس عندكم مارستان؟ قالوا: بلى. قال: أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا: لا، فجاء إلى باب المارستان وقال: اقعدوا لا يدخل معي أحد، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيِّم المارستان، فقال للقيم: إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك، وإن سكت أغنيتك قال: ما انطق. قال: فاحلفه بالطلاق، ثم قال: عندك في هذا المارستان زيت؟ قال: نعم. قال: هاته، فجاء منه بشئ كثير، فصبه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم: انه لا يصلح

لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت. فقال المريض: الله الله في أمري، قال: لابد، قال: أنا قد شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع، قال: ايش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال: لا شيء. قال: فاخرج وأخبرهم، فخرج واخبرهم، فخرج يعدو ويقول شفيت باقبال هذا الحكيم، ثم جاء إلى آخر، فقال: لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت، فقال: الله الله أنا في عافية. قال: لابد، قال: لا تفعل فاني من أمس أردت أن أخرج. قال: فان كنت في عافية فاخرج، وأخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول شفيت ببركة هذا الحكيم وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، والله الموفق.

بلغنا أن امرأة كان لها عشيق، فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك، فوعدته أن تفعل ذلك، فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة، فقالت لزوجها: أشتهي أصعد هذه النخلة فاجتني من رطبها بيدي، فقال: افعلي، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت: يا فاعل من هذه المرأة التي معك. ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي، وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد، فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها انه ما كان إلا وحده، ثم قال لها اقعدي حتى اصعد أنا، فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها، فوطئها فاطّلع الزوج، فرأى ذلك فقال لها: جعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما رميتيني به، فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق مرّ بامرأة وعليه ثوب وشي فتعرض لها، فقالت جاريتها:

ما أحسن هذا البرد، فقال: هل لك أن اقبل مولاتك وأهب لها هذا البرد، فقالت الجارية لمولاتها: ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس فأذنت له فقبلها وأعطاها البرد، ثم قال للجارية: اسقني ماء، فجاءته الجارية بماء في قدح من زجاج ولما وضعته في يده ألقاه من يده، فانكسر، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال: يا أبا فراس ألك حاجة؟ قال: لا، ولكني استسقيت من هذه الدار ماء، فأتيت بقدح من زجاج، فوقع الاناء من يدي فانكسر، فأخذوا بردي رهناً، فدخل الرجل فشتم أهله وقال: ردوا على الفرزدق برده.

الباب السابع عشر
في ذكر من احتال فانعكس
عليه مقصوده

حدثنا ابراهيم قال: لما أسن معاوية اعتراه أرق وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس، فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه، قال: يا معشر العرب! هل فيكم من يفعل ما آمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت. قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. قال: لقد كلفت صغيراً وأعطيت كثيراً، فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن، فحارت البطارقة واخترطوا سيوفهم، فسبق إليه ملك الروم، فجثى عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقه عليهم حتى كفوا، ثم ذهب إلى سريره حتى صعد به، ثم جعله بين رجليه، فقال: يا معشر البطارقة إن معاوية قد أسن ومن أسن أرق، وقد آذته النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الآذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس، وبالله ليرجعن اليه على خلاف ما ظن فكساه وحمله، فلما رجع إلى معاوية قال له: أوقد جئتني سالماً؟ قال: أما من قبلك فلا.

ويقال: ما ولي المسلمين أحداً إلا وملك الروم مثله إن حازماً وإن عاجزاً، وكان الذي ملكه على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دون لهم الدواوين ودوخ لهم العدو، وكان الذي على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وعمله.

حدثنا رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها، فلما صرت في الطريق، وقد سرت عدة فراسخ تعبت وكنت على دابة وعليه خرجي ورحلي، وقد قرب المساء، فإذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة، فنزل إلي واستقبلني، وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري، فأخذ بدابتي وجعل رحلي في بيت وطرح للدابة الشعير، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط، وأوقد بين يدي ناراً عظيمة، وجاء بطعام طيب فأكلت، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم، فسألته عن طريق النوم، ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه، وكان في غرفة فمشيت، فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة، فلما صارت رجلاي عليها نزلت، فإذا أنا في الصحرة، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج تلك الليلة يسقط سقوطاً عظيماً، فصحت فما كلمني، فقمت وقد تجرح بدني، إلا أني سالم، فجئت فاستظللت بطاق عند باب حصن من الثلج، فإذا حجارة لو جاءتني وتمكنت من دماغي طحنته، فخرجت أعدو وأصيح، فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه، وطمع في رحلي، فلما خرجت وقع الثلج عليَّ وبلَّ ثيابي، ونظرت، فإذا أنا تالف بالبرد والثلج، فولد لي الفكر أن طلبت حجراً فيه نحو ثلاثين رطلاً، فوضعته على عاتقي وأقبلت أعدو في الصحراء شوطاً طويلاً حتى أتعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر، وجلست استريح، فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وسعيت كذلك إلى الغداة، فلما كان قبل طلوع الشمس، وأنا خلف الحصن إذ سمعت باب الدير قد فتح، وإذا

أنا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه، فلما لم يرني قال: يا قوم ما فعل؟ وأنا أسمعه وأظنه المشوم قد رأى بقربه قرية، فقام يمشي إليها كيف أعمل؟ قال: وأقبل يمشي، فخالفته أنا إلى الباب ودخلت الحصن، وقد مشي هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن، فحصلت أنا خلف باب الحصن، وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب، فوقفت خلف الباب، فطاف الراهب، فلما لم يقف لي على أثر عاد ودخل واغلق الباب، فحين خفت أن يراني آثرت اليه ووجأته بالسكين فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الحصن، وصعدت إلى الغرفة وأصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت علي من تلك الثياب، وفتحت خرجي ولبست منه ثياباً. واخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلا قريب العصر، ثم انتبهت فطفت الحصن حتى وقعت على طعام، فأكلت وسكنت نفسي، ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن، وأقبلت افتح بيتاً بيتاً، وإذا بأموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات، ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتازه وحيداً ويتمكن منه فلم أدر كيف أعمل في ثقل المال، فلبست من ثياب الراهب شيئاً ووقفت في صومعته أياماً أترآى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يشكُّوا فيَّ أني أنا هو، فإذا قربوا لم أبرز لهم وجهي إلى أن خفي خبري، ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالين مما كان في الدير من تلك الأمتعة وملأتها مالاً، وجعلتهما على الدابة وسقتها إلى أقرب قرية كانت، واكتريت فيها منزلاً ولم أزل انقل منه الصامت حتى حملته كله، ثم ما خف وكثرت قيمته، حتى لم أدع إلا الأمتعة الثقيلة،

واكتريت عدة أحمال وحمير ورجالة، وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة، حتى قدمت بلدي، وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع قيمة الأمتعة، وغصت في الأرض فما عرف خبري.

عن علي بن الحسن عن أبيه حدثنا جماعة من أهل جند نيسابور فيهم كتّاب وتجّار وغير ذلك أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلثمائة، شاب من كتاب النصارى، وهو ابن أبي الطيب القلانسي، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق، فأخذته الأكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل، وكتب إلى أهله انفذوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أني أشرها، فتلحقني سكتة، فلا تشك إلى الأكراد أني قد مت فيحملوني اليكم، فإذا حصلت عندكم، فادخلوني الحمام واضربوني ليحمي بدني وسوكوني بالأيارج، فأني أفيق.

وكان الفتى متخلقاً وقد سمع أنه من شرب أفيوناً أسكت، فإذا دخل الحمام وضرب وسوك بالأيارج برئ، فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك، فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته، فلفوه في شئ وانفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وسوكوه، فما تحرك وأقام في الحمام أياماً، ورآه أهل الطب، فقالوا: قد تلف. كم شرب أفيوناً؟ قالوا: وزن أربعة دراهم. فقالوا لهم: هذا لو شوي في جهنم ما عاش إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أفيوناً أو وزن درهم أو حواليه، فأما هذا، فقد مات، فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمام حتى أراح وتغيَّر فدفنوه، وانعكست الحيلة على نفسه.

قال المحسن: وقد روي قديماً مثل هذا أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رُفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خُذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتي، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلي غناك أبداً، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته، فعاد إلى بلال فقال: اعهد. قال: وما الخبر؟ قال: إن الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم احضرك إليه ميتاً قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكي بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى، فأخذه السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً قال: سلمه إلى أهله فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

وذكر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبد الله بن علي إلى عيسى بن موسى سرّاً بالليل قال: يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك فخذه فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك به، فكتب إليه: قد أنفذت ما أمرتني به، فلم يشك في أنه قتله، وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال، فقال: إنما أراد قتلك وقتله لأنه أمرك أن تقتله سرّاً ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به، قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فان طلبه منك علانية أظهرته علانية.

ثم أن المنصور دسَّ على عمومته من يحركهم على مسألة عن عبد الله بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه، فقال: عليَّ بعيسى بن موسى، فأتاه، فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت اليك عبد الله بن علي، وقد كلموني فيه فأتني به، فقال يا أمير المؤمنين: ألم تأمرني بقتله؟ ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فادعى أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فادفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به فخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس، فشهر أحدهم سيفه، وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت؟ قال: أي والله. قال: ردوني إلى أمير المؤمنين، فردوه، فقال: انما أردت بقتله أن تقتلني. هذا عمك حي سوي فأتاه به.

حدثنا الحارثي قال: اجتزت ببغداد في أيام المقتدر، وأنا أحدث مع جماعة من مجان أصحاب الحديث، وإذا بخادم خصي جالس على دكة في الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع، وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب، فقلت لأصحابنا: ما هذا، فقالوا: خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم، وهذا من عجائب بغداد، فقلت: أنا أحب أن أخاطبه لأنظر كيف فهمه، فقال واحد منهم: فهمه لا أدري ولكن نحب أن تعبث به، فتقدم إليه وتغاشى وتماوت وتمارض وقال: يا أستاذ يا أستاذ دفعات، فضجر الخادم وقال: قولي لا شفاك الله أيش أصابك أي طاعون ضربك؟ قال، فقال له: يا أستاذ؛ أجد ظلمة في أحشائي ومغصاً في أطراف شعري، وما آكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة، نصف لي صفة لما أنا فيه، قال: وكان الخادم قد أعد الجواب، فقال: أما ما تجدين من مغص في أطراف شعرك فاحلقي

رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك، وأما ظلمة في أحشاك، فعلقي على باب حجرك قنديلاً يضيء مثل الساباط، وأما ما تأكليه اليوم يخرج غداً مثل الجيفة فكلي خراك واربحي النفقة. قال: فعطعط بنا العامة القيام، وضحكوا بنا، وانقلب الطنز الذي اردنا بالخادم، وصار طنزاً بنا، فصار أقصى إرادتنا الهرب، فهربنا.

حدثنا الحسين بن عثمان وغيره: أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم انه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جري رسم الرعية أن يقبِّل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يُمكن أحد أن يدخل منه، إلا راكعاً ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضاً من تفكيره بين يديه، فلما وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعلم الملك من فطنته وهابه.

وقد روينا أن مزينة أسرت ثابتاً أبن حسان الأنصاري، وقالوا: لا نأخذ فداءه إلا تيساً فغضب قومه وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا، فلما جاءوا بالتيس. قال: اعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسموا مزينة التيس، فصار لهم لقباً وعيثاً.

كان مهيار الشاعر ألحى والمطرز الشاعر كوسجاً، فمرّا بأبي

الحسن الجهرمي فقال:

أضْرِط على الكَوْسَج والألحى وزدْهُمَا إن غَضِبَا سِلْحا

وأرادا أن يتهماه، فقال له المطرّز: فكيف وقع لك أن تذكر علي بن أبي علي حاجب القادر بالله، والحسن بن أحمد صاحب القادر بعد علي ابن أبي علي، وكان علي ألحى والحسن كوسجاً، فانزعج الجهرمي وخاف أن يبلغه ذلك، فيقابل عليه، فكتب إلى مهيار الديلمي يستعطفه:

أبا الحَسَن اصْفِحْ إنَّ مثلي مَنْ جَنَى ومِثْلكَ مَنْ أعفى من العدو أو عَفَا

ائِن طَوَّحَتْ بي هَفْوَةٌ قلت جَفْوةً وَحَمَّلْتُ سَمْعي مِنْ عِتَابك ما حَفَا

حدثني أبو بكر الخطاط قال: كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه، ويقولون: لا يكون خط أردأ من خطك، فيضجر من عيبهم إياه، فمر يوماً بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه، فبالغ في ثمنه، فاشتراه بدينار وقيراط، وجاء به ليحتج عليهم إذا قرأوه فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه، فقال لهم: قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه، حتى أتخلص من عيبكم، فأخرجه فتصفحوه، وإذا في آخره اسمه وأنه كتبه في شبابه، فخجل من ذلك.

قال: كان بالبصرة مغنية حذرها خمس دنانير، وكانت مفرطة في

حسن الصورة والغناء إلا أنها بدوية تقلب القاف كافاً، فدعيت لبعض أمراء البصرة، فغنت: ومالي لا أبكي وأندب. فجاء في كلامها وأندب ناكتي فقال الأمير: وزناً خمسة دنانير، فإذا كنت تندبينا فما نريد أن تقيمي عندنا، فصرفها وقد خجلت والله أعلم.

الباب الثامن عشر
في ذكر من وقع في آفة
فتخلص منها بالحيلة

ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل رجلاً من قريش على عمل، فبلغه أنه قال:

اسْقِني شُربةً ألَذّ عليْها   واسْق بالله مثلها ابنَ هِشَام

فأشخصه إليه، وذكر أنه إنما أشخصه من أجل البيت، فضم اليه آخر فلما قدم عليه قال: ألست القائل:

اسْقِني شُربةً ألَذّ عليْها   واسْق بالله مثلها ابنَ هِشَام

قال: نعم يا أمير المؤمنين:

لعلّه عسلاً بارداً بماء سَحَاب   إنَّني لا أحبّ شربَ المَدَام

قال: الله الله. قال: ارجع إلى عملك.

قال: حدثني عبيد راوية الأعشى قال: خرج النعمان إلى ظهر الحيرة، وكان معشاباً، وكانت العرب تسميه خد العذراء فيه نبت الشيح والقيصوم والخزامي والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان فمر بالشقائق، فأعجبته فقال: من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كفه، قال: فسميت شقائق النعمان. قال: فإنه ليسير فيها يوماً فانتهى إلى وهدة في طرف النجف، وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه وقد سبق أصحابه، فقال: ممن أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل، فقال يا شيخ: مالك ههنا؟ قال: طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً، ووجدت وهدة

خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن، فقال: أو ما تخاف النعمان؟ قال: وما أخاف منه، والله لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها، كأنه أرنب جاثم. قال: أنت أيها الشيخ؟ قال: نعم. قال: فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله، فقالوا: حييت أبيت اللعن قال وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه فقال النعمان: أيها الشيخ كيف قلت؟ قال: أبيت اللعن لا يهولَنَّكَ ذاك، والله لقد علمت العرب أنه ليس بين لابتيها أكذب مني فضحك ثم مضى.

قال: طلب الحجاج الحكم بن أيوب بن جبر بن حبيب، فخشي أن يجيء به فيعاقبه، فقال: تركته يتحرك رأسه يصب في حلقه الماء، والله لئن حمل على سرير لتكونن عورة، فقيل له: انصرف.

حدثنا محمد بن قتيبة في حديث عبد الله بن مسعود: أنه ذكر بني اسرائيل وتحريفهم وتغييرهم، وذكر عالماً كان فيهم عرضوا عليه كتاباً اختلقوه على الله عز وجل، فأخذوا ورقة فيها كتاب الله عز وجل، ثم جعلها في قرن، ثم علقه في عنقه، ثم لبس الثياب، فقالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: آمنت بهذا الكتاب. يعني الكتاب الذي في القرن، فلما حضره الموت نبشوه، فوجدوا القرن والكتاب، فقالوا: إنما عني هذا.

وعن الأصمعي عن أبيه قال: أتي عبد الملك بن مروان رجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه، فقال يا أمير المؤمنين: ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا

غُلب وهُزم، وقد بان لك صحة ما أدعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله.

قال اسحق بن إبراهيم الموصلي، قال شبيب بن شبة: دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد، فقال يا أمير المؤمنين: إني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في هذه الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل. قال: فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين! إني فكرت في أمرك وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحداً له مثل قدرك اتساعاً في الاستمتاع بالنساء منك، ولا بأضيق فيهن عيشاً، إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين، واقتصرت عليها، فان مرضتْ مرضتَ، وإن غابتْ غبتَ، وإن عركتْ عركتَ،وحرّمتَ يا أمير المؤمنين نفسك من التلذذ بأطراف الجواري، ومعرفة اختلاف أحوالهم والتلذذ بما يُشتهى منهم. إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لروعتها، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يُشتهى من نظافتهن، وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه اليهن، فلما فرغ قال: ويحك والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا، فأعد عليَّ كلامك فقد وقع مني موقعاً فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكراً، فدخلت عليه أم سلمة، وكان قد حلف أن لا يتخذ عليها ووفى، فلما رأته مُفكراً قالت: إني لأذكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه وأتاك خبر أرتعت له؟

قال: لا، فلم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد. قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: ينصحني وتشتميه، فخرجت إلى مواليها فأمرتهم بضرب خالد، فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين، ولم أشك في الصلة، فبينما أنا واقف أقبلوا يسألون عني فحققت الجائزة، فقلت لهم: ها أناذا، فاستبق إليَّ أحدهم بخشبة، فغمزت برذوني ولحقني فضرب كفله، وركضت ففتهم واستخفيت في منزلي أياماً، ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة، فما أشعر إلا بقوم قد هجموا عليَّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. لم أر دم أضيع من دمي، فركبت إلى دار أمير المؤمنين، فلقيته خالياً، فنظرت في المجلس بينا عليه ستور رقاق، وسمعت حساً خلف الستر، فقال: ويحك وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن النساء أكثر من واحدة إلا ضرر وتنغص، فقال له أبو العباس: لم يكن هذا للعرب إنما إشتقت إسم الضرتين من الضرر، وإن أحد لم يكن عنده من في الحديث. قال: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأنهن في القدر يغلي عليهن، قال: برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك ولا مرَّ في حديثك. قال: وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبه يشيبنه ويهرمنه. قال: لا والله ما سمعت هذا منك. قلت: بلى والله. قال: أفتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ نعم، والله يا أمير المؤمنين إن أبكر الإماء رجال إلا أنه لبست لهن خصى. قال خالد: فسمعت ضحكاً من خلف الستر، ثم قلت: نعم والله واخبرتك أن عندك ريحانة قريش، وأنت تطمح بعينك

إلى النساء والجواري، قال: فقيل من وراء الستر: صدقت والله يا عماه بهذا حدثته، ولكنه غيَّر حديثك، ونطق من لسانك، فقال أبو العباس: ما لك قاتلك الله. قال: وانسللت، فبعثت إليَّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

حدثني رجل من بني نوفل بن عبد مناف قال: لما أصاب نصيب من المال ما أصاب، وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشتاق إلى البياض، فتزوج امرأة سرية بيضاء، فغضبت أم محجن وغارت عليه، فقال لها: والله يا أم محجن ما مثلي يغار عليه. إني شيخ كبير، وما مثلك يغار إنك لعجوز كبيرة، وما أحد أكرم عليَّ منك ولا أوجب حقاً، فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه عليَّ. فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك: هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة، فهو أصلح لذات البين، وألم للشعث وأبعد للشماتة، فقالت: نعم افعل وأعطاها دينار، وقال لها: اني أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً بهذا الدينار، ثم أتى زوجته الجديدة، فقال لها: إني أردت أن أجمعك إلى أم محجن غداً، وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن، فخذي هذا الدينار فأعدي لها به إذا أصبحت عندها غداً لئلا ترى بك خصاصة، ولا تذكري لها الدينار، ثم أتى صاحباً له يستنصحه فقال: إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غداً، فأتني مسلماً، فإني سأستجلسك للغداء، فإذا تغذيت فسلني عن أحبهما إليَّ، فإني سأنفر وأعظم ذلك، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف عليَّ، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة لأم محجن، ومر به صديقه، فاستجلسه، فلما تغذيا أقبل الرجل عليه، فقال: يا أبا

محجن أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك. فقال: سبحان الله! أتسألني عن هذا، وهما يسمعان ما سأل عن مثل هذا أحد. قال: فإني أقسم عليك لتخبرني، فوالله لا عذرتك ولا أقبل وإلا ذاك. قال: أما إذا فعلت فأحبهما إليَّ صاحبة الدينار والله لا أزيد على هذا شيئاً، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة، وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

قال: حدثني القاضي أبو الحسين بن عتبة قال: كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها، فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكني كنت أستعين بمالها واتزوج سراً، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت عليَّ إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إليَّ فطال ذلك عليَّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة وسعي بها إلى ابنة عمي، فأخذت في المناكدة والتضييق عليَّ، فلم يسهل عليَّ فراق تلك الصبية فقلت لها: استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي فابكي بين يديها، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها، فاذا سألتك عن حالك، فقولي لها: إن ابن عمي قد تزوجني، وفي كل وقت يتزوج عليَّ واحدة، ويُنفق مالي عليها، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه، فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إليَّ ففعلت فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها، وقالت لها، فالقاضي شر من زوجك، وهكذا يفعل بي وقامت فدخلت عليّ، وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها، فقالت: هذه المشؤومة حالها مثل حالي، فاسمع مقالها واعتمد انصافها، فقلت:

ادخلا، فدخلنا جميعاً، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت، فذكرت ما وافقها عليه، فقلت لها: هل اعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت: لا، والله. وكيف يعترف بما يعلم إني لا أقاره عليه. قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة وقفت على مكانها وصورتها، فقالت: لا والله. فقلت: يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئاً سمعته، فإن الحساد كثير والطلاب لإفساد النساء كثير والحيل والتكذيب، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً، فقامت ابنة عمي فقبلت رأسي وقالت: قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي.

حدثنا الأصمعي قال: آتى المنصور برجل ليعاقبه على شئ بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين! الإنتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه.

حدثنا أبو الحسن المدائني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار، فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضاً، ومنَّ على بعض، فكان ممن حبس من الأسرى سراقة بن مرداس البارقي، ثم أمر بقتله فقال: لا والله لا تقتلني، حتى أنقض معك داري حجراً حجراً. قال: وما يدريك؟ قال: الأخبار الصادقة التي جاءت بها الكتب الناطقة، فأقبل المختار على عبد الله بن كامل وعلى أبي عمرة، فقال: من يُظهر أسرارنا، فأمر بتخليته، فقال سراقة: إنا قد أسرنا قوم لا نراهم. قال: هم هؤلاء وهم شرط الله. قال: لا والله لقد أسرنا قوم عليهم عمائم

حمر على خيل بلق تطير بين السماء والأرض. قال: هذه الملائكة، فاعلم الناس ذلك يا سراقة. قال: فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم، فخلى سبيلي.

حدثنا ابن عياض قال: استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم بن عقبة يوم الحرة، فأبى أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء، فقال عباس: أصلح الله الأمير، والله لكأنهما جفنة أبيك كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها ثم يضع جفنته بين يدي من حضر. قال: صدقت كان كذلك. أنت آمن، فقيل للعباس: كان أبوه كما قلت؟ قال: لا والله، لقد رأيته في عناء بجرة ما نخاف على كابنا ومتاعنا أن يسرقه غيره.

حدثنا دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الإصمعي، عن عمه قال: بعث إليَّ الرشيد، فدخلت إذا صبية، فقال: من هذه الصبية؟ فقلت: لا أدري. قال: هذه مواسة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله. قال: نعم، فقبِّل رأسها، فقلت: إن أطعته أدركته الغيرة، فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية، فوضعت كمي على رأسها وقبلت كمي، فقال: والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك. أعطوه عشرة آلاف درهم.

حدثنا ابن البهلول أن أبا حذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفراً في رهط، فاعترضهم جيش من الخوارج، فقال واصل: لا ينطقن أحد ودعوني معهم، فقصدهم واصل، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا، فقال: كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا؟ فقالوا: نعم. فما أنتم؟ قال: قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام

الله. قال: فكفوا عنهم، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن، فلما أمسك قال واصل: قد سمعنا كلام الله، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه، وكيف ندخل في الدين، فقال: هذا واجب. سيروا، فسرنا والخوارج والله معنا يحمونا فراسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه. فانصرفوا.

قال أبو اسحق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا، فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا! أي شئ على الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة الله. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب معروف أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم، فتركه ومضى.

وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوماً من عسكره، فمر ببستاني يسقي ضيعته، فقال: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد البر، الحقود عجل الله الانتقام منه، فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصى، فضحك منه وانصرف.

وبلغنا أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره، فلقي أعرابياً، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى

عبد الملك؟ فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم، فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: يا حجاج! قال: ما لك؟ قال: السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلاه.

ولقي الحجاج أعرابياً بفلاة فسأله عن نفسه، وعن عماله وسعاته، فأخبره بكل ما يكره، فقال له: أنا الحجاج قتلني الله إن لم أقتلك، قال: فأين حق الإسترسال؟ قال: أولى لك ما أحسن ما تخلصت وخلى سبيله.

قال: كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن من العلوم شيئاً إلا ما شاء الله، وكان مطبوعاً يتكلم على مذهب الصوفية، فكتبت إليه رقعة: ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ ففتحها فتأملها فقرأ: ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض رماها من يده، وقال: أن أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً، فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

ويُحكى أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة، فأبطأ عليه ذات يوم، ثم جاء، فقال: ما أبطأك عني؟ قال: جارة لي كنت أهواها منذ حين، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها، فغضب الوالي، وقال: والله لأخذنك باقرار، فلما رأى الجد منه، قال: فاسمع تمام حديثي، قال: وما هو؟ قال: فلما أصبحت خرجت أطلب مفسراً يُفسر لي رؤياي، فلم أقدر عليه إلى الساعة. قال: ذلك في المنام رأيت؟ قال:

نعم. فسكن غضبه.

وقد روينا عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال، قال المأمون يوماً وهو مغضب لأبي دلف أنت الذي يقول فيه الشاعر:

إنَّمـــا الدُّنيـــا أبـــو دلـــف بـــين باديـــه ومُحتضـــرِهِ
فـإذا ولّـــى أبـــو دلـــفٍ ولّـــتِ الدُّنيـــا علـــى أثـرِهِ

فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول عزور، وملق معتاف، وطلب عرف، وأصدق منه إبن اخت لي حيث يقول:

دعيني أجوبُ الأرضَ في طَلَبِ الغِنَى

فلا الكرخ الدُّنيا ولا الناسَ قاسِمَ

فضحك المأمون وسكن غضبه.

وروي أن عزة وبثينة إجتمعتا فتحدثتا، فأقبل كثيِّر، فقالت بثينة: أتحبين أن أبين لك أن كثيِّراً غير صادق في محبتك؟ قالت: نعم. قالت: ادخلي الخباء، فدخلت فدنا كثيِّر، فسلم عليها فقالت له: ما تركت عزة فيك مستمعاً لأحد، فقال كثيِّر والله لو أن عزة أمة لوهبتها لك، فقالت: إن كنت صادقاً فقل في هذا شعراً فأنشأ يقول:

رَمَتْني عَلى عَمْدٍ بثينـة بعدمـا تولّى شبابي وارجحنَ شـبابُها
بعينين نَجْلاوين لـو رَقْرَقَتهـما لنـوء الثريّـا لاستهـلَّ سَحَابُهـا

فبادرت عزة وكشفت الحجاب، وقالت له: يا فاسق! قد سمعت البيتين، فقال لها: فاسمعي الثالث. قالت: وما هو؟ قال:

ولكنّـــما تـرمين نفساً سقيمـةً لعزّة مِنها صفــوهـــا ولبــابُهــا

فاستحسنت عذره.

وذكر أبو هلال العسكري أن رجـلاً كـانت لـه صديقـة لها زوج غائب، وكان يأتيها على طمأنينة، فقدم زوجها، فدخل فرأى الرجل نائماً، فظنه المرأة، فأخذ برجليه، فوثب إلى السيف، وكان في جيرانه معاوية بن ستار، فنادى يا معاوية! هل وفيت؟ فتوهم الزوج أنه جعل له على ما فعل، وعلم معاوية أنه مكروب، فقال: نعم وتعليت، فخلاه الزوج.

وحكى أبو الحسن بن الصابي أن مغنية غنت بين يدي المهدي:

مـا نقمــوا مـن بَنــي أُميَّــة إلاَّ أنَّهـم يسفـهــون إذا غضبــــوا

فقيل لها: غلطت. فقالت: غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحته بما سمعتم.

الباب التاسع عشر
في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض

أخبرنا سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها سئلت، هل كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قالت: نعم. كان عندي عجوز، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة. قال: «إن الجنة لا تدخلها العجائز». وسمع النداء، فخرج ودخل وهي تبكي، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز. قال: «إن الله يحولهن أبكاراً عرباً أتراباً».

قال: وحدثنا الحرث بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله! ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كل خير أرجو من ربي».

وحدثنا القرشي قال: دخلت امرأة على رسول الله ﷺ فقال: «من زوجك»؟ فسمته له، فقال: «الذي في عينيه بياض»؟ فرجعت فجعلت تنظر إلى زوجها، فقال: ما لك؟ قالت قال رسول الله ﷺ: زوجك فلان. قلت:نعم. قال: الذي في عينيه بياض؟ قال: أوليس البياض في عيني أكثر من السواد.

حدثنا أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستحمله قال: «انا حاملك على ولد ناقة» قال: يارسول الله: وما أصنع بولد ناقة؟ قال: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

حدثنا محمد بن سلمى، عن محمد بن اسحق أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل قريباً منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن اسحق حدثني محمد بن يحيى بن حبان أنه وقف على شيخ، فسأله

عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: وذاك بذاك، ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فان كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ: نحن من ماء العراق، قال أحمد بن علي: أوهمه النبي ﷺ بأنه من العراق، فكان العراق يسمى ماء، وإنما أراد النبي ﷺ من العراق أنه خلف من نطفة ماء.

عن ابن أبي الزناد قال: كان عند اسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهت، فقالت أسماء، للقميص أشد عليَّ من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أرده أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها، قالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله. قالوا: أفليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجئ، فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه. فقالت: قبضت القميص يا عبد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

عن حجر المدري قال، قال لي علي رضي الله عنه: كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: كيف أصنع؟

قال: إلعني ولا تتبرأ مني. قال: فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال له: إلعن علياً فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً محمد بن يوسف إلعنوه لعنه الله، فلقد تفرق أهل المسجد، وما فهمها إلا رجل واحد.

قال قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن سرحا، فتكلم. فقال المغيرة: أرجوه فأقيموه على المصطبة، فليلعن علياً فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب، فأخبره بذلك، فقال: أقسم بالله لتقيدنه، فخرج، فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب، فالعنوه ولعنه الله، فقال المغيره: أخرجوه أخرج الله نفسه.

قال: كلم رجل عيسى بن موسى في شئ وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي، فقال عيسى للرجل: من يعرفك؟ قال: ابن شبرمة. قال: أتعرفه؟ قال: إني لأعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً، فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك. فقال: اعلم أن له أذنين مشقوقتين، وأن بيتاً يأوي إليه، وأن له قدماً يطأ بها.

قال ضرب الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى وأقامه للناس، ومعه رجل يحثه، ويقول: إلعن علياً، فيقول: اللهم إلعن الكذابين، ثم يسكت، ويقول آه علي بن طالب، ثم يسكت، ثم يقول المختار بن الزبير.

حدثنا المبارك قال: بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق أفجع ذو غدر بيّن، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً بأبي غادية، فلم يرحب به حتى أجلسه على سريره، ثم قال له: أنت قاتل ابن

سمنة؟ قال: نعم، قال: كيف؟ قال: صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلته. قال الحجاج لأهل الشام: من سره أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمنة، ثم ساره أبو غادية، فسأله شيئاً فأبى عليه، فقال أبو غادية: نعطي لهم الدنيا، ثم نسألهم منها شيئاً فلا يعطونا، وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة قال: أجل. والله إن من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل وقان، وساقه البيضاء، ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عمار بن سمنة قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار.

قال القرشي: كان مطرف بن عبد الله خرج مع ابن الأشعث، فأتي به إلى الحجاج بعد ذلك، فقال له الحجاج: يا مطرف، أكفرت؟ قال: لا. ولكن كانت حيرة، ولو نصرنا الحق وأهله كان خير لنا.

قال القرشي: وحدثنا أبو جعفر المديني قال: خرج قوم من الخوارج بالبصرة، فلقوا شيخاً أبيض الرأس واللحية، فقالوا له: من أنت؟ قال: أعهد إليكم من اليهود بشئ أو بدا لكم في قتل أهل الدية، قالوا: إذهب عنا إلى النار.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب قال: كان يحيى بن أكثم يحسد حسداً شديداً، وكان مفنناً، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليخجله ويقطعه، فدخل إليه رجل من أهل خرسان ذكي حافظ، فناظره فرآه مفنناً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم. قال: فما تحفظ من الإصول؟ قال: أحفظ حديث شريك،

عن أبي اسحق، عن الحرث أن علياً رجم لوطياً فأمسك فلم يكلمه.

قال، قال رجل لهشام بن عمرو القوطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم تعد من السن؟ قال: اثنين وثلاثين، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل. قال: لم أرد هذا: قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال: ما لي منها شئ كلها لله عز وجل. قال: فما سنك؟ قال: عظم. قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين أب وأم. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شئ لقتلني. قال، فكيف أقول؟ قال: قل كم مضى من عمرك.

وثب رجلان من بعض الملوك في زمن الإسكندر، فقال الإسكندر: إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا، فقال الإسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان، فما يستحق من قتل سيده ورافع قدره، فغدر به إلا القتل، وأما رفعكما على الناس؟ فإني سأصلبكما على أطول خشب يُمكنني.

روى أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون، فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين: من ربكما؟ قالا: أنت. فقال للمؤمن: من ربك؟ قال: ربي ربهما. فقال فرعون: سعيتما برجل على ديني لأقتله، فقتلهما. قالوا: فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وحَاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ﴾[1].

---

(١) سورة غافر، الآية رقم: ٤٥.

حدثنا إسحق بن هانئ قال: كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه في منزله ومعنا المروزي، ومهنى بن يحيى الشامي، فدق داق الباب وقال: المروزي ههنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع مهنى بن يحيى إصبعيه في راحته وقال: ليس المروزي ههنا، فضحك أحمد ولم يُنكر عليه ذلك.

بلغني عن أبي بكر الخلال، قال أبو بكر المروزي: جاء مهنى بن يحيى الشامي إلى عبد الله ومعه أحاديث، فقال: يا أبا عبد الله، معي هذه الأحاديث، وأريد أن أخرج، فحدثني بها، فقال: متى تريد أن تخرج؟ قال: الساعة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء إلى عبد الله، فقال له أبو عبد الله: أليس قلت لى أخرج الساعة؟ قال، قلت لك انى أخرج الساعة من بغداد إنما قلت أخرج من زقاقك.

عن مصعب الزبيرى قال: أتي العريان بشاب سكران، فقال له: من ؟ فقال: شعراً.

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فقال لبعض شرطه: سل عن هذا، فسأل عنه، فقال: هو ابن صاحب باقلا. قلت: وفي رواية أخرى زيادة.

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فظنه كبير القدر، فخلى به، فإذا هو ابن باقلاوى.

أتى الحرث بن مسكين أيام المحنة، وابن دؤاد يمتحن الناس بخلق

القرآن، فقال للحارث: اشهد أن القرآن مخلوق، فقال أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع، فقال: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، فعرض وكنى وتخلص من القتل.

قال شيخنا عبد الوهاب الأنماطى: كان أحمد بن عبد المحسن الوكيل إذا حمل إليه محـ[illegible] كتب فيه يحل صدره، فيكتب فيه فقيل له: كيف تكتب خلاف الأول؟ فقال: أنا أكتب ما ذكر صحيح، ومقصودى نفى الصحة.

الباب العشرون
فى ذكر من فلج على خصمه فى المناظرة بالجواب المسكت

حدثنا خبيب، عن عبد الرحمن بن خبيب، عن أبيه، عن جده خبيب بن يسار قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومى ولم نسلم، فقلنا: إنا لنستحى أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم. قال: وأسلمتما؟ قلنا: لا. قال: فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين. قال: فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة، فتزوجت ابنته بعد ذلك، فكانت تقول لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول لها: لا عدمتِ رجلاً عجل أباك إلى النار.

عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلى، عن أبيه قال: كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ مائة وعشرين سنة، ستين فى الجاهلية، وستين فى الإسلام، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب، فقال له مروان: ما نيتك؟ فأخبره، فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، فقال: والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقنى عنه أبوك، وينهانى ويقول: تدع دين آبائك لدين محمد، فأسكت مروان وندم على ما كان.

قال مروان لحبيش بن دلجة: أظنك أحمق، فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه.

حدثنا محمد بن زكريا قال: حضرت مجلساً فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التميمى، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمى، فقال لإبن

عائشة ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً قال: وماهي؟ قال قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ﴾[1] فقال ابن عائشة: قومه قريش، وهي لنا معكم، قال: بل هي لنا خصوصاً. قال: فخذ معها ﴿وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾[2] قال: فسكت جعفر، فلم يجد جواباً.

قال المصنف غفر الله له: وروينا أن معاوية قال لعبد الله بن عامر: إن لي عندك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم. قال: سل حاجتك. قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف. قال: فعلت، فسل حاجتك، قال: أن تردها عليّ. قال: قد فعلت.

وافتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك، فقال لخالد بن صفوان، أجبهم، فقال: هم بين حائك برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، وملكتهم إمرأة، ودلت عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة.

قال، قال غيلان لعبد الرحمن: أنشدك الله! أترى الله يحب أن يعصى؟ فقال ربيعة: أنشدك الله! أترى الله يعصى قسراً؟ فكأن ربيعة ألقم غيلان حجراً.

قال وقف رجل بين يدى المأمون قد جنا جناية، فقال له: والله لأقتلنك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، تأن على فإن الرفق نصف العفو، قال: وكيف؟ قال: أن تلقاه قاتلاً، قال: فخلى سبيله.

قال المنصور: ولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة، وهو ابن احدى وعشرين سنة، قال: فاستزرى به الناس واستضعفوه فامتحنوه، فقالوا:

---

(١) سورة الزخرف الآية رقم: ٤

(٢) سورة الأنعام الآية رقم: ٦٦

كم سن القاضى؟ قال: سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول الله ﷺ وسلم مكة.

كان النظام لا يكتم سراً فأسر إليه يونس التمار سراً، فأذاعه، فلامه، فقال النظام للناس: سلوه، هل أذعت سراً مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فلمن الذنب الآن، فلم يرضى أن يشاركه فى الذنب حتى سار الذنب كله لصاحب السر.

قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبوالعباس الزجاج، وإلا انصرفوا، فحضروا مرة، ولم يكن الزجاج فيهم، فقال لهم ذلك، فانصرفوا، وثبت رجل منهم، فقال عثمان للآذن: قل لأبى العباس انصرف القوم كلهم إلا عثمان، فإنه لا ينصرف، فعاد الآذن إليه وأخبره، فقال له: إن عثمان إذا كان نكرة إنصرف، ونحن لا نعرفك، فانصرف راشداً.

قال، قال رجل من أهل الحجاز لرجل من أهل العلم: أخرج من عندنا. قال: نعم. إلا أنه لم يرجع إليكم.

قال: تكلم شاب يوماً عند الشعبى، فقال الشعبى: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا فى الشطر الذى لم تسمعه، فأفحم الشعبى.

وقال عبد الله بن سليمان بن الأشعث: سمعت أبى يقول: كان هارون الأعور يهودياً، فأسلم وحسن اسلامه، وحفظ القرآن وضبطه، وحفظ النحو، فناظره انسان يوماً فى مسألة، فغلبه هارون، فلم يدر المغلوب ما يصنع، فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت. فقال له

هارون: أفبئس ما صنعت؟ فغلبه أيضاً، والله الموفق.

قال مالك بن سليمان: كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل عن مسألة فى مجلس الخليفة، فقال: لا أدرى. فقالوا له: تأخذ فى كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفنى بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد فى جرايته.

قال أبو العباس المبرد: ضاف رجل قوماً فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟ فقالت: ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه ففعلا، فقالت للضيف؟ بالذى يبارك لك فى غدوك غداً أينا أظلم؟ فقال الضيف: والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهراً ما أعلم.

قال ابن خلف: حدثنى بعض أصحابنا قال: بلغنى أن الرشيد خرج يوماً متنزهاً وانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فاذا هو بشيخ قد ركب حماراً له، وفى يده لجام، كأنه مبعر محشو، فنظر إليه فإذا هو رطب العينين، فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال: حائطاً لى، قال: هل لك أن أدلك على شئ تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة؟ قال: ما أحوجنى إلى ذلك. قال له: خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصيره فى قشر جوزة واكتحل به، فإنه يذهب عنك ما تجد، قال: فاتكأ على قربوسة فضرط ضرطة طويلة، ثم قال: تأخذ هذه أجرة لوصفتك، فإن نفعتنا زدناك، قال: فاستضحك

الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته.

قال الجاحظ، قال المهدى لشريك القاضى، وعيسى بن موسى عنده: لو شهد عندك عيسى كنت تقبله، وأراد أن يضرب بينهما، فقال شريك: من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين، فإن زكيته قبلته، فقلبها عليه.

قال أبوبكر بن محمد: كان لى أخ يجيد الشعر، فقال له رجل منهم، وقد حسده على شعره: ما أدرى ما معنى أعجمى يقول الشعر، فقال له: رجل دب إلى أمه عربى، فقال له: وكذلك يلزم فى قياس قولك إذا لم يقل العربى شعراً، فقد دب إلى أمه أعجمى.

غضب رجل على رجل فقال به: ما أغضبك؟ قال شئ تنقله إلىّ الثقة عنك، فقال له: لو كان ثقة ما نم.

قال أبو الحسن بن المأمون قال، قال المأمون ليحيى بن أكثم: من الذى يقول، وهو يعرض به؟:

قاض يَرَىَ الحدَّ فِي الزُّنـاء ولا يَرَى عَلَى مَنْ يَلُوطُ مِنْ بـاس

قال: أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال: لا. قال: يقوله الفاجر أحمد بن أبى نعيم الذى يقول:

حَاكِمُنـا يَرْتشـى وقَاضِينَـا يَلُـوطُ والـرأسُ شـرّ مـا راس
لا أحسبُ الجورَ ينقضيَ وَعَلي السَّلامـةِ وآل مِـنْ آل عبَّـاس

قال، فأفحم المأمون وسكت خجلاً، وقال: ينبغى أن ينفى أحمد بن أبى نعيم إلى السند.

قال: حدثنا ابراهيم بن محمد بن شهاب العطار قال: روى يعقوب الشحام قال، قال لى أبوالهذيل: بلغنى أن رجلاً يهودياً قدم البصرة، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم، فقلت لعمى: امض إلى هذا اليهودى كلمه، فقال: يابنى، هذا قد غلب جماعة متكلمى البصرة، فقلت: لابد، فأخذ بيدى، فدخلنا على اليهودى، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام، ثم يجحد نبوة نبينا ﷺ فيقول: نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنقر به، فدخلت إليه، فقلت له: أسألك أو تسألنى؟ فقال يابنى: أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت: دع عنك هذا واختر، قال: بل أسألك، أخبرنى أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته، وثبت دليله. تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن الذى سألتنى عنه من أمر موسى عندى على أمرين: أحدهما: إنى أقر بنبوة موسى الذى أخبر بصحة نبوة محمد ﷺ وأمرنا باتباعه وبشر بنبوته، فإن كان عن هذا تسألنى، فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذى سألتنى عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد ﷺ ولم يأمر باتباعه، ولا بشر به، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته، وهو عندى شيطان مخزى، فتحير مما قلت له. فقال لى: فما تقول فى التوراة؟ فقلت: أمر التوراة أيضاً عندى على وجهين: ان كانت التوراة التى أنزلت على موسى الذى أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ ، فهى التوراة الحق، وان كانت الذى تدعيه، فباطل، وأنا غير مصدق بها، فقال: احتاج أن أقول لك شيئاً بينى وبينك، فظننت أنه يقول شيئاً من الخير، فتقدمت إليه فسارنى وقال: أمك كذا وكذا، وأم الذى علمك لا يكنى، وقد رأى أنى أثب به، فيقول وثبوا على،

فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت: أعزكم الله، أليس قد أجبته؟ قالوا: نعم، فقلت: أليس عليه أن يرد جوابي؟ فقالوا: نعم. فقلت: إنه لما سارني شتمني، بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني وأنه ظن أني أثب به، فيدعي أنا أثبناه، وقد عرفتكم شأنه، فأخذته الأيدي بالنعال، فخرج هارباً من البصرة، وقد كان له بها دين كثير، فتركه وخرج هارباً لما لحقه من الانقطاع.

قال: لما دخل الجماز على المتوكل قال له: إني أريد أن استبرئك. فقال الجماز: بحيضة أو بحيضتين، فضحك الجماعة عنه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولاك جزيرة القرود، فقال له الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله، فحصر الفتح وأسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانحدر، فمات فرحاً بها.

قال العتبي: دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال به هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم، فقال هشام: عمامة بألف يستكثر ذلك؟ فقال الوليد: إنها لأكرم أطرافي يا أمير المؤمنين، وقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

كان معن بن زائدة يذكر عنه قلة الدين، فبعث إلى ابن عياش بألف دينار، وكتب إليه: بعثت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك، فاقبض الثمن واكتب بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضت وبعتك ديني ما خلا التوحيد لعلمي بزهدك فيه.

حدثنا يموت بن المزرع قال: كان أبى والجماز يمشيان، وأنا خلفهما بالعشى، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه، فيصلى معه، فلما رآنا أقام الصلاة مبادراً، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله ﷺ قد نهى أن يتلقى الجلب. أخبرنا ابن الأعرابى عن الأصمعى قال: اجتزت فى بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حبس على كتفه جرة، وهو ينشد ويقول:

وأكـرم نفسـي إنني إن أهنتـها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا؟ فقال: نعم، وأستغنى عن سفلة مثلك، إذا سألته يقول: صنع الله لك، فقلت تراه عرفنى، فأسرعت، فصاح بى يا أصمعى، فالتفت إليه فقال:

لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إلى من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار وكل العار فى ذل السؤال

حدثنا أبو الطيب بن هرثمة قال: كنت مجتازاً ببغداد ومخنث يمشى، فرأته امرأة وكان حسن البدن، فقالت: ليت علىّ شحم هذا المخنث. فقال لها المخنث: مع بغاى، فشتمته، فقال لها: كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الردئ.

ودخل رجل إلى الحمام فرأى مخنثاً بين يدى حطمى، فقال الرجل: أعطنى منه قنيلاً فأبى، فقال الرجل: كا قفيز بدرهم، فقال المخنث: كل أربعة أقفزة بدرهم أحسب حسابك كم يصيبك بلا شئ.

قال طراد بن محمد أن يهودياً ناظر مسلماً أظنه قال فى مجلس

المرتضي، فقال اليهودى: إيش أقول فى قوم سماهم الله مدبرين يعنى النبى ﷺ وأصحابه يوم حنين؟ فقال المسلم: فإذا كان موسى أدبر منهم. قال له: كيف؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[1] وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقبوا. فسكت.

قال نصر بن سيار، قلت لاعرابى: هل أتخمت قط؟ فقال: أما من طعامك وطعام أبيك؟ فلا. فيقال: إن نصراً حم من هذا الجواب أياماً.

قال رجل من اليهود لعلى بن أبى طالب: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال له على عليه السلام: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[2].

حبلت امرأة يزيد، فقالت له، وكان قبيح الصورة: الويل لك أن كان يشبهك، فقال لها: والويل لك إن لم يشبهنى.

رأى رجل من الأعاجم رجلاً أعور، فقال: قد حان خروج الدجال، فقال: انه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب.

جاز أبوبكر بن قانع بالكرخ فى زمن الرفض، فقالت له امرأة: يا سيدى أبا بكر، فقال لها: لبيك يا عائشة، فقالت: ما كان اسمى عائشة قال: فيقتلونى وحدى أريد أن يضربوا رقابنا جميعاً.

ظفر رجل بخصمه فى حرب، فقال له: ما ترانى أصنع بك؟ فقال: مهلاً، فما أمكنك الله منى إلا لشأن حلمك.

---

(١) سورة القصص الآية رقم: ٣١.

(٢)سورة الأعراف الآية رقم: ١٣٨.

قيل لأبى الأسود: أشهد معاوية بدراً. فقال: نعم من ذاك الجانب.

كان أبو الحسن المتيم الصوفى يسكن الرصافة، وكان مطبوعاً مضاحكاً، وكان يتولع برجل شاهد فيه غفلة يعرف بأبى عبد الله الكيا. قال ابن المتيم: فلقيته يوماً فسلمت عليه وصحت به أشهد على، فاجتمع الناس علينا، فقال: بم أشهد؟ فقلت بأن الله إله واحد لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، فقال: أبشر يا أبا الحسن سقطت عنك الجزية وصرت أخاً من اخواننا، فضحك الناس، وانقلب الولع بى.

قال الشيخ: سمعت بعض أصدقائى يحكى أن رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة، فنهاه بعض العوام، وقال له: هذه ليلة عظيمة، فقال له الرجل: فى مثل هذه الليلة يرفع القلم، فقال العامى: ولكن يكتب بصوفة. قال: فاتعظ الرجل ولم يرجع بعد إلى شرب الخمر.

وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن، فلما نظر إليها قال ﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[1] فقالت ﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ﴾[2].

استأجر رجل غلاماً ليخدمه، فقال له: كم أجرتك؟ قال: شبع بطنى، فقال له: سامحنى، فقال: أصوم الإثنين والخميس.

شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين، فقال

---

(١) سورة التكوير الآية رقم: ١٣٨.

(٢) سورة يس الآية رقم ٧٨.

لهم: أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء الله، فكيف أدفع قضاء الله؟ فقال له أحدهم. صاحب القضاء قال ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُـمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[1]، فأفحم أمير المؤمنين.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥١.

الباب الحادي والعشرون
فى ذكر من غلب من العوام
بذكائه كبار الرؤساء

حدثني رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمير قال: أخذ زياد رجلاً من الخوارج، فأفلت منه، فأخذ خاله، فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك قال: أرأيت ان جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال: نعم قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم. وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] قال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته.

قال يموت بن المزرع قال لنا الجاحظ: ما غلبنى أحد قط إلا رجل وامرأة، فأما الرجل، فإنى كنت مجتازاً فى بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية متزر بمئزر، وبيده مشط يسقى به شقة ويمشطها به، فقلت فى نفسى: رجل قصير بطين ألحى، فاستزريته، فقلت: أيها الشيخ! قد قلت فيك شعراً، فترك المشط من يده وقال: قل، فقلت:

كأنك صَعْوَةٌ في أصل حُشٍّ ... أصابَ الحَشَّ بَعْدَ رشٌ

فقال لى: اسمع جواب ما قلت، فقلت: هات، فقال:

كأنَّكَ كِنْدَرٌ في ذَنْبِ كَبْش ... يُدَلْدَلُ هكذا والكبش يَمْشِي

وأما المرأة، فكنت مجتازاً ببعض الطرقات، فاذا أنا بامرأتين،

---

(١) سورة النجم الآيات من ٣٦ إلى ٣٨.

وكنت راكباً على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت: احداهما للأخرى: وى حمارة الشيخ تضرط، فغاظنى قولها فاحتدت ثم قلت لها: إنه ما حملتنى أنثى قط إلا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منذ تسعة أشهر على جهد جهيد.

لقى بعض الأكاسرة فى موكبه رجلاً أعور، فحبسه، فلما نزل خلاه وقال: تطيرت منك. قال: أنت أشأم منى لأنك خرجت من منزلك ولقيتنى، فما رأيت إلا خيراً، وخرجت من منزلى فلقيتك، فحبستنى فلم يعد بعدها يتطير.

عن الأصمعى قال، قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا فى المنى، فوالله لأغلبنكن قال: لا تغلبنى. قال: بلى لأفعلن، وقال: فستعلم. قال الوليد: فإنى أريد أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات. قال: فإنى أتمنى سبعين كفلاً من العذاب، ويلعننى الله لعناً كثيراً، فقال: غلبتنى قبحك الله.

قال: مرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلما أتاه قال له: ليس لى وارث غيرك، وههنا ثلاثون ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا فى تعاهده، فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه، فلما مات اشترى له كفنا بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البيت حفر البيت كله، فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.

أتى الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة، فقال: والله لا أكلتها حتى أقتلك. قال: أو خير من ذلك تطعمنيها ولا تقتلني، فتكون قد بررت في يمينك ومننت عليّ، فقال: ادن مني، فأطعمه إياها وخلاه.

وأتى الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فاستنظره يوماً. قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل عفو الأمير مع ما تجرى به المقادير، فاستحسن قوله وخلاه.

وبلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم، فقام إليه رجل، فقال: أيها الأمير! أتتخذ جنداً من حجارة لا تأكل ولا تشرب، فقال له عمرو: اخسأ أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جندك، فاذا كنت كلباً، فأنت أمير الكلاب وقائدها.

قال المتوكل يوماً لجلسائه: أتدرون ما الذى نقم المسلمون من عثمان؟ قالوا: لا. قال: أشياء منها أنه قام أبوبكر دون مقام الرسول بمرقاة، ثم ومقام عمر دون مقام أبى بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد: ما احد أعظم منه عليك يا أمير المؤمنين من عثمان. قال: وكيف؟ ويلك. قال: لأنه صعد ذروة المنبر، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله.

قال رجل لغلامه: يا فاجر، فقال الغلام: مولى القوم منهم. قال الربيع كنت قائماً على رأس المنصور إذ أتى بخارجى قد هزم له جيوشاً، فأقامه ليضرب عنقه، ثم قال له: يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش، فقال له الخارجى: ويلك وسوءة لك، بينى وبينك أمس القتل

والسيف، واليوم القذف والسب، وما كان يؤمنك أن أرد عليك، قد يئستِ من الحياة فلا تستقبلها أبداً فاستحى المنصور وأطلقه.

وقال الصاحب بن عباد: ما أخجلنى غير ثلاثة، منهم أبو الحسين البهدينى، فإنه كان فى نفر من جلسائى، فقلت له، وقد أكثر من أكل المشمش، لا تأكله، فانه يلطخ المعدة. فقال: ما يعجبنى ما يطبب الناس على مائدته. وآخر قال لى، وقد جئت من دار السلطان، وأنا ضجر من أمر عرض لى: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة الله، فقال: رد الله غربتك، فأحسن علىّ إساءة الأدب. وصبى مستحسن داعبته فقلت: ليتك تحتى، فقال: مع ثلاثة أخر. يعنى فى رفع جنازتى، فأخجلنى.

قال رجل: شربت البارحة، فاحتجت إلى القيام لإراقة الماء، كأننى جدي، فقال له عامى: لم تصغر نفسك ياسيدنا.

الباب الثاني والعشرون
فى ذكر أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء

حدثنا يحيى المروزى قال: كنت آكل مع الرشيد يوماً، فرفع رأسه إلى خادم، فكلمه بالفارسية، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تسر إليه شيئاً فإني أفهم الفارسية، فاستحسن الرشيد ذلك منى وقال: ليس نطوى سراً.

قال: عاد أبو عمر الضرير رجلاً من أصحابه، فأخذت أمة بيده، فصعدت به، فلما أراد أن ينزل جاءت، فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردته، فقال: إن جاريتك أخذت بيدى حين صعدت، وهى بكر، ثم أخذت بيدى الساعة وهى ثيب، فسأل عن ذلك، فأخبر أن إبناً للرجل افترشها.

قال مصعب بن عبد الله قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار خلف رجل، فلما قرأ ارتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مراراً، فقال الشاطر من خلفه: ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ.

قال محمد بن عبد الرحمن: دعا معن مرة أخاً له، فأقعده إلى جانب العصر، فلم يطعمه شيئاً فاشتد جوعه، فأخذه مثل المجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتى أى صوت تشتهى أن أسمعك؟ قال: صوت المقلى.

أخبرنا الجماز قال: سمعت واحد يقول لآخر قد رمد: بأى شئ

تداوى عينيك؟ قال: بالقرآن ودعاء الوالدة، فقال: اجعل معهما شيئاً من أنزروت.

قال أبو الحسن على بن هشام بن عبيد الله الكعب، المعروف أبوه بإبى قيراط قال: سمعت حامد بن العباس يقول: ربما انتفع الإنسان فى نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالرجل الكبير، فمن ذلك أن اسماعيل بن بلبل لما حبسنى جعلنى فى يد بواب كان يخدمه، فكان رجلاً حراً، فأحسنت إليه وبررته، وكان ذلك البواب يدخل إلى مجلس الخاصة، ولا ينكر عليه لسابق خدمته، فجاءنى فى بعض الليالى، وقال: قد حرر الوزير على ابن الفرات،وقال: ما يكسر المال على حامد غيرك، ولابد من الجد فى مطالبته بباقى مصادرته، وسيدعو بك الوزير غداً إلى حضرته ويهددك، فشغل ذلك قلبى، فقلت له: فهل عندك من رأى؟ فقال: أكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه، والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها، وأسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع اليك لتخرجها، فإنه لشحه يردك بعذر احتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها اليه، وقلت له: قد أفضت حالى إلى هذا، فأخرجتها على غير مواطئة، فلعل ذلك ينفعك، ففعلت ما قال، وجاءنى الجواب بالرد كما حسبنا، فلما كان من الغد أخرجنى الوزير وطالبنى، فأخرجت الرقعة، فقرأها فلان واستحى وكان ذلك سبب خفة أمرى وزوال محنتى.

قال عيسى بن محمد الطومارى: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضى يقول: اعتل أبى علة شهوراً، فانتبه ذات ليلة فدعا بى

قلت: لا. قال: ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان.

قال على بن الحسين الرازى: مر بهلول بقوم فى أصل شجرة وكانوا عشرة، فقال: بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول. قالوا: فجاءهم، فقالوا: يا بهلول، تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم. قال: نعم فأعطوه عشرة دراهم فصيرها فى أكمه، ثم التفت، فقال: هاتوا سلماً. فقالوا: لم يكن هذا فى الشرط، فقال: كان فى شرطى دون شرطكم.

ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول، فقال: ما هذا الحزن أجزعت بخلق سوى وهبة رب العالمين. أيسرك أن مكانها أبناء مثلى، فسرى عنه.

وفر يوماً بهلول من الصبيان، فالتجأ إلى دار، فوجد بابها مفتوحاً، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح ما أدخلك دارى؟ فقال: ﴿يا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجُوجَ وَمَأجُوجَ مُفْسِدُوْنَ فى الأرضِ﴾[1]. وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل داراً، فدعا الرجل بالطعام، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيْهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾[2].

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف إبناً وبنتاً وزوجة، ولم يترك من المال شيئاً، فقال للإبن اليتم، وللبنت الثكل، وللزوجة خراب البيت، وما بقى فللعصبة. قال، ودخل بهلول وعليان على موسى بن

(١) سورة الكهف الآية رقم: ٩٤.

(٢) سورة الحديد الآية رقم: ١٣.

واحدة. ألا قلت: في الرأس طالعة أو لائحة، فعجبت من فطنته وجودة خاطره.

روى سعيد بن يحيى الأموى عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون، فرمى منهم من ولد أبى بكر وطلحة فقرطس، فقال: أنا ابن القرنين، فرمى آخر من ولد أبى بكر وطلحة فقرطس، فقال: أنا ابن القرنين، فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس، فقال: أنا ابن الشهيد، ورمى رجل من الموالى فقرطس، فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة. فقالوا له: من هو؟ فقال: آدم.

قال المبرد: قدم بعض البصريين من أصحاب أبى هذيل بغداد، قال: فلقيت مخنثين، فقلت لهما: أيد منزلاً، وكان هذا الرجل فى نهاية القبح، فقال أحدهما: بالله من أين أنت؟ قلت: من البصرة، فأقبل على الآخر، وقال لا إله إلا الله تحول يا أختى كل شئ من الدنيا حتى هذا. كانت القرود تجئ من اليمن صارت تجئ من البصرة.

بلغنا عن أبى الحرث انه كان يهوى جارية يتعرس بطيفها، فشكا حاله إلى محمد بن منصور فاشتراها له وأنفذها اليه، فلم يساعده ما معه عليه، فبكر إليه، فقال: كيف كانت ليلتك؟ قال: شر ليلة صار ما عندى قريشاً من بنى أمية، قال: كيف ذاك؟ قال: صار كما قال الأخطل:

شمس العداوة حتى تستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاماً إذ قدروا

فضحك محمد بن منصور ومضى إلى الفضل وجعفر، فأخبرهما، وكان خبره حديثهم عامة يومهم.

شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم، فدخل على هشام، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن منادياً نادى يامفلس ما بقى أحد من أصحابك إلا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

عربد هاشمي على قوم، فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يتناوله بالأدب، فقال: إنى أسأت وليس معى عقلى، فلا تسئ إلىّ ومعك عقلك، فصفح عنه.

قال: قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك، فقام رجل منهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيناك رغبة ولا رهبة، قال: فلم جئتم؟ قال: نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا فى رحالنا، وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت الينا الحياة وهونت علينا الموت، فأما تحبيبك إلينا الحياة، فلما انتشر من عدلك، وأما تهوينك علينا الموت، فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

حدثنا أبو الحسن المدايني قال بعض العلماء: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفاً أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمر بنا، فكلما رأيناه قلنا ﴿مَتَى هَٰذَا الوَعْدُ إنْ كُنتُم صَادِقِين﴾[1] فيسكت إلى أن اجتمع ما يريده، فمر بنا، فأعدنا عليه القول، فقال: ﴿انْطَلِقُوا إلى مَا كُنتُمْ به تُكَذِّبُون﴾[2].

ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم ير

(١) سورة الملك الآية رقم: ٢٥.

(٢) سورة المرسلات الآية رقم: ٢٩.

مثله فيما كان يعمل من الشعبذة. دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله، فرأى خادماً من خواصه يبكى على بلبل مات له، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته؟ فقال: ما تريد، فأخذ البلبل الميت، فأدخله كمه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حياً، فماجت الدار وعجب الحاضرون، فاستدعاه على بن عيسى وقال: والله إن لم تصدقنى عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك، فقال: إنى شاهدت الخادم يبكى على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فمضيت فى الحال إلى السوق، وابتعت بلبلاً وخبأته فى كمى وعدت إلى الخادم، فقلت ما قلته، وأخذت البلبل الميت، وأدخلت رأسه فى كمى وأكلته، وأخرجت الحى، فلم يشك أنه بلبله وهذا رأس الميت.

أحضر رجل بين يدى المأمون قد أذنب فقال له : أنت الذى فعلت كذا وكذا؟ قال: نعم أنا ذاك يا أمير المؤمنين الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك، فعفا عنه.

قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا، فقال الآخر: أنت النهر الذى يشرب منه ذلك البستان.

تظلم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون، فقال: ما علمت فى عمالى أعدل منه. فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك فى حسن النظر، فأما نحن، فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون، وأمر بصرفه.

دعا بعض الظرفاء قوماً، فجاؤوا ومعهم طفيلى، ففطن الرجل

به، وأراد أن يعلمهم أنه قد فطن، فقال: ما أدرى لمن أتنكر لكم إن دعوتكم فجئتم، أو لهذا الذى تجشم من غير أن دعوته.

قال يموت بن المزرع، قال لى سهل بن صدقة يوماً، وكانت بيننا مداعبة: ضربك الله باسمك، فقلت لـه مسرعاً: أحوجك الله إلى إسم إبيك.

مر رجل من الأذكياء برجل قائم فى الطريق قال: ما وقوفك؟ قال: أنتظر إنساناً. فقال: يطول قيامك إذن.

تقدم رجل سئ الأدب إلى حجام، فقال له: تقدم يا ابن الفاعلة، وأصلح شاربى، فقال له: إن كان خطابك للناس كذا، فعن قليل تسترح منه.

حضر خياط عند بعض الأتراك ليفصل له قباء، فأخذ يفصل والتركى ينظر إليه، فلم يتهيأ له أن يسرق منه شيئاً، فضرط ، فضحك التركى حتى استلقى، فأخرج الخياط من الثوب ما أراد، فجلس التركى وقال: يا خياط! ضرطة أخرى، فقال: لا يجوز يضيق القباء.

قال رجل لرجل: بكم ابتعت هذه الشاة؟ فقال: أخذتها بستة، وهى خير من سبعة، وقد أعطيت بها ثمانية، فإن كانت من حاجتك بتسعة، فزن عشرة.

تزوج أعمى امرأة، فقالت له: لو رأيت حسنى وبياضى لعجبت، فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك لى البصراء.

قال رجل لبعض المياسير: وعدتنى وعداً فانجزه لى، فقال: ما

أذكر هذا الوعد، فقال: صدقت أنت لا تذكره لأن من تعد مثلى كثير، وأنا لا أنسى، لأن من أسأله بمثلك قليل، فقال أحسنت وقضى حاجته.

كان رجل فى دار بأجرة، وكان خشب السقف يتفرقع كثيراً، فلما جاء رب الدار يطالبه بالأجرة قال له: اصلح هذا السقف، فإنه يتفرقع قال: لا بأس عليك، فإنه يسبح الله، قال: أخشى أن تدركه الرأفة فيسجد.

وقف قوم على مزيد، وهو يطبخ قدراً، فأخذ أحدهم قطعة لحم، فأكلها، وقال يامزيد: تحتاج القدر إلى الخل، وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها وقال: تحتاج القدر إلى أبزار، وأخذ آخر قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى ملح، فأخذ الطباخ قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى لحم. فتضاحكوا منه وانصرفوا.

قال رجل لأعرابى: ما اسمك؟ فقال: فرات بن البحرين الفياض، قال: فما كنيتك؟ قال: أبوالغيث. قال: بأبى أنت ينبغى أن نلقى فيك زورقاً وإلا غرقنا.

قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه فى بستانه: ما أحسن هذا البستان؟ قال: أنت أحسن منه لأنه يؤتى أكله كل عام مرة، وأنت تؤتى أكلك كل يوم.

قام رجل على رأس ملك، فقال له: لم قمت؟ قال: لأقعد، فولاه.

دخل مخنث على العريان بن الهيثم، وهو أمير المؤمنين بالكوفة، فقال: ياعدو الله! أتتخنث وأنت شيخ؟ فقال: مكذوب عليّ كما كذب على الأمير أعزه الله، فاستوى جالساً وقال: وما قيل فيّ؟ قال: يسمونك العريان، وأنت صاحب عشرين جبة، فضحك وخلى سبيله.

رمى رجل عصفوراً فأخطأه، فقال له رجل! أحسنت، فغضب، وقال: أتهزأ بي؟ قال: لا. ولكن أحسنت إلى العصفور.

قال جعفر بن يحيى البرمكي لبعض ندمائه: اشتهى والله أن أرى إنساناً تليق به النعمة، فقال له الرجل: أنا أريك ذاك عياناً. فقال: هات، فأخذ المرآة فقربها من وجهه.

قص قاص، فقال: إذا مات العبد وهو سكران، دفن وهو سكران، وحُشر وهو سكران، فقال رجل في طرف الحلقة: هذا والله نبيذ جيد يساوي الكوز منه عشرين درهماً.

نظر الأصبهاني إلى أبي هفان يسار رجلاً، فقال: فيم تكذبان؟ قالا: في مدحك.

كان رجل من الظراف مع الرشيد في سفره إلى خراسان، فلما علا عقبة ماسدان قال للرشيد: الحمد لله الذي أخرجنا من الدنيا سالمين.

اجتاز بالناشئ البغدادي قصاب يبيع لحم بقر هزيل، وهو يقول: أين من حلف لا يغبن، فقال له الناشئ: حتى تحنثه.

قال: تاب مخنث، فلقيه مخنث آخر، فقال من أين تأكل؟ قال: من

بقية ذاك الكسب، فقال: لحم الخنزير طرياً أطيب منه قديداً.

وقال رأى عبادة المخنث ثغر دابة، فمط ذنبها، وقال: هذه تمشى على استحياء.

اطعم رجل رجلاً من جدي أربعة أيام، فقال له: هذا الجدي موته أطول عمراً منه فى حياته.

اجتمع قوم فى دعوة وفيهم رجل له محبوب فى الجماعة، فلما ناموا قام المحب، فأطفأ السراج، وأخذ بيده حتى أن رآه أحد وضع المخدة تحت رأسه وقام، فلما بلغ إلى المكان خرجت جارية بشمعة، فألصق المخدة بالحائط واتكأ عليها يغط، فقالت الجارية: ويحط تنام وتغط قائماً. فقال لها: إيش عليك منى كيفما أردت أن أنام نمت.

دخل رجل ذكى إلى المسجد يصلى، فسرقوا نعله، فتركوها فى كنيسة بجوار المسجد، فجعل يفتش عليها، فرآها فى الكنيسة،فقال: ويحك لما أسلمت أنا تهودت أنت.

قال بعض الأذكياء: إذا رأيت رجلاً من صلاة الغداة على باب داره، وهو يقول: ﴿ومَاَ عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَـى﴾[1] فاعلم أن فى جواره وليمة لم يدع إليها، وإذا رأيت قوماً يخرجون من مجلس القاضى وهم يقولون: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾[2] فاعلم أن شهادتهم لم تقبل، وإذا تزوج الرجل، فسئل عن حاله، فإن قال: ما رغبنا إلا فى الصلاح، فاعلم أن زوجته قبيحة.

---

(١) سورة القصص الآية رقم: ٦٠.

(٢) سورة يوسف الآية رقم: ٨١.

قال الشيخ: حكى لنا أن بعض الناس ضاف رجلاً، فانتبه صاحب الدار بالليل، فسمع ضحك الرجل من الغرفة، فصاح به: فلان. قال: لبيك. قال: أنت كنت فى الدار، فما الذى رقاك إلى الغرفة؟ قال: تدحرجت، قال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجت أنت؟ قال: فمن هذا أضحك.

قال رجل لرجل إن لطمتك لأبلغن بك المدينة، فقال له: فأحب أن تردفها باخرى لعل الله تعالى أن يرزقنى الحج على يديك.

قال صبى ليهودى: يا عم قف حتى أصفعك. قال: أنا مستعجل اصفع أخى.

قال رجل لبعض المغنين: ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثانى؟ فقال: وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك

نظر أبو الفضل الهمدانى إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء.

رؤى فقير فى قرية فقيل له: ما تصنع؟ فقال: ما صنع موسى والخضر عليهما السلام. يعنى ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾[1] وسئل بعض السوقة عن سوقهم، فقال: مثل سوق الجنة يعنى أنه: لا بيع فيه ولا شراء.

قال: شتم رجل رجلاً من العوام، فقال له: ايش قلت لك؟ فأوهمه أنه يسأل أى شئ قلته لك حتى تشتمنى، وإنما أراد أى شئ قلته فهو لك، وهذا من عجيب الفطنة.

---

(١)سورة الكهف الآية رقم ٧٧.

جاءت جارية رجل إليه وهو فى الموت بشئ يشربه، فكرهه، فقالت له يا سيدى، غمض عينيك وخذه، فقال: كذا أفعل بشرى لى أنى أموت.

قال رجل لرجل بأى وجه تلقانى، وقد فعلت كذا وكذا، قال: بالوجه الذى ألقى به ربى عز وجل، وذنوبى إليه أكثر من ذنوبى إليك.

تكلم بعض القصاص قال: فى السماء ملك يقول: كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب، فقال بعض الأذكياء: اسم ذلك الملك أبو العتاهية. قال استدعى رجل مغنيين، فلما هما بالغناء قال أحدهما للآخر، اتبعنى. قال: لا، بل أنت اتبعنى. قال: لا، بل أنت اتبعنى، فلما طال هذا بينهما، قال صاحب البيت: اتبعانى جميعاً.

قال: قدم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: إيش تشتهى أجيئك به، فقال: خبزاً.

وحكى أيضاً أن بعض المحتسبين جاز يوماً على رجل ينادى على الخبيص رطلين بحبة، فقال له: ويحك الدبس يباع رطل بحبة، والشيرج رطل بقيراط، فكيف تبيع أنت الخبيص رطلين بحبة؟ فقال: يا سيدنا ما فى الخبيص شئ من اللذين ذكرت.قال: فبع الآن كيف شئت، والله الموفق.

الباب الثالث والعشرون
فى احترازات الأذكياء

قال الشيخ رضى الله عنه: روينا عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل: أيما أكبر أنت أو رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله.

وروينا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسن أم أنت؟ فقال له: لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أبيك الطيب، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل امك الطيبة.

قال، ابن عرابة المؤدب حكى لى محمد بن عمر الضبى أنه حفظ ابن المعتز وهو يؤدبه (والنازعات) وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين أبوك فى أى شئ أنت؟ فقل له: فى السورة التى تلى (عبس) ولا تقل أنا فى (النازعات). قال: فسأله أبوه فى أى شئ أنت؟ قال: فى السورة التى تلى (عبس)، فقال: من علمك هذا؟ قال: مؤدبى. قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال عبد الواحد بن نصر المخزومى قال: أخبرنى من أثق به أنه خرج فى طريق الشام مسافراً يمشى وعليه مرقعة، وهو فى جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة، فصحبنا فى بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر، فقلنا له: يا هذا انك لا تفكر فى خروج الأعراب علينا، فإنه لا شئ معنا يؤخذ وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك، فقال: يكفينا الله، ثم سار ولم يقبل منا، وكان إذا نزل يأكل

استدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه، وإذا عيى الواحد منا أركبه على أحد بغليه، وكانت جماعة تخدمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعاً، فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب، فتفرقنا عليهم ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، فتركناهم ونزل، فجلس وبين يديه سفرته، ففرشها وجلس يأكل، وأظلتنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حل رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدى الأعراب، فلما أكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا: ان الحلو مبنج، أعددته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمت الحيلة. ولكن لا يفك البنج إلا أن تصفعوهم، فافعلوا فانهم لا يقدرون لكم على ضرر ونسير، ففعلوا فما قدروا على الأمتناع، فعلمنا صدق قوله،وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه فى موكب، ورماحهم على أكتافنا، وسلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم إلا يظنونا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا، حتى بلغنا مأمننا.

حدثنا أبو محمد عبد الله بن علي المقرى قال: دفن رجل مالاً فى مكان وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً، وترك عليها تراباً كثيراً ومضى، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين، فلم يجدها، فكشف عن الباقى فوجده، فحمد الله على سلامة ماله، وانما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان، فإنه لما جاءه الذى رآه وجد العشرين، فأخذها ولم يعتقد أن ثم شيئاً آخر.

حدثنى بعض المشايخ أن رجلاً يهودياً كان معه مال، فاحتاج إلى

دخول الحمام، وخاف أن ينكسر سبته إن حمله معه، فدخل إلى خزانة الحمام، فحفر ودفنه، ثم دخل إلى الحمام وخرج، فبحث عنه، فلم يجده، فسكت ولم يخبر أحداً لا زوجته ولا ولداً ولا صديقاً، فجاءه بعد أيام رجل، فقال: كيف أنت من شغل قلبك؟ فلزمه وقال: رد مالى لى، فقالوا له: من أين علمت؟ قال: ما رآنى لما دفنته مخلوق ولا حدثت به مخلوقاً. قال: إن هذا أخذه. أما قال كيف أنت من شغل قلبك؟

وقال بعضهم خرجت فى الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة، وفى يده سراج، فلم يزل يمشى حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعاً، فقلت: يا هذا، أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء، فقال: يا فضولى حملتها معى لأعمى القلب مثلك يستضئ بها، فلا يعثر بى فى الظلمة فيقع على فيكسر جرتى.

روى أبوالحسن الأصفهانى أن ابراهيم الموصلى دخل على الرشيد وبين يديه جارية كأنها خوط بان، فقال لها الرشيد: غنى فغنت:

توهمه قلبى فأصبح خده وفيه مكان امرهم من نظرى أثر
ومر بوهمى خاطراً فجرحته ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر

قال ابراهيم: فذهبت والله بعقلى حتى كدت افتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه التى يقول فيها الشاعر:

لها قلبى الغداة وقلبها لى فنحن كذاك فى جسدين روح

ثم قال: غنى يا إبراهيم فغنيت:

تشرب قلبى حبها ومشى بها

تمشى حميا الكأس فى جسم شارب

ودق هـواهـا في عظـامي فشفها
كما دب في الملسوع سم العقـارب

قال، ففطن بتعريضى، وكانت غلطة منى، فأمرنى بالإنصراف، ولم يدعنى شهراً، ثم دس إليّ خادماً ومعه رقعة فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموت من الوجد ولم يـدر مـن هويـت بحـالى
يا كتابى إقرأ السلام على من لا أسمـى وقـل لـه ياكتـابى
إن كفـا إليـك قـد كتبـتنـى فـى شقـاء مـواصـل وعذاب

فأتانى الخادم بالرقعة، فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة من فلانة الجارية التى غنتك بين يدى أمير المؤمنين، فأحسست بالقصة، فشتمت الخادم وقمت إليه فضربته ضرباً شفيت منه نفسي، وركبت إلى الرشيد من فورى، فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقى وقال: على عمد فعلت ذاك لأمتحنك وأعرف مذهبك وطريقتك، ثم دعا لى الخادم، فخرج فلما رأنى قال: قطع الله يديك ورجليك ويلك قتلتنى، فقلت القتل بعض حقك لما وردت به عليّ ولكنى أبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتى فى عقوبتك ما تستحقه، فأمر لى الرشيد بصلة سنية، والله يعلم أنى ما فعلت ما فعلته عفافاً بل خوفاً.

وقعت على ابن المهلب حية، فلم يدفعها عن نفسه، فقال له أبوه: يا بنى ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة.

الباب الرابع والعشرون
فى ذكر طرف من أحوال
الشعراء والمداحين

قال يموت بن المزرع: جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدى جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى، وكانت الصفحة ترفع من بين يدى جعفر، فتوضع بين يدى الجماز، فربما كان عليها قليل وربما لم يكن شئ، فقال الجماز: أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبة، فربما فضل لنا بعض المال، وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شئ.

قال أبو الحسن السلامى الشاعر: مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها:

تصـــدو دارهـــا صـــدد وتوعـــده ولا تعـــد
وقـــد قتلتـــه ظالـــمة فـلا عقـــل ولا قـــود

وقالا فيها فى مدحه:

فوجـــه كلـــه قمـــر وســـائر جسمـــه أســـد

فلما أنشده إياها أعجب بها سيف الدولة واستحسن هذا البيت منها، وجعل يردد إنشاده، فدخل عليه الشيطمى الشاعر، فقال له اسمع هذا البيت وأنشده إياه. فقال له الشيطمى: احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر.

قال المصنف: الخالديان رجلان. وهما أبوبكر محمد وأبو عثمان

سعيد ابنا هاشم كانا أخوين واتفقا فى حسن الطبع ورقة الشعر وكثرة الأدب، وكانا يشتركان فى الشعر وينفردان، فقال فيهما أبو اسحق الصابى:

أرى الشاعرين الخالدين سيرا
قصائد يفنى الدهر وهى تخلد

تنازع قوم فيهما وتناقضوا
ومر جدال بينهم يتردد

فطائفة قالت سعيد مقدم
وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا إلى حكمى فأصلحت بينهم
وما قلت إلا بالتى هى أرشد

هما فى إجتماع الفضل روح مؤلف
ومعناهما من حيث ثنيت مفرد

خرج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن هامان، فخرج وفى كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم سها، وأسب كمه، فتبددت، فتطير، فقال له شاعر فى ذلك:

هـذا تفـرق جمعهـم لا غـيره	وذهابـه منـا ذهـاب الهـم
شئ يكون الهم نصـف حروفـه	لا خير في إمساكـه في الكـم

أحضر عبد الملك رجلاً يرى رأى الخوارج، فأمر بقتله، فقال: الست القائل؟

ومنـا سويـد والبطـين وقعنـب	ومنـا أميـر المؤمنيـن شبيـب

فقال: إنما قلت، ومنا أمير المؤمنين أردت يا أمير المؤمنين، فحقن دمه ودرأ عن نفسه إذ صرف الإعراب عن الخبر إلى الخطاب.

هجا بعض الشعراء أبا عثمان المازنى فقال:

وفتـــى مـــن مــــازن ســـاد أهــــل البصــــرة
أمـــــه معرفـــــة وأبــــوه نكــــــرة

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد، فلقيه اسماعيل بن صبيح الحاجب، فقال: اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين إبنان، فعاش أحدهما ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرفتك، فلما صار بين يديه قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة بواحدة، تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

قال: دخل جعفر الضبى على الفضل بن سهل، فقال: أيها الأمير: أسكتني عن أوصافك تساوي أفعالك فى السؤدد. وحيرنى فيها كثرة عددها، فليس إلى ذكر جميعها سبيل، فإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها، فلم تكن الأولى أحق بالذكر، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

قال: دخل أبو دلامة على المنصور، فأنشده قصيدة، فقال: يا أبا دلامة، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بكذا وكذا من صلة، وكساك جملك وأقطعك أربعمائة جريب مائتان عامر ومائتان غامر، فقال: أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة فقد عرفته وعرفت العامر، فما الغامر؟

قال: الذى لا نبات فيه ولا شجر قال: فقد أقطعت أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامر قال: ويحك أين قال: ايما بين الحيرة والكوفة، فضحك منه وسوغها إياه عامرة.

قال المدايني: دخل نصيب على عبد الملك بن مروان، فتغدى معه ثم قال له: هل لك فيما يتنادم عليه؟ فقال: لونى حائل وشعرى مفلفل وخلقى مشوه، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياى بشرف أب ولا أم، وإنما بلغته بعقلى ولسانى، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بينى وبين ما بلغت به هذه المنزلة، فأعفاه.

قال المدايني: جلس نساء ظراف إلى بشار بن برد، فتحدث وتحدثن، ثم قلن له: لوددن أنك أبونا. قال: على أنى على دين كسرى.

قال خالد الكاتب: ارتج على وعلى دعبل وواحد من الشعراء قد سماه ولم أحفظ إسمه نصف بيت، قلنا جميعاً: يا بديع الحسن ثم قلنا ليس لنا إلا جعيفران الموسوس فجئناه، فقال: ما تبغونى؟ فقال: خالد جئناك فى حاجة، فقال: لا تؤذونى فإنى جائع، فبعثنا فاشترينا له طعاماً، فلما شبع قال: حاجتكم؟ قلنا: اختلفنا فى نصف بيت، فقال: ما هو؟ قلنا. يا بديع الحسن، فما تلعثم والله أن قال:

يا بديع الحسن حاشا ... لك من هجر بديع

فقال له دعبل زدنى بيتاً فقال:

وبحسن الوجه عوذ ... تك من سوء الصنيع

فقال له الذى معنا، ولى بيت، فقال: نعم وعزازة وكرامة.

ومن النخوة يستفيدك لى ذل الخضوع

فقلت: استودعك الله. فقال: انتظروا أزدكم بيتاً آخر، فقال:

لا يعب بعضك بعضاً كن جميلاً فى الجميع

ومن الفطنة: الكلام الموجه الذى يحتمل المدح والذم، ومنه قول المتنبى: (عدوك مذموم بكل لسان). فإنه يحتمل المدح ويحتمل الذم ووجه الذم أن يكون المذكور دنياً ولا يعادى الدنى إلا مثله، وكذلك قوله: (ولله سر فى علاك) يحتمل المدح. أى سر لا يطلع عليه فى تقديم مثلك. قال شاعر، فأراد أن يكثر عليه، فقال لأهل البلد:

وتشابهت سور القرآن عليكمو فقرنتم الأنعام بالشعراء

ومدح رجل رجلاً يقال له: يسير، فقال فى مدحه: وفضل يسير فى البلاد يسير.

فقيل له: انك قد مدحته وأنه لا يعطيك شيئاً، فقال: ان لم يعطنى شيئاً قلت بيدى هكذا وضم أصابعه يعنى أنه قليل.

وبلغنى من هذا الجنس قول رجل فى رجل:

تحلى بأسماء الشهور فكفه جمادى وما ضمت عليه المحرم

وقال شاعر أخر:

وقائل لى ما الذى تشتهى من التى ضمها خدرها؟

أوجهها حين بدا مقبلا	أم شعرها الأسود أم ثغرها؟
أم طرفها الأدعج أم كشحها	أم منبت الرمان أم صدرها؟
قلت له أعشق ذا كله	ونصف حران وثلثى رها

سئل جحظة عن دعوة حضرها. فقال: كل شئ كان منها بارد إلا الماء.

وقدمت إلى أبى يعقوب الخزيمى سكباجه كبيرة العظام، فقال: هذه شطرنجية واتبعت بفالوذجة قليلة الحلاوة، فقيل: قد عملت هذه قبل أن يوحى ربك إلى النحل.

قال شاعر لشاعر: أنا أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

قال دخل بعض شعراء الهند على أمير، فمدحه، فقال له الأمير: تقدم يازوج القحبة، فقال: ما زوج القحبة؟ فقال: هذه بلغة العرب كناية عمن له قدر جليل ومحل كبير ومال ودواب وغلمان ومنزلة، قال: فأنت والله أيها الأمير أكبر زوج قحبة فى الدنيا، فخجل وعلم أن مزاحه جر عليه شتمه.

دخل بعض الأدباء على المأمون يسأله حاجة فلم يقضها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لى شكر قال: ومن يحتاج إلى شكرك؟ فأنشأ يقول:

فلو كان يستغنى عن الشكر مالك	لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره	وقال اشكرونى أيها الثقلان

فقال: أحسنت، وقضى حاجته.

قال ابن الهبارية:

قـد مـت للشـيخ الرئيـس أخـى السـماح أبـى المظفـر
ذكـر معيـن الملـك بـى قـال المـؤنـث لا يذكـر

روى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال: دخلت على أبى نصر بن أبى زيد وعنده علوى مبرم، فتأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لى أبو نصر: ابن عمك هـذا خفيـف علـى القلب، فقلت: نعم، فقال: ما أظنك فهمت، ففكرت فعلمت أنه أراد خفيفاً مقلوباً، وهو الثقيل. وهذا المعنى الـذى أراده أبـو سـعيد بـن دوست:

وأثقـل منـى زائـرى وكأنمـا يقلب فى أجفان عيني وفى قلبى
فقلـت له لمـا برمـت بقربـه أراك على قلبى خفيفاً على القلب

وصف لشاعر طيب خراسان، فلما سافر إليها لم تعجبه فقال:

تمنينـا خراسـانا زمانـا فلـم نعـط المنى والصبر عنهـا
فلمـا أن أتيناهـا سراعـا وجدناها بحذف النصـف منهـا

الباب الخامس والعشرون
في ذكر طرف من حيل المحاربين

حدثنا زياد بن جبير رضي الله عنه قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل من المشركين، يقال له الهرمزان، فأسلم، فقال، فإني مستشيرك في مغازي هذه فأشر عليّ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين الأرض مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وجناحان وله رجلان، فإن انكسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح وبالرأس، وان انكسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، فان انشج الرأس ذهبت الرجلان والجناحان، فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس، فمر المسلمين؛ فلينفروا إلى كسرى.

وقد روينا أن الأسكندر رأى في عسكره سمياً له لا يزال ينهزم فقال له: أما أن تغير إسمك أو فعلك.

وخرج يوماً في الحرب من صف أصحابه وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمناه، فاتهمت الفرس بعضها بعضاً، وكان أول اضطراب حدث فيهم.

وفي رواية انه لما صادف دارا أمر منادياً في عسكر دارا: أيها الناس أما نحن فقد فعلنا ما اتفقنا عليه، فكونوا من وراء ما ضمنتم فاستشعر دارا أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك سبب هزيمته.

ولما شخص عن فارس إلى الهند تلقاه ملكها في جمع عظيم ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأغمدة، فلم تقف لها دواب الإسكندر، فهزم وعاد إلى مأمنه، فأمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها، ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً وألبسها الدروع وجرت على العجل إلى المعركة، وبين تمثالين منها جماعة من أصحابه، فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار في جوف التماثيل، فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها الفيلة فضربتها بخراطيمها فتشيطت وولت مدبرة راجعة على أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند.

قال: ونزل مرة على مدينة حصينة، فتحصن أهلها منه، فأخبر أن عندهم من الميرة قدر كفايتهم، فدس تجاراً متنكرين وأمرهم بدخول المدينة، ورحل عنها وأمدهم بمال ومتاع، فباعوا ما معهم وابتاعوا الميرة، فلما اكتنزوا كتب أن أحرقوا ما عندكم من الميرة واهربوا ففعلوا، فزحف إلى المدينة فحاصرها أياماً يسيرة، فأخذها وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القرى، فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة، فتقل فيحاصرهم فيفتحها.

وحكى عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصهد إلى الروم في جيش عظيم، فأعطى من الظفر ما لم يعطه أحد قبله، وأخذ الأصهد خزائن الروم ووجهها على هيئتها إلى كسرى، ففطن كسرى أن مال الأصهد من الظفر، وأن هذا يغيره عليه، ويوجب له كبراً، فبعث إليه رجلاً ليقتله وكان المبعوث عاقلاً، فلما رأى الأصهد وتدبيره وعقله

قال: ما يصلح قتل هذا بغير جرم، ثم أخبره بالذى جاء له، فأرسل الأصهد إلى قيصر إنى أريد أن ألقاك. قال: إذ شئت فنلتقيا. فقال لهم: إن هذا الخبيث قد هم بقتلى ووجه إلىّ رجلاً بذلك، وإنى أريد هلاكه كالذى أراد منى والبادى أظلم، فاجعل لى من نفسك ما اطمئن إليه وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذى أصبت منك، ومثل الذى أنت منفقه فى مسيرك هذا، فأعطاه من المواثيق ما اطمأن إليه، وسار قيصر فى أربعين ألفاً، فنزل بكسرى، فعلم كسرى كيف جرى الأمر، فاحتال لفض جنود قيصر، فدعا قساً متنصر فى دينه،فقال: انى كاتب معك كتاباً لطيفاً فى حريرة لتبلغه الأصهد، فلا تطلعن على ذلك أحداً وأعطاه ألف دينار، وقد علم كسرى أن القس يوصل إلى قيصر لأنه تحته هلاك الروم، وكان فى الكتاب: إلى الأصهد، إنى كتبت إليك وقد دنا منى قيصر، فقد أحسن الله إلينا وأمكن منهم بتدبيرك لا عدمت صواب الرأى، وقد فرقت عليهم وأنا ممهله حتى يقرب من المدائن، ثم أغافله فى يوم كذا فغره علىّ من قتلك إياى، فإنى استأصلهم، فخرج القس بالكتاب، فأوصله إلى قيصر، فقال قيصر هذا الحق وما أراد إلا هلاكنا، فتولى منصرفاً وأتبعه كسرى إياس بن قبيصة الطائى، فقتل أصحابه ونجا قيصر فى شرذمة قليلة.

قال هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال: كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة، وكان به وضح، وكان شديد السلطان يخافه القريب ويهابه البعيد، فنهيت العرب أن يقولوا الأبرص، فقالوا الأبرش فغزا مليح بن برء، وكان ملكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس، وهو الذى ذكره

عدى بن زيد فى قصيدة منها هذا البيت:

وأخـو الحضـــر إذ بنـــاه وإذ دجلـــة تجبـــى إليـــه والخابـور

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة.

قال ابن الكلبى: لم يكن فى نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارغة، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزباء. قال الكلبى: وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها، فأزالت جذيمة الأبرش عنها، وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقى الفرات ومن غربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، وكان إذا راهقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به، وكانت قد اعتزلت الرجال، فهى عذراء وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدث جذيمة نفسه بخطبتها، فجمع خاصته فشاورهم فى ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد، وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب امره وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير، فقال: أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة قد حرمت الرجال، فهى عذراء لا ترغب فى مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام، وإنما هى تاركتك رهبة وحذار دولة،الحقد دفين فى سويداء القلب له كمون ككمون النار فى الحجر إن اقتدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك فى بنات الملوك الأكفاء متسع، ولهن فيه منتفع، وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك فما أحد فوقك. فقال

جذيمة: يا قصير الرأى ما رأيت، والحزم فيما قلته، ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى، ولكل امرئ قدر لا مفر له منه ولا وزر، فوجه إليها خاطباً، قال: أئت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه، فجاءتها خطبته، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له: أنعم بك عيناً وبما جئت به وله، واظهرت له السرور به والرغبة فيه واكرمت مقدمه ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفاً أن لا أجد كفؤاً، والملك فوق قدرى وأنا دون قدره، وقد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال، ولولا أن السعى فى مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه، وأهدت إليه هدية سنية ساقت العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم، وحملت من الثياب والعين والورق، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف، وظن أن ذلك لحصول رغبته، فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه، واستخلف على مملكته إبن اخته عمرو بن عدى اللخمى، وهو أول ملوك الحيرة من لخم، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهوالذى اختطفته الجن وهو صبى وردته، وقد شب ونبر، فقالت أمه ألبسوه الطوق، فقال خاله جذيمة: شب عمرو عن الطوق فصارت مثلاً فاستخلفه وسار إلى الزباء فلما صار ببقة نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأى من أصحابه، فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال: ايها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم. قال لى: أف ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له، ولا تعتقد الرأى بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد، والرأى عندى للملك أن

يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجرى بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل، فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ما عندكم أنتم فى هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته فى ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه. فقال جذيمة: الرأى للجماعة والصواب ما رأيتم. فقال قصير: أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر. فأرسلها مثلاً.

وسار جذيمة، فلما قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه، فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه، وأمرت أن يحمل إليه الإنزال والعلوفات، وقالت لجندها: وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم.

وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً، فقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم. قد زادت بصيرتى فيه. أفأنت على عزمك؟ قال: نعم وقد زادت رغبتى فيه. فقال قصير ليس للأمور بصاحب، من لم ينظر فى العواقب وقد يستدرك الأمر قبل فواته، وفى يد الملك بغية هو بها مسلط على استدراك الصواب، فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك، وألقيتها فى يدى من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً ولهواك تابعاً، فإن القوم إن تلقوك غداً فرتاً وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم، فالأمر بعده فى يدك والرأى فيه إليك، وإن تلقوك رزدقاً واحداً وأقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم انقضوا عليك من كل جانب، فأحدقوا بك، فقد

ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا يشق غبارها، وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجارى الرياح. يقال لها العصا، فإذا كان كذلك، فتملك ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جواباً وسار، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وشماله، فإذا توسط جمعكم، فتعرضوا عليه، من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم، وسار جذيمة وقصير عن يمينه، فلما لقين القوم رزدقاً واحداً أقاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب إنقضاض الأحدل على فريسته فأحدقوا به وعلم أنهم قد ملكوه. وكان قصير يسايره فأقبل عليه، وقال: صدقت يا قصير، فقال قصير: أيها الملك! أبطأت بالجواب، حتى فات الصواب. فأرسله مثلاً، فقال: كيف الرأى الآن؟ قال: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه، فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها، فذهبت تهوى به هوى الريح، فنظر إليه جذيمة وهى تطاول به، وأشرفت الزباء من قصرها، فقالت: ما أحسنك من عروس تجلى عليّ وتزف إليّ، حتى دخلوا به إلى الزباء، ولم يكن معها في قصرها إلا جوار أبكار أتراب.

وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زى، وهى بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو، فأمرت بالأنطاع فبسطت، وقالت لوصائفها خذوا بيد

سيدكن وبعل مولاتكن، فأخذن بيده فأجلسته على الأنطاع بحيث يراها وتراه، وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجوارى فقطعن رواهشه، ووضعت الطشت تحت يده، فجعلت تشخب فى الطشت، نقطرت قطرة على النطع، فقالت لجواريها: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله، فلما مات قالت: والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض، ثم أمرت به، فدفن.

وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدى، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفى الأثر عن خاله، فخرج ذات يوم فنظر إلى فارس قد أقبل يهوى به فرسه هوى الريح، فقال: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالهيدة لأمر ما جاءت العصا، فأشرف عليهم قصير، فقالوا: ما وراءك؟ قال: سعى المقدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنفى وأنفه، فاطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأى ثأر يطلب من الزباء، وهى أمنع من عقاب الجو، فقال قصير: قد علمت نصحى كان لخالك وكان الأجل رائده، والله لا أنا عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو أدرك به ثأراً أو تخترم نفسى فأعذر، ثم أنه عمد إلى أنفه فجدعه، ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدى، فقيل لها: هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك، فأذنت له، فقالت: ما الذى جاءك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام! لقد أتيت فيما يؤتى مثلك فى مثله، ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدى فإنه اتهمنى بخاله وبمشورتى عليه بالمسير إليك، فجدع أنفى وأخذ

مالى، وحال بينى وبين عيالى وتهددنى بالقتل، وإنى خشيت على نفسى، فهربت منه إليك، أنا مستجير بك ومستند إلى كهف عزك، فقالت: أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فأنزل وأجرت له الإنزال ووصلته وكسته وأخدمته وزادت فى إكرامه، وأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوماً: إن لى بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، وإن أذنت لى فى الخروج إلى العراق وأعطيتينى شيئاً أتعلل به فى التجارة وأجعله سبباً للوصول إلى ما لى أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالاً، فقدم العراق وبلاد كسرى، فأطرفها من طرائفه وزادها مالاً إلى مالها كثيراً وقدم عليها، فأعجبها ذلك وسرها وترتب له عندها منزلة، وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجواهر والبز والخز والديباج، فأزداد مكانه منها وازدادت منزلته عندها ورغبتها فيه، ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذى تحت الفرات والطريق إليه، ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأولتين ظرائف ولطائف، فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به فى مهماتها وملماتها، واسترسلت إليه وعولت فى أمورها عليه، وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه حصيفاً لبيباً أديباً، فقالت له يوماً: أريد أن أغزو البلد الفلانى من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتنى بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير: ولى فى بلاد عمرو بن عدى ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها

كذا وكذا، وما يعلم عمرو بها، ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك، وكنت أتربص به المون. وأنا اخرج متنكراً من حيث لا يعلم، فآتيك بها مع الذى سألت، فأعطته من المال ما أراد. وقالت: يا قصير الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره.

ولقد بلغنى أن أمر جذيمة كان إيراده واصداره إليك وما تقصر يدك عن شئ تناله يدى، ولا يقعد بك حال ينهض بى. فسمع بها رجل من خاصة قومها فقال: أسد خادر، وليث ثائر قد تحفز للوثبة. ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال: الآن طاب المصاع وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدى. فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فانهض فعجل الوثبة. فقال له عمرو: قل أسمع، ومر أفعل، فأنت طبيب هذه القرحة، فقال: الرجال والأولاد. قال: حكمك فيما عندنا مسلط، فعمد إلى ألفى رجل من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته، فحملهم على ألف بعير فى الغرائر السود. وألبسهم السلاح والسيوف والجحف، وأنزلهم فى الغرائر. وجعل رؤوس المسوح من أسفلها مربوطة من داخل، وكان عمرو فيهم. وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة، فجاءها البشير فقال: قد جاء قصير ولما قرب من المدينة حمل الرجال فى الغرائر متسلحين بالسيوف الجحف. وقال: إذا توسطت الإبل المدينة، فالإمارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء فى قصرها، رأت الإبل تتهادى بأحمالها، فارتابت بها، وقد كان وشى بقصير إليها وحذرت منه، فقالت للواشى به إليها إن قصيراً اليوم منا، وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة، وإنما يبعثكم على ذلك الحسد ليس

فيكم مثله، فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها فى نفسها مع ما عندها من قول الواشى به إليها فقالت:

مـــا للجمـــال مشـــيها وئيـــدا	أجنـــدلا يحملـــن أو حديـــدا
أم صـــرفانا بـــــاردا شديـــدا	أم الرجـــال في المســـوح سودا

ثم أقبلت على جواريها، فقالت: أرى الموت الأحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلاً، حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت ألقوا إليهم الأمارة فاخترطوا رؤوس الغرائر، فسقط إلى الأرض ألفا ذراع بألفى باتر طالب ثأر القتيل غدراً، وخرجت الزباء تمصع تريد النفق، فسبقها إليه قصير، فحال بينها وبينه، فلما رأت أن قد أحيط بها وملكت، التقمت خاتماً فى يدها تحت فصه سم ساعة، وقالت: بيدى لا بيدك ياعمرو، فأدركها عمرو وقصير، فضرباها بالسيف حتى هلكت وملكا مملكتها، واحتويا على نعمتها، وخط قصير على جذيمة قبراً، وكتب على قبره هذه الأبيات يقول:

ملـك تمتـع بالعسـاكر والقنـا	والمشـرفية عـزه مـا يوصـف
فسـعت منيتـه إلى أعـدائـه	وهو المتوج والحسـام المرهف

وقد روينا أن ملكاً كان يقال له شمر ذو الجناح سار إلى سمرقند، فحاصرها، فلم يظفر منها بشئ، فطاف حولها بالحرس، فأخذ رجلاً من أهلها، فاستمال قلبه وسأله عن المدينة، فقال: أما ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الشراب والأكل والجماع، ولكن له بنت هى التى تقضى أمر الناس، فبعث منه هدية إليها، وقال أخبرها إنى لم أجئ لالتماس المال، فإن معى من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة،

وأنا دافعها إليها وأمضى إلى الصين، فإن كانت لى الأرض كانت امرأتى، وإن هلكت كان المال لها، فلما بلغتها رسالته قالت: قد أجبته فليبعث بالمال، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت فى كل تابوت فارس، وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل، فلما صاروا فى المدينة ضرب بالجلجل، فخرجوا، فأخذوا الأبواب، ونهض شمر فى الناس، فدخل المدينة، فقتل أهلها وحوى ما فيها، ثم سار إلى الصين.

وقد كان كسرى من الذكاء على غاية، فروينا عنه أنه نمّ إليه رجل بصديق له فكتب كسرى للنام قد اخترنا نصحك وذممنا صاحبك لسوء اختياره الأخوان.

قال منجمو كسرى: إنك تقتل، فقال لأقتلن من يقتلنى، فأمر بسم فخلط فى أدوية، ثم كتب عليه دواء الجماع مجرب من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مر به، فقال فى نفسه هذا الدواء الذى كان يقوى به على السرارى، فأخذ منه، فقتله وهو ميت.

رواية: إن شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إنى أدلك على شئ لوجوب حقك يكون فيه غناك. قال: وما هو؟ قال الصندوق الفلانى، فذهب الرجل إلى شيرويه، فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وفيه حق فيه حب، وثم مكتوب من أخذ منه واحدة افتض عشرة أبكار، فطمع شيرويه فى صحة ذلك، فأخذه وعوض الرجل منه، ثم أخذ منه حبة، فكان هلاكه، وكان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حى.

هزم بعض الملوك، فنثر لطالبيه زجاجاً ملوناً شبيهاً بالجوهر الأحمر والأخضر، ودنانير صفراً مطلية بالذهب، فتشاغل طالبوه بلقطها، فنجا.

علم بعض الملوك بعسكر يطلبه، فأخذ شعيراً فطبخه بالماء مع قضبان الدفلى، ثم جففه ثم جربه فى دابة، فلما أكلته نفقت من يومها، فخرج هو وعسكره ناحية ونثر الشعير والميرة، فلما سار القوم إليه ترك ما فى معسكره وتنحى، فجاؤوا فأطلقوا دوابهم فى الشعير، فهلكت كلها.

حارب قوم ومعهم فيلة، فقهروا عدوهم، فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيراً وأن يضربوه، فلما سمعت الفيلة صوته هربت.

جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل، فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه، فأدبر الفيل هارباً، وتساقط من كان فوقه فكبر المسلمون وكان سبب الهزيمة.

قيل لأسلم بن زراعة إن انهزمت من أصحاب مرداس بن أدية يغضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد، قال: يغضب على وأنا حى أحب من أن يرضى عنى وأنا ميت.

خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء، فبينما هم على الغداء قال للأمير: اركب فقد لحقنا العدو، قال: كيف وما يرى أحد؟ قال: اركب عاجلاً، فإن الأمر أسرع مما تحسب، فركب وركب الناس، فلاحت الغبرة وطلع عليهم سرعان الخيل، فعجب الأمير، وقال: كيف

علمت؟ قال: أما رأيت الوحش مقبلة علينا، ومن شأن الوحش الهرب
منا، فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها. والله الموفق.

الباب السادس والعشرون
فى ذكر طرف من فطن المتطببين

قال محمد بن على الأمين: حدثنا بعض الأطباء الثقات أن غلاماً من بغداد قدم الرى، فلحقه فى طريقه أنه كان ينفث الدم، فاستدعى أبا بكر الرازى الطبيب المشهور بالحذق، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد، فنظر إلى نبضه وقارورته، واستوصف حاله، فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة، ولم يعرف العلة، فاستنظر العليل لينظر فى حاله، فاشتد الأمر على المريض، وقال هذا يأس لى من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة، فزاد ألمه، ففكر الرازى، ثم عاد إليه، فسأله عن المياه التى شرب، فقال من صهاريج ومسقفات، فثبت فى نفس الرازى بجدة خاطره وجودة ذكائه أن علقة كانت فى الماء، وقد حصلت فى معدته، وذلك الدم من فعلها. فقال: إذا كان فى غد عالجتك، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعونى فيك بما آمرهم، قال: نعم، فانصرف الرازى، فجمع مركنين كبيرين من طحلب، فأحضرهما فى غد معه، فأراه إياهما قال: ابلع جميع ما فى هذين المركنين، فبلع شيئاً يسيراً، ثم وقف، قال: ابلع. قال: لا استطيع، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك وطرحوه علىقفاه وفتحوا فاه، فأقبل الرازى يدس الطلحب فى حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلعه كارهاً أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ويقول: الساعة قذف، فزاد الرازى فيما يكبسه فى حلقه، فذرعه القئ، فتأمل الرازى ما قذف فإذا فيه علقة وإذا هى لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها، فالتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى.

حدثنا على بن الحسن الصيدلانى قال: كان عندنا غلام حدث من أولاد النبا. فلحقه وجع فى معدته شديد بلا سبب يعرفه، فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضرباً عظيماً حتى يكاد يتلف، وقل أكله، ونحل جسمه، فحمل إلى الأهواز، فعولج بكل شئ، فلم ينجع فيه، ورد إلى بيته وقد يئس منه، فجاز بعض الأطباء فعرف حاله، فقال للعليل: اشرح لى حالك من زمن الصحة، فشرح إلى أن قال دخلت بستاناً فكان فى بيت البقر رمان كثير للبيع، فأكلت منه كثيرا. قال: كيف كنت تأكله؟ قال: كنت أعض رأس الرمانة بفمى، وأرمى به وأكسرها قطعاً وآكل، فقال الطبيب: غداً أعالجك بإذن الله تعالى، فلما كان الغد جاء بقدر أسفيداج قد طبخها من لحم جرو سمين، فقال للعليل: كل هذا. قال العليل: ما هو؟ قال: إذا أكلت عرفتك، فأكل العليل، فقال له امتلئ منه فامتلأ، ثم قال له: أتدرى أى شئ أكلت؟ قال: لا، قال لحم كلب، فاندفع يقذف، فتأمل القذف إلى أن طرح العليل شيئاً أسود كالنواة يتحرك، فأخذه الطبيب وقال: ارفع رأسك، فقد برأت، فرفع رأسه فسقاه شيئاً يقطع الغيثان، وصب على وجهه ماء ورد، ثم أراه الذى وقع فإذا هو قراد، فقال: إن الموضع الذى كان فيه الرمان كان فيه قردان من البقر، وأنه حصلت منهم واحدة فى رأس إحدى الرمانات التى اقتلعت رؤوسها بفيك، فنزل القرد إلى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها، وعلمت أن القراد تهش إلى لحم الكلب، فإن لم يصح الظن لم يضرك ما أكلت، فصح، فلا تدخل فمك شيئاً لا تدرى ما فيه، والله الموفق.

حدثنا أبو ادريس الخولانى قال: سمعت محمد بن ادريس

الشافعي رضى الله عنه يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، وقيل له قال: لا تعدو العاقل إحدى خصلتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو الدنيا ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد. فإذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم، فانعقد الشحم، ثم قال: كان ملك فى الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال: احتالوا إلى بحيلة يخف عنى لحمى هذا قليلاً. قال: فما قدروا له على شئ. قال: فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فاره، فبعث إليه وأشخصه فقال له: عالجنى ولك الغنى. قال: أصلح الله الملك أنا متطبب منجم دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك، أى دواء يوافق طالعك فأسقيك، قال: فغدا عليه، فقال: أيها الملك، الأمان قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن الباقى من عمرك شهر، فإن أحببت عالجتك، وإن أردت بيان ذلك، فاحبسنى عندك، فإن كان لقولى حقيقة فخل عنى، وإلا فاستقص منى، قال: فحبسه قال: ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس، وخلا وحده مهتماً كلما انسلخ يوم ازداد غماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمان وعشرون يوماً، فبعث إليه وأخرجه، فقال: ما ترى. قال: أعز الله الملك أنا أهون على الله عز وجل من أن أعلم الغيب، والله ما أعرف عمرى، فكيف أعرف عمرك. انه لم يكن عندى دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة، فأذاب شحم الكلى، فأجازه وأحسن إليه.

حدثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحى الكاتب قال: رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعى، وقال: أنه

يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه القوم من رؤساء العسكر، ومن السلطان، ومما يأخذه من العامة قال: وكان له دار قد جعلها شبه المرستان من جملة داره يأوى اليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك، فإتنق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر اسكت. قال: فجعل إليه أهل الطب، وفيهم القطيعي، فأجمعوا على موته إلا القطيعي، وعمل أهله على غسله ودفنه، فقال القطيعي: أعالجه وليس يلحقة أكثر من الموت الذى قد أجمع هؤلاء عليه، فخلاه أهله معه، فقال: هات غلاماً جلداً ومقارع، فأتي بذلك، فأمر به، فمد وضربه عشر مقارع أشد الضرب ثم مس جسده، ثم ضربه عشراً أخر، ثم جس مجسه، ثم ضربه عشر أخر، ثم جس مجسه، قال: أيكون للميت نبض؟ قالوا: لا. قال: فجسوا نبض هذا فجسوه، فأجمعوا أنه نبض متحرك، فضربه عشرمقارع آخر، ثم جسوه فجسوه، فقالوا قد زاد نبضه، فضربه عشراً آخر، فتقلب فضربه عشراً فتأوه، فضربه عشراً فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوه، فقال له: ما تجد؟ قال: أنا جائع. فقال: أتطعموه، فجاؤا بما أكله، فرجعت قوته وقمنا، وقد برأ. فقال له الأطباء: من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يخفرونا، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات؟ قال: فعمد شيخ منهم فضربه ضرباً شديداً عظيماً، وما رفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقست عليه أمر هذا العليل.

قال أبو منصور بن مارية، وكان من رؤساء البصرة قال: أخبرني

شيوخنا قال: كان بعض أهلنا قد استسقى وأيسوا من حياته، فحمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه، فوصفوا له أدوية كبار، فعرفوا أنه قد تناولها، فلم تنفع فأيسوا من حياته، وقالوا: لا حيلة لنا فى برئه، فسمع العليل، فقال: دعونى الآن أتزود من الدنيا وآكل ما اشتهى ولا تقتلونى بالحمية، فقالوا: كل ما تريد، فكان يجلس بباب الدار، فمهما اجتاز به اشتراه وأكله، فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً، فاشترى منه عشرة أرطال، فأكلها بأسرها، فانحل طبعه، فقام فى ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس، وكاد يتلف، ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان فى جوفه وثابت قوته، فبرأ وخرج يتصرف فى حوائجه، فرآه بعض الأطباء، فعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرفه، فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل، ولا بد أن يكون فى الجراد الذى فعل هذا خاصية، فاحب أن تدلنى على صاحب هذا الجراد الذى باعه لك، فما زالا فى طلبه حتى علما به، فرآه الطبيب فقال له: ممن اشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما اشتريته أنا أصيده، وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه. قال: فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد، فقال له الطبيب: أعطيك ديناراً وتجئ معى إلى الموضع الذى اصطدت منه الجراد. قال: نعم، فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد شئ ومعه حشيشة، فقالوا له: ما هذا؟ قال: صادفت الجراد الذى يصيده هذا الرجل يرعى فى صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها مازريون وهى من دواء الاستسقاء، فإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله اسهالا عظيماً لا يؤمن أن ينضبط والعلاج بها خطر، ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء، فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ونضجت فى

معدته، ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبختين، فاعتدلت بمقدار ما أبرأت هذا.

قال أبو بكر الجفاني: دخلت يوماً على القاضي حسين بن أبي عمر وهو مهموم حزين، فقلت: لا يغم الله قاضي القضاة ابداً. ومن يزيد المائي حتى إذا مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله، فقال: ويحك مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له يقاربه في حذقه وهل فخر البلد إلا أن يكون رؤساء الصناع وحذاق أهل العلوم فيه، فإذا مضى رجل لا مثل له في صناعة لا بد للناس منها، فهلا يدل هذا الأمر على نقصان العلم وانحطاط البلدان، ثم أخذ يعدد فضائله، والأشياء الظريفة التي عالج بها، والعلل الصعبه التي زالت بتدبيره، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ومنها: أنه قال لقد أخبرني من مدة مديدة رجل من جلة هذا البلد أنه كان حدث بإبنة له علة ظريفة فكتمتها عنه، اطلع عليها فكتمها هو مدة، ثم انتهى أمرها إلى الموت، قال: فقلت لا يسعني كتم هذا أكثر من هذا. قال وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر ولا ورم كثير، فلما خفت المأتم ثم أحضرت يزيد فشاورته، فقال: أتأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه؟ فقلت: نعم، فقال: انه لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي، وأسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة. قال: فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنه من ذلك، فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس

العلة بعد أن حبس الموضع حتى عرف بقعة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستراه، فصبرت على مضض إلى أن قال.تأمر من يمسكها، ففعلت ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً، فصاحت الصبية وأغمى عليها وانبعث الدم، فأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به، فجلست الإبنة في الحال واستترت وقالت: يا أبت استرني فقد عوفيت، قال: فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته قلت: أخبرني ما هذا؟ قال: إن تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب شيئاً أستدل به على العلة إلى أن قالت لي إن يوماً من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان لكم، ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه من بعد ذلك اليوم، فتخايلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان، وكلما امتص من موضعه ولد الضربان، وأنه إذا شبع نقط من الفرج الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم، فقلت أدخل يدي وأفتش، فادخلت يدي، فوجدت القراد، فأخرجته وهو هذا الحيوان، وقد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمتص من الدم على طول الأيام قال: فتأملت الحيوان، فإذا هو قراد قال: برئت الصبية، فقال لي أبوالحسن القاضي: هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا؟ فكيف لا اغتم بمن هذا بعض حذقه.

قال جبريل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل يوماً أشياء خلط فيها، ودخل المستراح فغشى عليه، فأخرج وقوى الأمر حتى لم يشكوا في موته، فأحضرت وجسيت عرقه، فوجدت نبضاً خفياً، وقد كان

قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم، فقلت: الصواب أن يحتجم الساعة، فقال كوثر الخادم: لما لم تقدر من أمر الخليفة يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلاً ميتاً لا نقبل قولك ولا كرامة. فقال المأمون: الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه، فأحضر الحجام وتقدمت إلى الجماعة من الغلمان بإمساكه ومص الحجام المحاجم، فإحمر المكان ففرحت، ثم قلت أشرطه فشرطه، فخرج الدم فسجدت شكراً، فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال: أين أنا؟ أنا جائع فغديناه وعوفي، فسأل صاحب الحرس عن غلته، فعرفه أنها ألف درهم في كل سنة وسأل صاحبه، فعرفه أنها خمسمائة ألف، فقال: يا جبريل كم عليك؟ قلت: خمسون ألفاً. قال: ما أنصفناك إذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وغلتك كما ذكرت، فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم.

حدثنا أبو الحسن المهدى القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة، فمرت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال لهم: إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه، فصاحوا عليه، فقال لهم الناس: دعوه يعالجه، فإن عاش وإلا فلا ضرر عليكم، فقالوا: نخاف أن تصير فضيحة، فقال: على أن لا تصير فضيحة، قالوا: فإن صرنا؟ قال: حكم السلطان في أمري، وإن برأ فأي شيء لي؟ قالوا: ما شئت. قال: ديته. قالوا: لا نملك ذلك، فرضي منهم بمال أجابه الورثة اليه، وحملني فأدخلني الحمام وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ورفعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا؟ فقال: رأيت رجليك في

الكفن منتصبة وأرجل الموت منبسطة ولا يجوز إنتصابها، فعلمت أنك حى، وخمنت أنك أسكت وجربت عليك، فصحت تجربتى.

قال أبوالحمد الحارثي: كان طبيب نصرانى يقال له موسى بن سنان قد أتى برجل منتفخ الذكر لا يقدر أن يبول، وهو يستغيث ويصيح، فسألته عن علته، فذكر أنه لم يبل منذ أيام، ورأى ذكره منتفخاً، فنظر في حاله، فلم يجد شيئاً يوجب عسر البول ولا حصاة، فتركه عنده يوماً يسأله، فقال له: حدثنى أدخلت ذكرك فى شئ لم تجر عادة الناس به، فلحقك هذا، فسكت الرجل واستحى، فلم يزل الطبيب يبسطه ويشرط له الكتمان إلى أن قال نكحت حماراً ذكراً، فقال الطبيب: هاتوا مطرقة وغلماناً فجاؤوه، فأمسكوا الرجل، وجعل ذكره على سندان حداد وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة،فبرزت شعيرة، وذاك أنه خمن أن شعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت فى ثقب الذكر، فلما طرقها خرجت.

حدثنا أبو القاسم الجهنى:أن حظية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى، فلما تمطت جاءت لترد يدها فلم تقدر وبقيتا حافتين، فصاحت وآلمها ذلك، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء، فكل قال شيئاً واستعمله فلم ينجح، وبقيت الجارية على تلك الصورة أياماً والخليفة قلق بها، فجاءه أحد الأطباء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها إلا أن يدخل عليها رجل غريب، فيخلو بها ويمرخها مروخاً يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلباً لعافيتها، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دهناً وقال: أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين

بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع فى نفسه قتل الرجل، وقال للخادم: خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها، فعريت الجارية وأقيمت، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها، وأومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمى بدنها بإنتشار الحرارة الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال بدنها فى ذلك، فلما غطت فرجها قال لها الرجل: قد برأت، فلا تحركى يديك، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد، وأخبره الخبر، فقال له الرشيد: كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا، فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هى ملصقة، فانقلعت، فإذا الشخص جارية، وقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت أبدى حرمتك للرجال، ولكن خشيت أنى أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية، فتبطل الحيلة لأنى أردت أن أدخل إلى قلبها فزعاً شديداً يحمى طبعها، ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع لى غير ذلك؟ فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزته وأصرفه. قال أبوالقاسم: ولهذا استعملت الأطباء فى علاج اللقوة الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو ليدخل قلب المصفوع ما يحميه. فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع، فترجع لقوته.

روى الصلت بن محمد الجحدرى قال: حدثنا بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً، فمررنا بمياه من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاثة أخوات بالجمال وقيل لنا: انهن يتطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهن، فعمدنا إلى صاحب لنا، فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم

رفعناه على أيدينا وقلنا: هذا سليم فهل من راق؟ فخرجت أصغرهن، فإذا جارية كالشمس الساطعة، فجاءت حتى وقفت عليه، فقالت: ليس سليم. قلنا: وكيف؟ قالت: لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات، فلما طلعت الشمس مات. فعجبنا من ذلك.

شكا رجل من طبيب وجع بطنه فقال: ما الذى أكلت؟ قال أكلت رغيفاً محترقاً، فدعا الطبيب ليكحله بذور، فقال الرجل: إنما اشتكى وجع بطني لا عيني قال: قد عرفت، ولكن أكحلك لتبصر المحترق، فلا تأكله.

الباب السابع والعشرون
فى ذكر طرف من فطن المتطفلين

قال الأصمعى: الطفيلى، الداخل على القوم من غير أن يدعى مأخوذ من الطفل، وهو اقبال الليل على النهار بظلمته وارادوا أن أمره يظلم على القوم، فلا يدرون من دعاه، ولا كيف دخل عليهم. قال: وقولهم طفيلى منسوب إلى طفيل رجل بالكوفة من بنى غطفان، وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى إليها، وكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس. فيه نظر. لأن العرب تسمى الطفيلى الوارش والرائش، والذى يدخل على القوم فى شرابهم ولم يدع إليه الواغل.

قال أبوعبيدة: كان رجل من بنى هلال يقال له طفيل بن زلال إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم فأكل طعامهم، فسمى كل من فعل ذلك به.

روى ابن مسعود قال: كان فينا رجل يقال له أبوشعيب، وكان له غلام لحام، فقال لغلامه: اجعل لى طعاماً لعلى أدعو النبى ﷺ، فدعا النبى ﷺ خامس خمسة، فتبعه رجل، فقال النبى ﷺ للرجل: إنك دعوتنى خامس خمسة، وإن هذا اتبعنا، فإن أذنت وإلا رجع قال: بل أئذن له.

حدثنا أحمد بن الحسن المقرى قال: مر بنان بعرس فأراد الدخول، فلم يقدر فذهب إلى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً، وجاء إلى باب العرس، فقال: يابواب، إفتح لى، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أراك ليس تعرفنى أنا الذى بعثونى اشترى لهم

الأقداح، ففتح له الباب، فدخل فأكل وشرب مع القوم، فلما فرغ اخذ الأقداح، فقال: يابواب افتح لى يريدون ناصحيه حتى أرد هذه، فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه.

قال وجاء بنان إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فاكترى سلماً ووضعه على حائط للرجل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا أما تخاف الله رأيت أهلى وبناتى؟ فقال: ياشيخ ، لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق، وأنك لتعلم ما نريد، فضحك الرجل وقال له: انزل فكل.

قال محمد بن على الجلاب: جاء طفيلى إلى عرس، فمنع من الدخول، وكان يعلم أن أخا للعروس غائب، فذهب فاخذ ورقة كاغد، فطواها وختمها وليس فى بطنها شئ، وجعل فى ظاهرها: من الأخ إلى العروس، وجاء فقال: معى كتاب من أخى العروس، فأذن له، فدخل فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه إسم أحد فقال: وأعجب من هذا أنه ليس فى بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلاً، فضحكوا منه وعرفوا أنه إحتال لدخوله، فقبلوه.

قال منصور بن على الجهضمي: كان لى جار طفيلى، وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوساً، وكان من شأنه أنى إذا دعيت إلى دعوة تبعنى، فيكرمه الناس من أجلى، ويظنون أنه صاحب لى، فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت فى نفسى: كأنى برسوله

وقد جاء، وكأني بهذا الرجل قد تبعني، والله لئن تبعني لأفضحنه، فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت، فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب، فتقدمت وتبعني، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودعي بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي، فلما مد يده ليتناول الطعام قلت:

حدثنا درست بن زياد، عن ابان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيرا». فلما سمع ذلك قال: اثبت لك عثراً والله من هذا الكلام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه أو لا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف، عن ابان بن طارق وهو متروك الحديث يحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الإمام وأين أنت عن حديث. حدثنا أبو عاصم النبيل، عن ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر قال، قال رسول الله ﷺ : «طعام الواحد يكفي الإثنين، وطعام الإثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» وهو إسناد صحيح. قال منصور بن علي فأفحمني، فلم يحضرني له جواب، فلما خرجنا من الموضع للإنصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

عن عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: كان طفيلي العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علته التي مات فيها، فيقول له: إذا دخلت عرساً، فلا تلتفت تلفت المريب، وتخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وآنه، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومره وانه من غير أن تعنف به، وعليك بكلام بين النصيحة والادلال... ثم أنشد وقال:

لا تجزعن من الغريب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ بيديك مغرفة الحديد
متدلياً فوق الطعام تدلي الباز الصيود
لتلف ما فوق الموائد كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنما وجه الطفيلي من حديد
لا تلتفت نحو البقول ولا إلى غرف الثريد
حتى إذا جاء الطعام ضربت فيه كالشديد
وعليك بالفالوذجات فإنها عين القصيد
هذا إذا حررتهم ودعوتهم هل من مزيد
والعرس لا يخلو من اللوزينج الرطب الفنيد
فإذا أتيت به محوت محاسن الجام الجديد

قال: ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج ساعة، فلما أفاق رفع رأسه قال:

وتنقلـــن علـــى المـــوا	ئــد فعــل شــيطان مريــد
وإذا انتقلـــت عبثـــت	بــالكعك المجفـــف والقديــد
يــا رب أنـــت رزقتنـــي	هــذا علــى رغــم الحســود
واعـــلم أنـــك إن قبـــ	ــلت نعــمت يا عبـد الحميـد

قال على بن المحسن بن على القاضى، عن أبيه قال: صحب طفيلى رجلاً فى سفر، فقال له الرجل: امض فاشتر لنا لحماً، قال: لا والله ما أقدر، فمضى هو واشترى ثم قال له: قم فاطبخ. قال: لا أحسن، فطبخ الرجل، ثم قال له: قم فأثرد. قال: أنا والله كسلان، فثرد الرجل، ثم قال له: قم واغرف. قال: أخشى أن ينقلب على ثيابى، فغرف الرجل، ثم قال له: الآن فكل قال الطفيلى: قد والله استحييت من كثرة خلافى لك، وتقدم فأكل.

قال الجاحظ: قلت لأبى سعد الطفيلى: كم أربعة فى أربعة؟ قال: رغيفين وقطعة لحم.

وقال المبرد: قيل لطفيلى. كم اثنين فى اثنين؟ فقال: أربعة أرغفة، وقال مرة أخرى انتظرته مقدار ما يأكل الإنسان رغيفاً.

وقال أبو هفان قيل لطفيلى: كم أربعة فى أربعة؟ قال: ستة عشر رغيفاً.

وقال وتطفل رجل مرة على رجل، فقال له صاحب المنزل: من أنت؟ قال: أنا الذى لم أحوجك إلى رسول.

اجتمع جماعة على عصيدة، فأخذ بعضهم لقمة وألقاها فى

السمن، وقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيْهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[1] وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿إذَا أُلْقُوا فِيْهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ﴾[2] وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿وبئر مُعَطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَشيدٍ﴾[3] وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[4]. وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿أَنَّا نَسُوقُ الماءَ إِلَى الأرضِ الجُرُزِ﴾[5] وجر السمن إليه فقال الأخر: ﴿فِيْهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيان﴾[6] وجر السمن إليه فقال الآخر: ﴿فِيْهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[7] وجر السمن إليه فقال الآخر: ﴿فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[8] وجر السمن إليه فقال الآخر: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[9] وجر السمن إليه فقال الآخر: ﴿وَقِيْلَ يا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلِعِي﴾[10] وخلط السمن بما بقى من العصيدة فأخذه كله.

جاء طفيلى إلى بيت رجل مع جماعة فقال له الرجل: من أنت؟ فقال: إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتى صار فى هذا نوع جفاء.

عرس طفيلى، فأتاه طفيليان فى أول الناس، فأدخلهما وجاء إلى

(١) سورة الشعراء الآية رقم: ٩٤
(٢) سورة الملك الآية رقم: ٧
(٣) سورة الحج الآية رقم: ٤٥
(٤) سورة الكهف الآية رقم: ٧١
(٥) سورة السجدة الآية رقم: ٢٧
(٦) سورة الرحمن الآية رقم: ٥٠
(٧) سورة الرحمن الآية رقم:٦٦
(٨) سورة القمر الآية رقم: ١٢
(٩) سورة فاطر الآية رقم: ٩
(١٠) سورة هود الآية رقم ٤٤

غرفة له يرتقى إليها بسلم، فوضع السلم وقال: اصعدا لتبعدا من الأذى، واخصكما بفائق الطعام، فصعدا، فلما حصلاً فى الغرفة نحّى السلم ووضع المائدة، وأطعم أصدقاءه وجيرانه، وهما مطلعان عليه، فلما فرغ القوم وضع السلم، وقال: انزلا فدفع فى اقفائهما، وقال: انصرفا راشدين لا أصفر الله ممشاكما قد قضيتما حق أخيكما.

دخل طفيلى على قوم، فبينما هو يأكل سمع صوت السدنة فأمسك يده عن الطعام، فقيل له: لم لا تأكل؟ قال: حتى تسكن هذه الأراجيف التى أسمعها.

وقيل لطفيلى مرة : ما بالك أصفر اللون؟ فقال: من الفترة التى بين العصارتين أخاف أن يكون الطعام قد فنى.

وقال طفيلى : إياك والكلام على الطعام إى أن تقول نعم، فإنها مضغة. أوصى طفيلى غلامه، فقال: إذا ضاق بك الموضع، فقل للذى إلى جانبك لعلى ضيقت عليك، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر.

وقال بنان حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾[1].

وقال بنان: التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة ألوان.

وعطش رجل إلى جنب بنان فى دعوة، فقال بنان: ارفع نفسك إلى فوق وتنفس ثلاثاً، فإنه ينزل ما أكلته من الطعام.

---

(١) سورة الكهف الآية رقم: ٦٢

الباب الثامن والعشرون
فى ذكر طرق من فطن المتلصصين

أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا عبد الله الحميدى، أخبرنا أبوغالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران، أخبرنا أبوالحسين بن دينار، أنبأنا أبوطالب عبيد الله بن أحمد الأنبارى، حدثنا يموت بن المزرع، عن المبرد قال: حدثنى أحمد بن المعدل البصرى قال: كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: أعجوبة. قال: ماهى؟ قال خرجت إلى حائطى بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت بيوت المدينة تعرض لى رجل، فقال: اخلع ثيابك. فقلت وما يدعونى إلى خلع ثيابى؟ قال: أنا أولى بها منك. قلت: ومن أين؟ قال: لأنى أخوك وأنا عريان وأنت مكس. قلت: فالمواساة؟ قال: كلا قد لبستها برهة، وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها. قلت: فتعرينى وتبدى عورتى. قال: لابأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً. قلت: فيلقانى الناس فيرون عورتى؟ قال: لو كان الناس يرونك فى هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفاً، فدعنى حتى امضى إلى حائطى وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك. قال: كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك، فيحملونى إلى السلطان، فيحبسنى، ويمزق جلدى، ويطرح فى رجلى القيد، قلت: كلا. أحلف لك إيماناً أنى أوفى لك بما وعدتك ولا أسوءك. قال: كلا إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الإيمان التى يحلف بها اللصوص. قلت: فأحلف إنى لا أحتال فى إيمانى هذه. قال: هذه يمين مركبة على اللصوص. قلت: فدع المناظرة بيننا، فوالله لأوجهن إليك

هذه الثياب طيبة بها نفسى، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: تدرى فيم فكرت؟ قلت: لا، قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا، فلم أجد لصاً أخذ تسئمة، وأكره أن أبتدع فى الإسلام بدعة يكون على وزرها ووزر من عمل بها بعدى إلى يوم القيامة. اخلع ثيابك. قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

أنبانا محمد بن أبى طاهر قال: أنبأنا على بن الحسن التنوخى، عن أبيه أن أبا القاسم عبيد الله بن محمد الخفاف حدثه أنه شاهد لصاً قد أخذ، وأشهد عليه أنه كان يفتش الأقفال فى الدور اللطاف التى لجيراننا، فإذا دخل حفر فى الدار حفرة لطيفة، كأنها بئر النرد، وطرح فيها جوزات، كأن إنساناً يلاعبه، وأخرج منديلاً فيه نحو مائتى جوزة، فتركه إلى جانبها، ثم حار، فكور كل ما فى الدار مما يطيق حمله، فإن لم يفطن به أحد خرج من الدار، وحمل ذلك كله، وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه، وطلب المفالتة والخروج، وإن كان صاحب الدار جلداً فواثبه ومانعه وهم بأخذه وصاح اللصوص،واجتمع الجيران أقبل عليه وقال: ما أبردك أنا أقامرك بالجوز منك شهور قد افقرتنى، وأخذت منى كل ما أملكه وأهلكتنى لأفضحك بين جيرانك لما قامرتك الآن تصيح فما يشك أحد فى قوله وأنت تدعى على باللصوصية بلعب بارد بينى وبينك دار القمار التى تعارفنا فيها قد صنعت هذا حتى أخرج وأدع عليك قماشك، وكلما قال الرجل: هذا لص. قال الجيران: إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار، فقد ادعى عليه اللصوصية ولا يشكون فى أنه صادق، وأن صاحب الدار مقامر، فيلعنوه ويحولون بينه وبين اللص حتى ينصرف ويأخذ الجوز ويفتح

الباب وينصرف، ويفتضح الرجل بين جيرانه.

أنبأنا محمد، أنبأنا على بن المحسن، حدثنى محمد بن عمر المتكلم ويلقب جنيد قال: حدثنى رجل من الدقاقين قال: أورد على رجل غريب سفتجة بأجل، فكان يتردد علىّ إلى أن حلت السفتجة، ثم قال لى : أدعها عندك آخذها متفرقة، فكان يجىء كل يوم، فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت، فصارت بيننا معرفة، وألف الجلوس عندى، وكان يرانى أخرج من صندوق لى، فأعطيته منه فقال لى يوماً: إن قفل الرجل صاحبه فى سفره وأمينه فى حضره وخليفته على حفظ ماله، والذى ينفى الظنة عن أهله وعياله، وأن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل إليه وأرى قفلك هدا وثيقاً، فقل لى: من ابتعته لابتاع مثله لنفسى، فقلت: من فلان الأقفالى. قال: فما شعرت يوماً وقد جئت إلى دكانى، فطلبت صندوقى لأخرج منه شيئاً من الدراهم، فحمل إلى ففتحته، وإذا ليس فيه شئ من الدراهم، وقلت لغلامى، وكان غير متهم عندى: هل انكسر من الدراب شئ؟ قال: لا. قلت: ففتش هل ترى فى الدكان نقباً؟ ففتش، فقال: لا، فقلت: فمن السقف حيلة؟ قال: لا، قلت: فاعلم أن دراهمى قد ذهبت، فقلق الغلام فسكته وأقمت من نومى لا أدرى أى شئ أعمل، وتأخر الرجل عنى، فاتهمته وتذكرت مسألته لى عن القفل، فقلت للغلام: أخبرنى كيف تفتح دكانى وتقفله. قال: أحمل الدراب من المسجد دفعتين ثلاثة، فأقفلها ثم هكذا أفتحها. قلت: فعلى من تخلى الدكان إذا حملت الدراب؟ قال: خالياً. قلت: من ههنا دهيت فذهبت إلى الصانع الذى ابتعت منه القفل، فقلت له: جاءك إنسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل؟ قال: نعم ورجل من صفته

كيت وكيت، فأعطانى صفة صاحبى، فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وبقى الغلام يحمل الدراب، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذى اشتراه يقع على قفلى، وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدراب، فلما جاء الغلام ففتح داربين وحملها ليرفعها خرج، وأنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج من بغداد، قال: فخرجت ومعى قفلى ومفتاحه، فقلت ابتدئ بطلب الرجل بواسط، فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً أنزله، فصعدت فإذا بقفل مثل قفلى سواء على بيت، فقلت لقيم الخان: هذا البيت من ينزله؟ قلا: رجل قدم من البصرة أمس. قلت: ما صفته فوصف صفة صاحبى، فلم أشك أنه هو وإن الدراهم فى بيته، فاكتريت بيتاً إلى جانبه ورصدت حتى انصرف قيم الخان، ففتحت القفل، ودخلت، فوجدت كيسى بعيد، فأخذته وخرجت، وأقفلت الباب ونزلت فى الوقت، وانحدرت إلى البصرة، وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار، ورجعت إلى منزلى بمالى بعينه.

أنبأنا محمد بن عبد الباقى قال: أخبرنا على بن الحسن، عن أبيه قال: حدثنى عبد الله بن محمد الصروى، حدثنى ابن الدنانير النمار، حدثنى غلام لى قال: كنت ناقداً بالابلة لرجل تاجر، فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار وورقاً ولففتهما فى فوطة، وأمسيت عن المسير إلى الأ[illegible]ة، فما زلت أطلب ملا[illegible]، فلا أجد أن رأيت ملاحاً مجتازاً فى خ[illegible]طية خفيفة فارغة، فسألته أن يحملنى، فخفف على الأجرة وقال، أنا أرجع إلى منزلى بالابلة، فانزل فنزلت، وجعلت الفوطة بين يدى وسرنا، فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما

رآه الملاح كبر فصاح هو بالملاح، إحملني، فقد جنني الليل، وأخاف على نفسي، فشتمه الملاح، فقلت له: احمله فدخل إلى الشط فحمله، فرجع إلى قراءته، فخلب عقلي بطيبها، فلما قربنا من الابلة قطع القراءة، وقام ليخرج في بعض المشارع بالأبلة، فلم أر الفوطة، فاضطربت وصحت واستغاث الملاح، وقال: الساعة تنقلب الخيابة، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي، فقلت: ياهذا، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار، فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكي وتعرى من ثيابه وقال: لم أدخل الشط ولا لي موضع أخبأ فيه شيئاً فتتهمني بسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف، فالله الله في أمري، وفعل الضرير مثل ذلك وفتشت السميرية فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتهما وقلت: هذه محنة لا أدري كيف التخلص منها، وخرجنا، فعملت على الهرب وأخذ كل واحد منا طريقاً، وبت في بيت ولم أمض إلى صاحبي، فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً، ثم أخرج إلى بلد شاسع، فانحدرت وخرجت في مشرعة بالبصرة، وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي، وذهاب معيشتي وجاهي، فاعترضني رجل، فقال: مالك؟ فأخبرته. فقال، أنا أرد عليك مالك. فقلت: ياهذا أنا في شغل عن طنزك بي. قال: ما أقول إلا حقاً امض إلى السجن ببني نمر، وأشتر معك خبزاً كثيراً وشواء جيداً وحلواً، وسل السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له أبوبكر النقاش، قل له أنا زائره، فإنك لا تمنع، فإن منعت فهب للسجان شيئاً يسيراً يدخلك إليه، فإذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل وغسل يديه، فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره

خبرك، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك، ففعلت ذلك ووصلت إلى الرجل، فإذا شيخ مكبل بالحديد، فسلمت وطرحت ما معى بين يديه، فدعا رفقاء له، فأكلوا فلما غسل يديه قال: ما أنت وما حاجتك؟ فشرحت له قصتى، فقال امض الساعة إلى بنى هلال، فادخل الدرب الفلانى حتى تنتهى إلى آخره، فإنك تشاهد باباً شعثاً، فافتحه وادخله بلا استئذان، فتجد دهليزاً طويلاً يؤدى إلى بابين، فادخل الأيمن منهما فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبوارى، وكل وتد ازار ومئزر، فانزع ثيابك وألقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالازار واجلس، فسيجئ قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام فكل معهم، وتعمد موافقتهم فى سائر أفعالهم، فإذا أتى بالنبيذ فاشرب، وخذ قدحاً كبيراً وإملأه وقم قائماً وقل: هذا سارى لخالى أبى بكر النقاش، فسيفرحون ويقولون: أهو خالك؟ فقل: نعم، فسيقومون ويشربون لى، فإذا جلسوا فقل لهم: خالى يقرأ عليكم السلام ويقول: يا فتيان بحياتى ردوا على ابن اختى المئزر الذى أخذتموه بالأمس فى السفينة بنهر الأبلة، فإنهم يردونه عليك، فخرجت من عنده ففعلت ما أمر، فردت الفوطة بعينها وما حل شدها، فلما حصلت لى قلت يافتيان: هذا الذى فعلتموه معى هو قضاء لحق خالى، ولى أنا حاجة تخصنى قالوا: مقضية. قلت: عرفونى كيف أخذتم الفوطة، فامتنعوا ساعة، فأقسمت عليهم بحياة أبى بكر النقاش، فقال لى واحد منهم: أتعرفنى؟ فتأملته جداً فإذا هو الضرير الذى كان يقرأ، وإنما كان متعامياً، وأومأ إلى آخر فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته فإذا هو الملاح، فقلت: كيف فعلتما؟ فقال الملاح أنا أدور المشارع فى أول أوقات

المساء، وقد سبقت بهذا المتعامي، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شئ له قدر ناديته، وأرخصت له الأجرة وحملته، فإذا بلغت إلى القارى وصاح بى شتمته حتى لا يشك الراكب فى براءة الساحة، فإن حمله الراكب فذاك وإلا رققته عليه حتى يحمله، فإذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت، فإذا بلغنا الموضع الفلانى، فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة، وعلى رأسه قوصرة فلا يفطن الراكب به، فيسلب هذا المتعامى الشئ بخفية، فيليه إلى الرجل الذى عليه القوصرة، فيأخذه ويسبح إلى الشط، وإذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت، فلا يتهمنا ونفترق، فإذا كان من غد اجتمعنا واقتسمناه، فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك الفوطة قال: فأخذتها ورجعت.

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، أنبأنا الجوهرى، وأخبرنا ابن ناصر، أخبرنا عبد المحسن بن محمد، أخبرنا أبو القاسم التنوخى، أخبرنا ابن حيوية، حدثنا محمد بن خلف، حدثنى لص تائب قال: دخلت مدينة، فجعلت أطلب شيئاً أسرقه، فوقعت عينى على صيرفى موسر، فما زلت أحتال حتى سرقت كيساً له، وانسللت فما جزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت فى صدرى تبرسنى وتلزمنى وتقول: يا بنى، فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بى، ووقف الناس ينظرون إلينا، وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه، فعجب الناس من ذلك وشككت أنا فى نفسى وقلت: لعلها أرضعتنى، وأنا لا أعرفها. وقالت: معى إلى البيت أقم عندى اليوم، فلم تفارقنى حتى مضيت معها إلى بيتها، وإذا عندها

أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا بى وقربونى، وأجلسونى معهم، ورأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عينى عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسى إلى أن ناموا ونام كل من فى الدار، فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج، فوثب على الكلب وثبة الأسد وصاح، وجعل يتراجع ويفج إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت واستحييت، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة فى أمر الكلب إلى الليل، فما أمكننى فيه حيلة، فلما ناموا رمت الذى رمته، فإذا الكلب عارضنى بمثل ما عارضنى به، فجعلت احتال ثلاث ليال، فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت أتأذنون لى فإنى على وفز فقالوا: الأمر إلى العجوز فإستأذنها فقالت: هات الذى أخذته من الصيرفى وامض حيث شئت ولا تقوم فى هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معى عمل،فأخذت الكيس وأخرجتنى ووجدت مناى أن أسلم من يدها، وكان قصراى أن أطلب منها نفقة، فدفعت إلى وخرجت معى حتى أخرجتنى عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعنى حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إلى ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عنى.

أنبأنا محمد بن أبى منصور، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاوى، أنبأنا القاضى أبو العلاء الواسطى. أنبأنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدى، حدثنا على بن محمد القارى، حدثنا سهل الخلاطى قال: بلغنى أن محتالين سرقا حماراً ومضى أحدهما ليبيعه، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك، فقال له: تبيع هذا الحمار؟ قال: نعم. قال: امسك

هذا الطبق حتى أركبه، وانظر إليه، فدفع إليه الطبق فيه السمك، فركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقاً ففر به. فلم يدر أين ذهب، قال: فرجع المحتال فلقيه رفيقه، فقال ما فعل الحمار؟ قال بعناه بما اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك.

وقد روينا أن رجلاً سرق حماراً، فأتى السوق ليبيعه فسرق منه، فعاد إلى منزله، فقالت له امرأته: بكم بعته؟ قال: برأس ماله.

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، أنبأنا على بن المحسن، عن أبيه، حدثنى عبد الله بن محمد الصروى، حدثنا بعض اخواننا: أنه كان ببغداد رجل يطلب التلصص فى حداثته، ثم تاب فصار بزازاً. قال، فانصرف ليلة من دكانه وقد غلقه، فجاء لص محتال متزى بزى صاحب الدكان فى كمه شمعة صغيرة ومفاتيح، فصاح بالحارس، فأعطاه الشمعة فى الظلمة، وقال: أشعلها وجئنى بها، فإن لى الليلة بدكانى شغلاً، فمضى الحارس يشعل الشمعة وركب اللص على الأقفال، ففتحها ودخل الدكان، وجاء الحارس بالشمعة، فأخذها من يده، فجعلها بين يديه، وفتح سفط الحساب، وأخرج ما فيه وجعل ينظر الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب والحارس يتردد ويطالعه، ولايشك فى أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر، فاستدعى اللص الحارس، وكلمه من بعيد، وقال: اطلب لى حمالاً، فجاء بحمال، فحمل عليه أربع رزم مثمنة، وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين، فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فقام إليه الحارس يدعو له ويقول: فعل الله بك وصنع كما اعطيتنى البارحة الدرهمين، فأنكر

الرجل ما سمعه وفتح دكانه، فوجد سيلان الشمعة وحساب مطروحاً وفقد الأربع رزم، فاستدعى الحارس، وقال له: من كان حمل الرزم معى من دكانى قال: أما استدعيت منى حمالاً فجئتك به؟ بلى، ولكن كنت ناعساً وأريد الحمال، فجئنى به، فمضى الحارس فجاء بالحمال وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومضى، فقال له: إلى أين حملت الرزم معى البارحة، فإنى كنت منقبذاً. قال: إلى المشرعة الفلانية، واستدعيت لك فلاناً الملاح، فركبت معه، فقصد الرجل المشرعة، وسأل عن الملاح، فحضر وركب معه، وقال: أين رقيت أخى الذى كان معه الأربع الرزم، قال إلى المشرعة الفلانية. قال: اطرحنى إليها فطرحه، قال من حملها معه؟ قال: فلان الحمال، فدعا به، فقال له: امش بين يدى فمشى، فأعطاه شيئاً واستدله برفق إلى الموضع الذى حمل إليه الرزم، فجاء به إلى باب غرفة فى موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء، فوجد الباب مقفلاً، فاستوقف الحمال وفش القفل ودخل، فوجد الرزم بحالها، وإذا فى البيت بركان معلق على حبل، فلف الرزم فيه ودعا بالحمال، فحملها عليه وقصد المشرعة، فحين خرج من الغرفة استقبله اللص، فرآه وما معه، فأبلس فاتبعه إلى الشط، فجاء إلى المشرعة ودعا الملاح ليعبر، فطلب الحمال من يحط عنه، فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز منطوع، فأدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها، وجعل البركان على كتفه وقال له: ياأخى، استودعك الله قد ارتجعت رزمك، ونزع كسائى فضحك، وقال: انزل فلا خوف عليك، فنزل معه واستتابه ووهب له شيئاً وصرفه ولم يسئ إليه.

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، عن أبى القاسم التنوخى، عن أبيه: أن

رجلاً من بنى عقيل مضى ليسرق دابة، قال، فدخلت الحى، فما زلت أتعرف مكان الدابة فاحتلت حتى دخلت البيت، فجلس الرجل وامرأته يأكلان فى الظلمة، فأهويت بيدى إلى القصعة وكنت جائعاً، فأنكر الرجل يدى وقبض عليها، فقبضت على يد المرأة بيدى الأخرى، فقالت المرأة: مالك ويدى؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدى، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدى فقبضت عليها، فقضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدى، فخلت عن يدى، فخليت عن يده، ثم نام وقمت، فأخذت الفرس.

وقد رويت هذه الحكاية على صفة أخرى: فأنبأنا محمد بن أبى طاهر، أنبأنا التنوخى، عن أبيه، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب، حدثنى محمد بن يزمع العقيلى أحد قوادهم ووجوههم فى الحى، وكان ورد إلى معز الدولة، فأكرمه وأحسن إليه. قال: رأيت رجلاً من بنى عقيل وظهره كله مشرطات الحجام، إلا أنها أكبر، فسألته عن ذلك، فقال إنى كنت هويت ابنة عم لى، فخطبتها، فقالوا لا نزوجك إلا أن تجعل فى الصداق «الشبكة» فرس سابقة كانت لبعض بنى أبى بكر، فتزوجتها على ذلك وخرجت فى أن احتال أن اسل الفرس من صاحبه لأتمكن من الدخول بإبنة عمى، فأتيت الحى الذى فيه الفرس وما زلت أداخلهم، فمرة أجىء إلى الخباء الذى فيه الرجل وأخبث حتى دخلت من خلفه، وحصلت خلف النضد تحت، وكانوا تفشوه ليعزل، فلما جاء الليل وافى صاحب البيت، وقد زاولت له المرأة وجلسا يأكلان، وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم، وكنت جائعاً فأخرجت يدى وأهويت إلى القصعة، فأكلت معهما

وأحس الرجل بيدى فأنكرها، فقبض عليها فقبضت على يد المرأة، فقالت له المرأة: ما لك ويدى؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدى فخليت يد المرأة، وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدى فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل، فقال لها ما لك ويدى؟ فخلت عن يدى فخليت عن يده، وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً، فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيدة فى جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة، فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة، فانتبهت المرأة، فقامت إليه وتركت المفتاح مكانه، وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت، فإذا هو قد علاها، فأخذت أنا المفتاح ففتحت القفل، وان معى لجام شعر، فأجزته الفرس وركبتها، وخرجت عليها من الخباء، فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء وصاحت وذعر، الحى فأحسوا بى وركبوا فى طلبى وأنا أكد الفرس وخلفى خلق منهم، فأصبحت وليس ورائى إلا فارس واحد برمح، فلحقنى وقد طلعت الشمس، وأخذ يطعننى، فهذه آثار طعناته فى جسدى لا فرسه يلحقه بى حتى يتمكن من طعنته إياى ولا فرسى ينجينى إلى حيث لا يمسنى الرمح حتى وافينا إلى نهر عظيم، فصحت بالفرس، فوثبه وصاح الفارس بالتى تحته، فقصرت ولم تثب، فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأريح الفرس واستريح، فصاح بى، فأقبلت عليه بوجهى، فقال: يا هذا أنا صاحب الفرس التى تحتك، وهذه ابنتها وإذ قد ملكتها فلا تخدعن فيها، فإنها تسارى عشر ديات، وما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبنى عليها أحداً إلا فته، وإنما سميت الشبكة لأنها لم ترد شيئاً إلا أدركته، فكانت كالشبكة فى سيدها، فقلت له: إذ نصحتنى، فوالله لأنصحنك. كان

من صورتی البارحة کيت وکيت، فقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتی فی الفرس، فأطرق ثم رفع رأسه، فقال: ما لك لا جزاك الله من طارق خير طلقت زوجتی وأخذت فرسی وقتلت عبدی.

أنبأنا محمد بن أبی طاهر، أنبأنا أبو القاسم التنوخی، عن أبيه: أن رجلاً نام فی مسجد وتحت رأسه کيس فيه ألف وخمسمائة دينار قال: فما شعرت إلا بإنسان قد جذبه من تحت رأسی، فانتبهت فزعاً، فإذا شاب قد أخذ الکيس ومر يعدو، فقمت لأعدو خلفه، فإذا رجلی مسدودة بخيط قنب فی وتد مضروب فی آخر المسجد.

أنبأنا محمد بن أبی طاهر، أنبأنا أبوالقاسم التنوخی، عن أبيه قال: حدثنی أبو الحسين عبد الله بن محمد البصری، حدثنی أبی قال: کان بالبصرة رجل من اللصوص يلص بالليل، فأره جداً مقدام. يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الأمراء وأشجی أهل البلد، فلم يزالوا يحتالون عليه إلى أن وقع وکبل بمائة رطل حديد وحبس، فلما کان بعد سنة من حبسه أو أکثر دخل قوم بالأبلة علی رجل تاجر کان عنده جوهر بعشرات ألوف الدنانير، وکان مستيقظاً جلداً، فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير: أنت دست علی جوهری وما خصمی سواك، فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم، فاستنظروه فأنظرهم، وطلبوا واجتهدوا، فما عرفوا فاعل ذلك، فعنفهم الرجل فاستجابوا مدة أخری، فجاء أحد البوابين إلى الحبس، فتخادم لإبن الخياطة ولزمه نحو شهر، وتذلل له فی الحبس فقال له: قد وجب حقك علیّ. فما حاجتك؟ قال: جوهر فلان

المأخوذ بالأبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر، فإن دماءنا مرتهنة به، وحدثه الحديث، فرفع ذيله، وإذا سفط الجوهر تحته، فسلمه إليه وقال: قد وهبته لك، فاستعظم ذلك وجاء بالسفط إلى الأمير، فسأله عن القصة، فأخبره بها. فقال: عليّ بعباس. فجاؤوا به، فأمر بالإفراج عنه وازالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرماً واستدعى الطعام، فواكله وبيّته عنده، فلما كان من الغد خلا به، وقال: أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر، وقد عاملتك بالجميل ليجب عليك من طريق الفتوة، وأريد أن تصدقنى حديث هذا الجوهر. قال على: انني ومن عاونني عليه آمنون، وإنك لا تطالبنا بالذين أخذوه؟ قال: نعم، فاستحلفه. فقال له: إن جماعة اللصوص جاؤونى الحبس، وذكروا حال هذا الجوهر، وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق، وعليها باب حديد، والرجل متيقظ وقد راعوه سنة، فما أمكنهم وسألوني، فساعدتهم، فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت له بالشطارة والإيمان الغليظة، أنه إن أطلقني عدت إليه من غد، وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته، فقتلته في الحبس، فأطلقني فنزعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب، فوصلنا إلى الابلة العتمة، وخرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد وبابه مغلق، فقلت لأحدهم تصدق من باب، فتصدق، فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له: اختفى ففعل ذلك مرات، والجارية تخرج، فإذا لم تر أحداً عادت إلى أن خرجت من الباب، ومشت خطوات تطلب السائل، فتشاغلت بدفع الصدقة إليه، فدخلت أنا إلى الدار، فإذا في الدهليز بيت فيه حمار، فدخلته. ووقفت تحت

الحمار وطرحت الجل عليّ وعليه، وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته، فلما انتصف الليل قمت إلى شاة فى الدار، فعركت أذنها فصاحت، فقال: ويلك أقول لك أتفقديها. قالت: قد فعلت. قال: كذبت، وقام بنفسه ليطرح لها علفاً، فجلست مكانه على السرير، وفتحت الخزانة، وأخذت السفط وعدت إلى موضعى وعاد الرجل، فنام. فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب إلى دار بعض الجيران، فأخرج فما قدرت، لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح، فما قدرت، لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال، فعملت على ذبح الرجل، ثم استقبحت ذلك، وقلت هذا بين يدى إن لم أجد حيلة غيره، فلما كان السحر عدت إلى موضعى تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج، فقال للجارية: افتحى الأقفال من الباب ودعيه مترباً، ففعلت وقربت من الحمار فرفس، فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة، فنزلت فى الخيطية ووقعت الصيحة فى دار الرجل، فطالبنى أصحابى أن أعطيهم شيئاً منه، فقلت: لا. هذه قصة عظيمة، وأخاف أن يتنبه عليها، ولكن دعوه عندى فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وافتكم، فصيروا إلىّ أعطيكم النصف، وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسى، وجعلته حقناً لدمائكم، فرضوا بذلك، فأرسل الله هذا البواب بليلة يخدمنى، فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه، وقد كنت وضعت فى نفسى الصبر على كل عذاب، فدخلتم علىّ من طريق أخرى لم أستحسن فى الفتوة معها إلا الصدق، فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل أن أطلقك، ولكن تتوب فتاب، وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى

له الرزق، فاستقامت طريقته.

قال أبو الحسين: وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال: كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي وأحراسي يحرسوني وأبوابي مقفلة، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي، فأنتبهت فزعاً. فقلت: من أنت؟ فقال: ابن الخياطة، فتلفت. فقال: لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك، فأخرجت خمسمائة دينار، فدفعتها إليه، فقال: نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت، وإلا قتلتك. قال: وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل، ولا من أين خرج، وكتمت الحديث خوفاً منه، وزدت في الحرس ومضت ليال، فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة، فقلت: مرحباً ما تريد؟ قال: جئت بتلك الدنانير تأخذها مني، فقلت: أنت في حل منها، فإن أردت شيئاً أخر فخذ، فقال: لا أريد من نصح التجار أشاركهم في أموالهم، ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت، ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك، فإن ذلك يخرج عن الفتوة، ولكن خذها، فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك، فقلت: أن عودك لا يفزعني، ولكن إذا أردت شيئاً فتعال إليّ نهاراً أو رسولك، فقال: افعل، فأخذت الدنانير منه وانصرف، وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك، فيأخذ ما يريده بعد مدة، فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه.

حكى أبو محمد عبد الله بن علي بن الخشاب النحوي: أن رجلاً اشترى من مخاطي قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه، فلما

وصل أخرجها، فإذا هي قطعة آجر، فصعب الأمر عليه، وقال: هذا يبيع الناس آجراً وصابوناً، فمضى إليه ليردها، فلما وصل قال: ويحك أتبيع الناس آجراً وصابوناً. قال: كيف أبيع أجراً؟ فأخرجها من كمه، فإذا هي قطعة صابون، فاستحى ورجع إلى النهر، فأخرجها فإذا هي آجر، فعاد إليه ووبخه، وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر، فقال له المخاطي: لا يضيق صدرك، فإن لنا ولداً قد أخرجناه نعلمه أن يطأ ويحتال وأنك كلما مضيت فعل هذا، فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم.

دخل دار قوم، فلم يجد ما يسرق غير دواة مكسورة، فكتب على الحائط: عز عليّ فقركم وغناى.

دخل لص بيت رجل، فأخذ متاعه وخرج، فصاح الرجل: ما أنحس هذه الليلة؟ فقال اللص: على كل أحد.

حدثني بعض الأخوان أن رجلاً جاء إلى بزاز، فاستعرض منه ثياباً بثلاثمائة دينار، ثم وزنها له، فلما تسلمها قال الرجل: لقد غبنتني، فعاد وجمع الدنانير وتركها في خرقة وختمها ورمى بها في كم غلامه، ثم قال: ما أنا إلا متردد أفتأذن لي أن أرى الثياب من اشتريتها له، فإن رضي وإلا رددتها؟ قال: نعم، فأدخل يده في كم غلامه، فأخرج الخرقة، فرمى بها إلى البزاز، وأخذ الثياب ومضى، ففتح البزاز الخرقة، فإذا بها فلوس، وقد جعل في كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلاثمائة.

حدثني أبو الفتح البصري قال: اجتمع جماعة من اللصوص اجتاز

عليهم شيخ صيرفى معه كيس. فقال أحدهم: ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا؟ قالوا: كيف تفعل؟ قال: أنظروا ثم تبعه إلى منزله، فدخل الشيخ، فرمى كيسه على الصفة وقال للجارية: أنا حاقن، فألحقينى بماء فى الغرفة، وصعد فدخل اللص فأخذ الكيس،وجاء إلى أصحابه، فحدثهم، فقالوا: ما عملت شيئاً. تركته يضرب الجارية ويعذبها وما ذا مليح؟ قال: فكيف تريدون؟ قالوا: تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس. قال: نعم، فمضى فطرق الباب، فإذا به يضرب الجارية، فقال: من؟ قال: غلام جارك فى الدكان، فخرج، فقال: ماذا تقول؟ فقال: سيدى يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت. ترمى كيسك فى الدكان وتمضى، ولولا أننا رأيناه كان قد أُخذ، وأخرج الكيس، وقال: أليس هذا هو؟ قال: بلى والله صدق، ثم أخذه، فقال له: بل أعطنيه وادخل فاكتب فى رقعة قد تسلمت الكيس، حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك، فناوله إياه ودخل ليكتب فأخذه ومضى.

قال أبو جعفر محمد بن الفضل الضميرى: كان فى بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة، وكان لها ابن صيرفى منهمك على الشرب واللعب، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره، ثم يعود إلى منزله، فيخبأ كيسه عند والدته، فدخل إلى الدار لص وهو لا يعلم، فاختبأ فيها، وسلم الإبن كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هى وحدها فى الدار، وكان لها فى دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فافطرت بين يديه، فقال اللص: الساعة تقفله وتنام، وأنزل واقلع الباب وأخذ الكيس، فلما أفطرت قامت تصلى ومدت الصلاة [illegible]

الليل وتحير اللص، وخاف أن يدركه الصبح، فطاف فى الدار فوجد إزاراً جديداً وبخور فاتزر بالإزار، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز، وكانت جلدة، ففطنت أنه لص، فقالت: من هذا بارتعاد وفزع؟ فقال: أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلنى إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه واعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصى، فأظهرت أنها قد غشى عليها من الفزع، وأقبلت تقول: يا جبريل سألتك ألا رفقت به، فإنه ولدى، فقال اللص: ما ارسلت لقتله، قالت: فيم ارسلت؟ قال لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك، فإذا تاب رددته عليه، فقالت: ياجبريل، شأنك وما أمرت به، فقال: تنحى عن باب البيت، وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، واشتغل فى تكويره فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة فى الرزة، وجاءت بقفل فقفلته، فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة، نقب أو منقذ، فلم يجد، فقال: افتحى لأخرج فقد اتعظ ابنك، فقالت: يا جبريل، أخاف أن أفتح الباب، فتذهب عينى عن ملاحظة نورك، فقال: إنى أطفئ نورى حتى لا يذهب بعينيك. فقالت يا جبريل: ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفنى أنا لتغوير بصرى، فأحس اللص أنها جلدة، فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة، فقالت: دع عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار، وقامت فصلت، وهو يسألها حتى طلعت الشمس، وجاء إبنها وعرف خبرها، وحدثته الحديث، فأحضر صاحب الشرط وفتح الباب وقبض على اللص.

الباب التاسع والعشرون
فى ذكر طرف من أخبار فطن الصبيان

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب النحوى، أنبأنا أبوجعفر بن المسلمة، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسى، أخبرنا الزبير بن بكار، حدثنى محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس الجالوت، أو لابن رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة فى الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شئ لأنهم يخلقون خلقاً بعد خلق غير أنا نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول فى لعبه: من يكون معى رأيناه ذا همة وحنو وصدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون كرهناها منه، فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان، وهو صبى، فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال: ياصبيان، اجعلونى أميركم وشدوا بنا عليه ومر به عمر بن الخطاب، وهو صبى يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم، فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسع لك.

أنبأنا محمد بن عبد الباقى البزاز، أنبأنا الحسن بن على الجوهرى، أخبرنا ابن حيوية، أخبرنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، أنبأنا حجاج بن نصر، حدثنا قرة بن خالد، عن هارون بن رياب، حدثنا سنان بن مسلمة وكان أميراً على البحرين قال: كنا أغيلمة بالمدينة فى أصول النخل نلتقط البلح الذى يسمونه الخلال، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فتفرق الغلمان وثبت مكانى،

فلما غشيني قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هذا ما ألقت الريح، قال: أرنـي أنظر، فإنه لا يخفى عليّ، قال فنظر في حجري، فقال: صدقت. فقلت: ياأمير المؤمنين، ترى هؤلاء الغلمان،والله لئن انطلقت لأغاروا عليّ، فانتزعوا ما في يدي، قال: فمشى معي حتى بلغني مأمني.

قال، قال أبو محمد الترمذي: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري. قال: فأتيته يوماً وهو داخل، فوجهت إليه بعض خدامه يعلمه بمكاني، فأبطأ عليّ ثم وجهت آخر، فأبطأ فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر. قال: أجل، ومع هذا إنه إذا فارقك تعزم على خدمه ولقوا منه أذى شديداً، فقومه بالأدب، فلما خرج أمرت بحمله، فضربته سبع درر. قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل جعفر بن يحيى قد أقبل، فأخذ منديلاً، فمسح عينيه من البكاء، وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليه متربعاً، ثم قال: ليدخل، فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره قال، فأقبل بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه، فلما هم بالحركة دعا بدابته ودعا غلمانه، فسعوا بين يديه، ثم سأل عني، فجئت فقال: خذ على بقية حزني، فقلت: أيها الأمير، أطال الله بقاءك. لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى، ولو فعلت ذلك لتنكر لي، فقال: تراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه إنني أحتاج إلى أدب إذن، يغفر الله لك بعد ظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً لو عدت في كل يوم مائة مرة.

قال الحسن القزوينى سمعت أبا بكر النحوى يقول: من ألطف رقعة كتبت فى الإعتذار رقعة كتبها الراضى إلى أخيه أبى إسحق المتقى، وقد كان جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب، وكان الأخ قد تعدى على الراضى، فكتب إليه الراضى: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً وأنت معترف إلىّ بالأخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر:

يا ذا الذى يغضب من غير شئ اعتب فعتباك حبيب إلىّ
أنت علي أنك لي ظالم أعز خلق الله طُراً علىّ

قال: فجاءه أبو إسحق، فأكب عليه، فقام إليه الراضى، فتعانقا، وأصطلحا والله أعلم.

حدثنا عبيد الله بن المأمون قال: غضب المأمون على أمى أم موسى، فقصدنى لذلك، حتى كاد يتلفنى، فقلت له يوماً: يا أمير المؤمنين، إن كنت غضبان على ابنة عمك، فعاقبها بغيرى، فإنى منك قبلها، ولك دونها. قال: صدقت والله ياعبيد الله إنك منى قبلها ولى دونها، والحمد لله الذى أظهر لى هذا منك وبين لى هذا الفضل فيك، لا ترى والله بعد يومك هذا منى سوء، ولا ترى إلا ما تحب، فكان ذلك سبب رضاه عن أمى.

قال الأصمعى: بينما أنا فى بعض البوادى إذا أنا بصبى أو قال صبية معه قربة قد غلبته فيها ماء، وهو ينادى يا أبت أدرك فاها غلبنى فوها لا طاقة لى فيها. قال: فوالله لقد جمع العربية فى ثلاث.

قال الصولى، قال الجاحظ، قال ثمامة: دخلت إلى صديق لى

أعوده وتركت حمارى على الباب، ولم يكن معى غلام، ثم خرجت، وإذا فوقه صبى، فقلت: أتركب حمارى بغير إذنى؟ قال: خفت أن يذهب، فحفظته لك. قلت: لو ذهب كان أحب إلى من بقائه. قال: فإن كان هذا رأيك فى الحمار، فأعمل على أنه قد ذهب وهبه لى، واربح شكرى، فلم أر ما أقول.

قال الرجل من أهل الشام: قدمت المدينة، فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا به علم منذ مدة، فقلت انحرى لنا ناقة، فأنا أضيافك. قالت: والله ما عندنا قلت: فشاة قالت: والله ما عندنا. قلت: فدجاجة. قالت: والله ما عندنا. قلت فبيضة، قالت: والله ما عندنا. قلت: فباطل ما قال أبوك:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت: فذاك الفعل من أبى هو الذى أصارنا إلى أن ليس عندنا شئ

قال بشر بن الحرث: أتيت باب المعافى بن عمران، فدققت الباب فقيل لى: من؟ قلت: بشر الحافى. قالت لى بنية من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافى.

وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده، والفتح صبى يومئذ، فقال له المعتصم: أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين فى دار أبى أحسن، فأراه فصاً فى يده، فقال: هل

رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ فقال: نعم اليد التي هو فيها.

قال أبو علي البصير: توفي أبي وأنا صغير، فمنعت ميراثي، فتقدمت منازعاً إلى القاضي، فقال لي: بلغت؟ فقلت: نعم، قال: ومن يعلم بذاك؟ قلت: من أنعظ عليه، فتبسم وأمر بفك حجري.

بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال أصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليّ وأخذ مالي، فقال القاضي: أرفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام، فقال إياس: أصلح الله القاضي إن الحق أكبر مني ومنه ومنك. قال: اسكت. قال: إن سكت فمن يقوم بحجتي؟ قال: تكلم بخير، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر، فعزل القاضي وولى إياس مكانه.

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر، فقال: ما هذا بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه.

قال الفرزدق لغلام حدث: أيسرك أني أبوك؟ قال: لا، ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك.

قعد صبي مع قوم يأكلون، فبكى، قالوا: ما لك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد. قال: أنتم لا تدعونه.

قال الأصمعي: قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب: أيسرك

أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟ فقال: لا والله. قلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى علي حمقي.

بلغنا أن صبياً لقي رجلاً عاقلاً فقال له: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى المطبق. قال: أوسع خطوتك.

أدخل على الرشيد صبي له أربع سنين، فقال له: ما تحب أن أهب لك؟ قال: حسن رأيك.

الباب الثلاثون
فى ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين

حدثنا محمد بن اسماعيل قال: كان عندنا رجل من جهينة يكنى أبا نصر قد ذهب عقله، فقلت له يوماً: ما السخاء؟ قال: جهد مقل. قلت: فما البخل؟ قال: اف وحول وجهه؟ فقلت: أجبنى. قال: قد أجبتك؟

قال الشبلى: رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عريان وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلى؟ فأنشأ يقول:

يقولون زُرنا واقض واجب حقّنا وقد اسقطت حالى حقوقهم عنى
إذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى

قال ابن القصاب الصوفى: دخلت المارستان، فرأيت فيه فتى مصاباً، فولعت به وزدت فى الولع، فأتبعته، فصاح وقال: انظروا إلى شعور مطرزة، وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، فقلت له: من السخى؟ قال: الذى رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم، قلت له: من أقل الناس شكراً؟ فقال: من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره، فترك الشكر فانكسرت بذلك، وقلت له: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه.

بلغنى عن بعض أصحاب المبرد أنه قال: انصرفت من مجلس المبرد يوماً فجزت بخربة، فإذا بشيخ قد خرج منها، ومعه حجر فهم أن يرمينى به، فتترست بالمحبرة والدفتر، فقال: مرحباً بالشيخ، فقلت:

وبك؟ قال: من أين أقبلت؟ قلت: من مجلس المبرد. قال: البارد. ثم قال: ما الذى أنشدكم؟ فكان من عادته أن يختم مجلسه بيتين أو بيت من الشعر، فقلت له أنشدنا:

أعـــار الغيـــثُ نائلـــه إذا مـــــاؤه نفـــــدا
وإن أســـد شكـــا جُبنـــاً أعـــــار فـــؤاده الأسَــدَا

فقال: أخطأ قائل هذا الشعر. قلت: كيف؟ قال: ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل، وإذا أعار الأسد فؤاده بقى بلا فؤاد. قلت: فكيف كان يقول؟ فأنشد:

علـــم الغيـــث النـــدى فـــإذا مـــا وعـــاه علـــم البـــأس بالأســـد
فـــإذا الغيـــث مقـــر بالندى وإذا الليـــث مقـــر بالجلـــد

قال، فكتبتها وانصرفت، ثم مررت يوماً آخر بذلك المكان، فإذا به قد خرج وبيده حجر، فكاد يرمينى فتترست منه، فضحك وقال: مرحباً بالشيخ فقلت وبك. قال: من مجلس المبرد؟ قلت: نعم. قال: ما الذى أنشدكم؟ قلت: أنشدنا:

إن الســماحة والمــروءة والنــدى قبر يمر على الطريق الواضــح
فإذا مــررت بقبــره فاعقـــر بــه كوم الجياد وكل طــرف سابح

فقــال: أخطأ قــائل هــذا الشعر، فقلـت: كيـف؟ قـال: ويحك لـو نحرت بخت خراسان لما أبر فى حقه. قلت: كيف كان يقول، فأنشد:

احملانى إن لم يكن لكمــا عقــر إلى جنـــب قـــبره فـــاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كان دمـــى مـــن نداه لـــو تعلمـــان

قال، فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة، فقال: أتعرفه:

قلت: لا. قال: ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان.

قال علي بن الحسين الرازي: مر بهلول بقوم في أصل شجرة وكانوا عشرة، فقال: بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول. قالوا: فجاءهم، فقالوا: يا بهلول، تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم. قال: نعم فأعطوه عشرة دراهم فصيرها في أكمه، ثم التفت، فقال: هاتوا سلماً. فقالوا: لم يكن هذا في الشرط، فقال: كان في شرطي دون شرطكم.

ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول، فقال: ما هذا الحزن أجزعت لخلق سوى وهبة رب العالمين. أيسرك أن مكانها أبناء مثلي، فسري عنه.

وفر يوماً بهلول من الصبيان، فالتجأ إلى دار، فوجد بابها مفتوحاً، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح ما أدخلك داري؟ فقال: ﴿يا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأرضِ﴾[1]. وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل داراً، فدعا الرجل بالطعام، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾[2].

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف إبناً وبنتاً وزوجة ولم يترك من المال شيئاً، فقال للإبن اليتم، والبنت الثكل، وللزوجة خراب البيت، وما بقي فللعصبة. قال، ودخل بهلول وعليان على موسى بن

(١) سورة الكهف الآية رقم: ٩٤.
(٢) سورة الحديد الآية رقم: ١٣.

المهدى. فقال لعليان: إيش معنى عليان؟ فقال عليان: وإيش معنى موسى، فقال: خذوا برجل ابن الفاعلة، فالتفت عليان إلى بهلول، وقال: خذ إليك كنا اثنين صرنا ثلاثة.

كان في بنى أسد مجنون، فمر بقوم من بنى تيم الله، فعبثوا به وعذبوه، فقال يابنى تيم الله، ما أعلم في الدنيا قوماً خيراً منكم. قالوا: وكيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيرى، وقد قيدونى وسلسلونى، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد.

ومر مجنون بمعتزلى يناظر، فقال له المجنون: أنت القائل أنك مخير بين فعلين إن شئت فعلت أحدهما دون الآخر؟ قال: نعم. قال: فأخرى ولا تبل، فعجب الناس من قوله.

قال أبو محمد بن عجيف مر بى مجنون، فقلت: يامجنون، قال: وأنت عاقل؟ قلت: نعم. قال: كلا يامجنون، ولكن جنونى مكشوف وجنونك مستور. قلت: فسر لى. قلت قال: أنا أخرق الثياب وأرجم، وأنت تعمر دار لا بقاء لها، وتطيل أملك وما حياتك بيدك وتعصى وليك وتطيع عدوك.

قال النظام قلت لمجنون أجلس ها هنا حتى أرجع، فقال: أما ترجع فلا أضمن لك، ولكنى أجلس إلى الليل.

ادعى رجل النبوة وزعم أنه نوح، فصلب فمر به مجنون، فقال: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على الدقل.

بعث هلال بن أبى بردة إلى أبى علقمة المجنون، فلما أتى به قال: تدرى لم أحضرتك؟ قال: لا. قال: لأضحك منك. قال: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يعرض بجده أبى موسى.

الباب الحادي والثلاثون
فى ذكر طرف من أخبار النساء والمتفطنات

حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجر أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها. فى أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «فى التى لم يرتع منها» نعني: أن النبى ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

حدثنا القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ إذا خرج فى سفر أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، فكان النبى ﷺ إذا سار بالليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيرى وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم ثم صار معها، حتى نزلوا، ففقدت النبى ﷺ، فغارت، فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الأذخر وتقول: يارب! سلط عليّ عقرباً يلدغنى رسولك لا أستطيع أن أنول شيئاً.

عن عبد الله مصعب قال، قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا فى مهر النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذى الغصة يعنى يزيد بن الحصين الصحابى الحارثى، فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء طويلة فى أنفها فطس ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ

تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[1] قال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

(عن) محمد بن معين الغفارى قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالت: ياأمير المؤمنين، إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدى: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: علىّ بزوجها فأتى به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفى طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضى الحكيم أرشده ... ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده ... نهاره وليله ما يرقده

ولست فى أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدت فى فراشها وفى الحجل ... إنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل والسبع الطوال ... وفى كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يارجل ... نصيبها فى أربع لمن عقل

فاعطها ذاك ودع عنك العلل

---

(1) سورة النساء الآية رقم: ٢٠.

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة.فقال عمر: والله ما أدرى من أى أمريك أعجب، أفمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما. أذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

عن عبد الله بن الزبير، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتانى جدى أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا ياأبت. قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار جعلها فى كوة البيت كان أبوبكر يحصل ماله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت ترك لنا هذا فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب، فقال: أما إذا ترك لكم هذا، فنعم. ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً.

قال الأصمعى: أتت امرأة حاتم بن عبدالله ابن أبى بكرة، فقالت له: أتيتك من بلاد شاسعة ترفعنى رافعة وتخفضنى خافضة لملمات من الأمور حللن بى فبرين لحمى ووهن عظمى وتركننى والهة كالحريض. قد ضاق بى البلد العريض. هلك الوالد وغاب الوافد وعدم الطارف والتالد. فسألت فى أحياء العرب عن المرجو سببه، المحمود نائله، الكريم شمائله، فدللت عليك وأنا امرأة من هوازن، فافعل بى أحد ثلاث، إما أن تقيم أودى، وإما أن تحسن صفدى، وإما أن تردنى إلى بلدى، فقال: بل أجمعهن إليك وحباً وكرامة.

قال الأصمعي: مات ابن لأعرابية، فما زالت تبكي حتى خدد الدمع خدها، ثم استرجعت، فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما. اللهم إن ولدى كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجزه عنى بذلك صلاة ورحمة، ولقه سروراً ونضرة، فقال لها أعرابي: نعم ما دعوت له. لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدى. فقالت: إذا وقعت الضرورات لم يجز عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابنى غير ممكن فى الطاقة صرفه، ولا فى القدرة منعه، ولى عذرى بفضله، فقد قال عز وجل: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ﴾[1].

قال أبو الحسن المدائنى: دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته، وكان عمران قبيحاً ذميماً قصيراً، وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت فى عينه جمالاً وحسناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة. فقالت: أبشر فإنى وإياك فى الجنة. قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلى فشكرت، وابتليت سلامته بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر فى الجنة.

قال المصنف: أدام الله سلامته: كان عمران بن حطان أحد الخوارج، وهو القائل يمدح عبدالرحمن بن ملجم على قتله على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه بمنه وكرمه:

---

(١) سورة البقرة الآية رقم: ١٧٣.

ياضربة من تقي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم	لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

فبلغت هذه الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري، فقال مجيباً له على الفور:

إني لأبرأ مما أنت قائله	على ابن ملجم الملعون بهتانا
إني لأذكره يوماً فألعنه	ديناً وألعن عمراناً وحطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلاً	لعائن الله أسراراً وأعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء به	نص الشريعة تبياناً وبرهانا

أشار أبو الطيب إلى قول النبي ﷺ : «الخوارج كلاب النار»

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي: حدثني أبو المشيع قال: خرج كثير يلتمس عزة، ومعه شنينة فيها ماء، فأخذه العطش، فتناول الشنينة، فإذا هي عظم، ما فيها شئ من الماء، فرفعت له نار فأمها فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا كثير. قالت: قد كنت أتمنى ملاقاتك، فالحمد لله الذي أرانيك. قال: وما الذي تلتمسينه مني؟ قالت: ألست القائل:

إذا ما أتينا خلة كي نزيلها	أبينا وقلنا الحاجبية أول
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا	ونحن لتلك الحاجبية أوصل

قال: بلى. قالت: أفلا قلت كما قال سيدك جميل:

يـارب عارضـة علينـا وصلهـا	بـالجد تخلطـه بقـول الهـازل
فأجبتها فى القـول بعـد تـأمل	حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى قلبى كقـدر قلامـة	فضلاً لغيرك ما أتتـك رسائلـى

قلت: دعي هذا واسقيني. قالت: والله لا أسقيك شيئاً. قلت: ويحك إن العطش قد أضر بى. قالت: ثكلت بثينة إن طمعت أن عندى قطرة ماء، فكان جهده أن ركض راحلته ومضى يطلب الماء. فما بلغه حتى أضحى النهار وكاد يقتله العطش.

قال: دخل ذو الرمة الكوفة فبينا هو يسير فى شوارعها على نجيب لـه إذ رأى جارية سـوداء واقفـة علـى بـاب دار، فاستحسـنها ووقعت بقلبه، فدنا إليها، فقال: ياجارية، اسقنى ماء، فأخرجت إليه كوزاً، فشرب فأراد أن يمازحها ويستدعى كلامها، فقال: ياجارية، ما أحر ماءك، فقالت: لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حر مائى وبرده، فقال لها: وأى شعرى له عيب؟ فقـالت: ألست ذا الرمـة؟ قال: بلى. قالت:

فأنت الذى شبهت عنزاً بقفرة	لها ذنـب فـوق إستها أم سـالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها	وطبسين مسودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا	بجلـدك يـا غيـلان مثـل المـآثم
أيا ظبيـة الوعسـاء بين جلاجـل	وبيـن النقـا أأنـت أم أم سـالم؟

قال: نشدتك بالله ألا أخذت راحلتى وما عليها ولم تظهرى هذا، ونزل راحلته، فدفعها إليها، فذهب ليمضى، فدفعتها إليه وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى.

قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس: قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين، وركب الوليد، فمشى الحجاج بين يديه، فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد. فقال: يا أمير المؤمنين، دعنى أستكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلانى عن الجهاد زمناً طويلاً، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل، فركب مع الوليد، فبينا هو يتحدث ويقول: ما فعلت بأهل العراق وفعلت، أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت، فقال الوليد: يا أبا محمد، أتدرى ما قالت الجارية؟ قال: لا. قال قالت : ارسلتنى إليك أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن مجالستك هذا الأعرابى وهو فى سلاحه وأنت فى غلالة غرر، فأرسلت إليها أنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك، وقالت: والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلىّ من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل أحباء الله له وأهل طاعته ظلماً وعدواناً. فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك، ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن، ولا تكثرن مجالستهن صغاراً وذلائم، ثم نهض فخرج، ودخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بمقالته، فقالت: إنى أحب أن تأمره بالتسليم على فسيلغك بالذى يكون بينى وبينه، فغدا الحجاج على الوليد، فقال الوليد: ائت أم البنين، فقال: أعفنى يا أمير المؤمنين. قال: فلتفعلن فأتاها، فحجبته طويلاً، ثم أذنت له، ثم قالت له: يا حجاج، أنت تفتخر على امير المؤمنين بقتل الزبير وابن الأشعث. أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حوارى رسول الله ﷺ، وابن الأشعث فلعمرى لقد استعلى عليك

حتى عجعجت ووالى عليك الهرار حتى عويت، فلولا أن أمير المؤمنين نادى فى أهل اليمن، وأنت فى أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذى فيه عيناك وعلى هذا، فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه فى أعطية أوليائه وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين، فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر فى الخلق والخلق، يالكع، فما أحقه أن يقتدى بقولك قاتل الله الذى يقول:

أسد علىّ وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغا أو قد كان قلبك فى جناحى طائر

ثم أمرت جارية لها، فأخرجته، فلما دخل على الوليد، قال: ما كنت فيه يا أبا محمد، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلى من ظهرها، قال: إنها بنت عبد العزيز.

قال ابن السكيت عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج، فخرجت إليه جارية شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ الرطـ ـب على الخد الأسيل
هطلت فى ساعة البـ ـين من الطرف الكحيل

ثم قال أجيزى فقالت:

حـــين هـــم القمـــر البـــا　　　هـــــر عنـــــا بــــــالأفول
إنمـــا يفضـــــــح العشـــــــ　　　ـــاق فـــي وقـــت الرحيـــل

قال أيوب الوزان، قال المفضل: دخلت على الرشيد، وبين يديه طبق ورد، وعنده جارية مليحة شاعرة أدية قد أهديت إليه، فقال: يا مفضل، قل فى هذا الورد شيئاً تشبهها به، فأنشأت أقول:

كأنــه خــد مرمــوق بقبلــه　　　فـم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية:

كأنـه لـون خدى حين يدفعنى　　　كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال: يا مفضلن قم ، فاخرج، فإن هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور.

قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت معه، فلما صرنا بضربة إذا أنا على شفير الوادى بصبية قدامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طحنتنـــا طواحـــن الأعـــوام　　　ورمتنـــا نوائـــب الأيـــام
فأتينــــاكمو لمــــذ أكفـــاً　　　لفضـالات زادكـم والطعـام
فـاطلبوا الأجـر والمثوبـة فينـا　　　أيهـا الزائـرون بيـت الحـرام
مـن رآنـى فقد رآنى ورحلـى　　　فارحـموا غربتـى وذل مقامـى

قال، فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادى، وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين، افآتيك بها؟ قال:

لا. بل نحن نذهب إليها. قال الأصمعى: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنت تقولينه، فأنشدته ولم تهبه، فقال: يا مسرور أملأ قصعتها دنانير، قال: فملأها حتى فاضت يميناً وشمالاً.

حدثنا ابن الشيظمى قال: حججت فى سنة قحطة جدبة، فبينما أنا أطوف بالكعبة، إذ أبصرت جارية من أحسن الناس قداً وقواماً وخلقاً وهى متعلقة بأستار الكعبة تقول: إلهى وسيدى. ها أنا أمتك الغريبة وسائلتك الفقيرة حيث لا يخفى عليك بكائى، ولا يستتر عنك سوء حالى. قد هتكت الحاجة حجابى وكشفت الفاقة نقابى، فكشفت وجهاً رقيقاً عند الذل، وذليلاً عند المسألة. طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغناء وصانه ماء الحياء. قد جمدت عنى كف المرزوقين، وضاقت بى صدود المخلوقين، فمن حرمنى لم ألمه، ومن وصلنى وكلته إلى مكافأتك ورحمتك، وأنت أرحم الراحمين. قال، فدنوت منها فبررتها، ثم قلت لها: من أنت؟ وممن أنت؟ فقالت: إليك عنى، من قل ماله، وذهب رجاله كيف يكون حاله. ثم انشأت تقول:

بعض بنات الرجال أبرزها	الدهر لما قد ترى وأخرجها
أبرزها من جليل نعمتها	فابتزها ملكها وأحوجها
وطالما كانت العيون إذا	ما خرجت تستشف هودجها
إن كان قد ساءها وأحزنها	فطالما سرها وبهجها
الحمد لله رب معسرة	قد ضمن الله أن يفرجها

قال، فسألت عنها، فأخبرت أنها من ولد الحسين بن على رضوان الله عليهم أجمعين.

بلغنا أن كثير عزة لقي جميلاً، فقال له: متى عهدك ببثينة؟ قال: ما لي بها عهد منذ عام أول، وهي تغسل ثوباً بوادي الدوم، فقال له كثير: تحب أن أعهدها لك الليلة؟ قال: نعم. فأقبل راجعاً إلى بثينة، فقال له أبوها يا فلان: ما ردك؟ أما كنت عندنا قبيل؟ قال: بلى، ولكن حضرتني أبيات قلتها في عزة قال، وما هي؟ قلت:

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي   على باب داري والرسول موكل
أما تذكرين العهد اليوم لقيتكم   بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة: أخسأ. فقال أبوها: ما هاجك يابثينة؟ قالت: كلب لا يزال يأتينا من وراء الجبل بالليل وأنصاف النهار. قال: فرجع إليه، فقال: قد وعدتك من وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار، فألقها إذا شئت.

قال مؤلف الكتاب قلت، ومن هذا الفن حكى أن أعرابياً بعث غلاماً له إلى امرأة يواعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب الغلام وأبلغها الرسالة، فكرهت المرأة أن تقر للغلام بما بينهما، فقالت: والله لئن أخذتك لاعركن أذنك عركة تبكى منها، وتستند إلى تلك الشجرة ويغشى عليك إلى وقت العتمة، فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام، وانصرف إلى صاحبه وحكى له، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة.

قال الصولي، سمعت المبرد يقول: كنا عند المازني، فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويهب لها، فقالت: أنعم الله صاحبك أبا عثمان. هل بالرمال أوشال؟ فقال لها: يجيء الله بها. فقالت:

تعلمن أنى والذى حج القوم | لولا خيال طارق عند النوم
والشوق من ذكراك | ما جئت اليوم

فقال المازنى: قاتلها الله ما أفطنها جاءتنى مستمنحة، فلما رأت أن لا شئ جعلت المجئ زيارة تمن علينا بها.

قال اسماعيل ابن حمادة بن أبى حنيفة: ما ورد علىّ مثل امرأة تقدمت، فقالت: أيها القاضى، ابن عمى زوجنى من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددت. فقلت لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمت. قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت، فما رأيت مثلها.

قال حدثنا على ابن القاسم القاضى، قال سمعت أبى يقول: كان موسى بن اسحق لا يرى مبتسماً قط، فقالت له امرأة: أيها القاضى، لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان، قال: ولم؟ قالت: لأن النبى ﷺ قال: «لا يقضى القاضى بين أثنين وهو غضبان» فتبسم.

عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى، عن عمه قال سليمان بن عبد الملك يوماً والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه.

قال: يروح إذا راحوا ويغدو إذا غدوا.

فلم يصنعوا شيئاً، فدخل إلى جارية له فأخبرها، فقالت: كيف قلت؟ فأنشدها فقالت: وعما قليل لا يروح ولا يغدو.

قال الأصمعى: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك، فلولا كلف فى وجهها وخنس فى أنفها لاشتريتها، فانطلق بها، فلما بلغت الستر

قالت يا أمير المؤمنين، أرددني إليك أنشدك بيتين حضراني، فردها فأنشأت تقول:

ما سلم الظبي على حسنه　　كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنس بين　　والبدر فيه كلف يعزف

فأعجبته بلاغتها فأشتراها وقرب منزلها، وكانت أحظى جواريه عنده.

قال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جداً، ونحن على طعام، فأردت أن أمازحها، فقلت: أنزلي حتى تأكلي معنا، قالت: وأنت، أصعد حتى ترى الدنيا.

قال الجاحظ أيضاً: رأيت امرأة جميلة فقلت: ما اسمك؟ قالت: مكة. فقلت: أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود منك؟ قالت: لا إلا بالزاد والراحلة.

قال مؤلف الكتاب: وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر. قال الجاحظ: رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها وعلى خدها خال، فدعوت بها وجعلت أقلبها، فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: مكة. فقلت: الله أكبر قرب الحج أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود؟ قالت له: إليك عني ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيْهِ إلاَّ بِشَقِّ الأَنْفُسِ﴾ [1].

قال الأصمعي: أتي المنصور بسارق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

---

(1) سورة النحل الآية رقم: ٧.

يـدى يـا أمـير المؤمنـين أعيذهـا بحقويك من عـار عليها يشـينها
فلا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها إذا مـا شمـال فارقتهـا يمينهـا

فقال: ياغلام: اقطع هذا حد من حدود الله، وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيله، قالت أم الغلام: واحدي وكادي وكاسبي. قال: بئس الواحد واحدك. وبئس الكاد كادك. وبئس الكاسب كاسبك. ياغلام! اقطع، فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين، أما لك ذنوب تستغفر الله منها؟ قال: بلى، قالت: هبه لى، واجعل هذا من ذنوبك التى تستغفر الله منها.

وقد رويت لنا من هذه الحكاية عن عبد الملك بن مروان، فإنه أتى بسارق وثبتت عليه البينة، فأنشد هذا الشعر، وقالت أمه هذا الكلام، فقال: خلوا سبيله.

أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابى:

وسائلة عن ركب حسان كلهم ليبلغ حسـان بـن زيـد سؤالها

قال، وهى تحب حسان، فكرهت أن تخصه، فسألت عن الركب جميعاً حتى صارت إليه.

قال هرون بن عبد الملك بن المأمون: لما عرضت الخيزران على المهدى قال لها: والله ياجارية إنك لعلى غاية المتمنى، ولكنك حمشة الساقين، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أحوج ما يكون إليهما لا تراهما، فقال: اشتروها، فحظيت عنده، فاولدها موسى وهرون.

وحكى أبو بكر الصولى: أن المهدى اشترى جارية فاشتد شغفه

بها، وكانت به أشغف، وكانت تتجافاه كثيراً، فدس إليها من عرف ما في نفسها، فقالت: أخاف أن يملني ويدعني فأموت، فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش، فقال المهدي:

ظفـرت بـالقلب منـي غـادة مثـل الهـلال
كلمـا صـح لهـا ودي جـاءت بـاعتلال
لا تحـب الهجـر منـي والتنـائي عـن وصـالي
بـل لمـأمنهـا علـي حبـي لهـا خـوف الـملال

قال أبو نواس: استقبلتني امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت على غاية الحسن، فقالت: ما أسمك؟ قلت: وجهك. فقالت: أنت الحسن إذن.

حدثنا رجل من تغلب قال: كان فينا رجل له أبنة شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثا كذلك دهراً، ثم أن الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية، واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه: ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي؟ قالت: أمر كان مقضياً. قالت: والله ما أحسن رباه صغيراً، ثم تدعوه كبيراً، ثم قالت لها: يا أماه: إني والله حامل، فاكتمي إن شئت أو نوحي، فأرسلت الأم إلى الأب، فأخبرته الخبر، فقال: اكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلى القوم، فقال: يا هؤلاء إني كنت أجبتكم، وأنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان، فلما انقضى ذلك قال الشيخ: ادخلوها عليه، فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو

تبين حملها. قال: فما دخل عليها إلا بعد حول، فعلم أبوها أنها احتالت عليه.

قال الصولى، قال العتبى: رأيت امرأة أعجبتنى صورتها، فقلت: ألك بعل؟ قالت: لا قلت: أفترغبين فى الزواج؟ قالت: نعم، ولكن لى خصلة أظنك لا ترضاها، قلت: وماهى؟ قالت: بياض برأسى. قال: فثنيت عنان فرسى وسرت قليلاً، فنادتنى أقسمت عليك لتقفن، ثم أتت موضع خال، فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي، فقالت: والله ما بلغت العشرين، ولكننى عرفتك انا نكره منك ما تكره منا. قال: فخجلت وسرت وانا أقول:

فجعلت أطلب وصلها بتملق		والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

حدثنا العتبى قال: قال رجل من ولد على عليه السلام لامرأة: أمرك بيدك ثم ندم، فقالت: أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبه فلن اضيعه إذا كان بيدى ساعة من نهار، وقد رددته إليك، فأعجب بذلك من قولها وأمسكها.

قال أراد شعيب أن يتزوج أمرأة، فقال لها: إنى سىء الخلق، فقالت: أسوأ منك خلقاً من أحوجك ان تكون سيئاً. قال: أنت امرأتى.

قال سمعت الفضل بن إبراهيم يقول: مر شاعر بنسوة فأعجبه شأنهن، فجعل يقول:

إن النساء شياطين خلقن لنا		نعوذ بالله من شر الشياطين

قال، فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم ... وكلكم يشتهي شم الرياحين

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي: كان لرجل من الأعراب ابنة، وكان له غلام، فراودها عن نفسها، فوعدته الليل، وأعدت له شفرة وحدتها، فلما جاءها للميعاد، فجبته فخرج يعوي، فسمعه مولاه. فقال: من فعل بك؟ قال: ابنتك. فدخل عليها، فقال: ما صنعت بهذا الغلام؟ فقالت: يا أبت، إن العبد من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه، ومن ورد غير مائه صدر بمثل دائه، فقال لها: لا شللاً.

قال الشرقي بن قطامي: كان شن من دهاة العرب، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن، فصحبه، فلما انطلقا قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب، فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل أما تراه قائماً. فمرا بجنازة فقال: أترى صاحبها حياً أو ميتاً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك. أتراهم حملوا إلى القبور حيا. ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله أتحملني أم أحملك، فأراد تحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا، فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك عقباً يحيا به ذكره أم لا، فخرج الرجل فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها. قالوا: وافق شن طبقة.

قال حدثني أبو محمد بن داسته أن رجلاً اعترض جارية في الطريق فقال لها: أبيدك صنعة؟ قالت: لا، ولكن برجلي تعني أنها رقاصة.

قال المحسن: وحدثني أنه سمع امرأة تخاصمت مع زوجها، فقالت له: طلقني. فقال لها: أنت حبلى حتى إذا ولدت طلقتك. قالت: ما عليك منه. قال: فأيش تعملين به؟ قالت: اقعده على باب الجنة فقاعي، فقلت لعجوز كانت تتوسط بينهما: إيش معنى هذا؟ قالت: تريد أنها تشرب ماء السداب وتتحمل سداباً عليه أدوية لتسقط، فيلحق الصبي بالجنة، فيكون كالفقاعي.

قال أبوبكر بن الأزهر: حدثني بعض إخواني أن رجلاً كان بالأهواز، وكان له ثروة ونعمة وأهل، فسار إلى البصرة مرة، فتزوج بها، فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرة أو مرتين، وكان للبصرية عم يكاتبه، فوقع كتاب منه في يد الأهوازية، فعلمت الحال، فكتبت إليه: من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت، فالحق، فقرأه ثم اخذ في إصلاح أمره ليخرج، فقالت الأهوازية: إني أراك مشغول القلب، وأظن أن لك بالبصرة امرأة، فقال: معاذ الله، فقالت: لا أقنع بقولك دون يمينك، فتحلف بطلاق كل امرأة لك غائبة أو حاضرة، فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت، فقالت له: لا حاجة لك في الخروج، فإن تلك بانت وهي في الحياة.

قال علي بن الجهم: اشتريت جارية، فقلت لها: ما أحسبك إلا بكراً فقالت: يا سيدي، كثرت الفتوح في زمان الواثق، وقلت لها ليلة

كم بيننا وبين الصبح، قالت عناق مشتاق، ونظرت إلى الشمس كاسفة، فقالت: احتشمت محاسنى، فانتقبت. وقلت لها ليلة نجعل مجلسنا الليلة فى القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، وكانت تكره الحلى وتقول: تستر المحاسن كما تغطى القبائح.

عرض على المتوكل جارية، فقال لها: أبكراً أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش ياأمير المؤمنين، فضحك وابتاعها.

وضع المعتضد رأسه فى حجر بعض جواريه، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت، فلما انتبه قال: لم فعلت ذاك وأكبره؟ فقالت: كذا علمنا أن لا يقعد قاعد بحضرة من ينام، ولا ينام بحضرة قاعد، فاستحسن المتعضد ذلك منها واستعقلها.

بلغنا عن غريب، وكان يقال أنها أبنة جعفر بن يحيى البرمكى، وكانت مغنية ذكية شاعرة اشتراها المعتصم بمائة ألف وأعتقها، فكتبت إلى بعض الناس: أردت ولولا ولعلى، فكتبت تحت «أردت» ليت، وتحت «لولا» ماذا، وتحت «لعلى» أرجو، فمضت إليه.

قال أبو الحسن بن هلال الصابى: حدثنا أبو محمد الحارثى قال: كان عندنا بواسط رجل موسر يقال له أبو محمد، وكانت عنده مغنية تغنى:

خليلي هيا نصطبح بسواد

فقال لها بالله غني:

خليلي هيا نصطبح بسهاد

فقالت له: إذا عزمت فوحدك.

وقال أبوحنيفة: خدعتنى امرأة أشارت إلى كيس مطروح فى الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت احتفظ به حتى يجئ صاحبه.

لما قتل كسرى وزيره بزر جمهر أراد أن يتزوج أبنته، فقالت للثقات: لو كان ملككم حازماً لما دخل بين شعاره ودثار مأثوره.

قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك هذا الشيب الذى ترينه فإن عندى قرة عين، فقالت الجارية: أيسرك أن عندك عجوزاً مغتلمة.

قال ابن المبارك بن أحمد: خرج رجل على سبيل الفرجة، فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربى، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله على بن الجهم، فقالت المرأة فى الحال: رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا ومرا مشرقاً ومغرباً، فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولى ما قلتما، وإلا فضحتك وتعلقت بك، فقالت، قال لى الشاب: رحم الله على بن الجهم أراد به قوله:

عيون المهـا بيـن الرصافـة والجسـر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بترحمى على المعرى قوله:

فيـا دارهـا بالحـزن مزارهـا قريـب ولكن دون ذلك أهوال

قال ابن الزبير لامرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت إستك، قال، فالتفتت إلى من بحضرتها وقالت: أنشدكم الله! أهذا من كلام الخلفاء؟ قالوا: لا. قالت لابن الزبير: كيف ترى هذا الخلع الخفي. قال المتنبي قال لي رجل من الهاشميين: كتبت إلى امرأتي وأنا في السفر كتاباً تمثلت فيه ببيت لك:

بم التعلل لا أهل ولا وطن	ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فكتبت إلي: والله ما أنت كما ذكرته في هذا البيت، بل أنت كما قال الشاعر:

سهرت بعد رحيلي ووحشة لكم	ثم استمر مريري وارعوى الوسن

ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه: أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداهما: أخطأت لأن الله تعالى يقول: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾[1] فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع، فأمسك.

ذكر أن رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء الستار، وأنشأت تقول:

وقالوا لها هذا حبيبك معرضا	فقالت ألا إعراضه أيسر الخطب
فما هي إلا نظرة بتبسم	فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

(1) سورة البقرة الآية رقم: ٢٨٢

فطرب كل من حضر إلا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق الناس بالطرب، فقالت الجارية: دعه يامولاى، فإنه سمعنى أقول «هذا حبيبك معرضاً» فظننى لحنت، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ: وهذا بعلى شيخاً، قال: فطرب المبرد إلى أن شق ثوبه.

قال بعضهم حضرت رفيقتين، وكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه، والأخرى ساكتة، فقلت للساكتة: رفيقتك هذه ما تستقر مع واحد، فقالت: نعم، وهى تقول بالسنة والجماعة، وأنا أقول باثبات القدر.

غضب المأمون يوماً على عبد الله بن طاهر، فأراد طاهر أن يقصده، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفى حاشيته «يا موسى». فجعل يتأمله، ولا يعلم معنى ذلك. فقالت له جارية، وكانت فطنة أراد: ﴿يامُوْسَى إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[1] فتيقظ عن قصد المأمون.

عرض على رجل جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: رغبت فيها وما بينى وبينها إلا يوم؟ فقالت البكر: ﴿وإنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]. فأعجبتاه فاشتراهما.

قال: خاصمت امرأة زوجها فى تضييقه عليها وعلى نفسه، فقالت: والله ما يُقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن، وإلا فهو يسترزق من بيت الجيران.

---

(١) سورة القصص الآية رقم: ٢٠.
(٢) سورة الحج الآية رقم: ٤٧.

قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد أبكر أنت؟ فقالت: نعوذ بالله من الكساد يعني الثيوبة. جاءت دلالة إلى قوم، فقالت: عندى زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام.

قالت دلالة لرجل: عندى إمرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هى عجوز قبيحة، فقال: كذبت عليّ وغششتينى، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

أعطت أمرأة جاريتها درهماً، وقالت اشترى هريسة، فرجعت، فقالت: ياسيدتى، سقط الدرهم منى، فضاع، فقالت: يا فاعلة تكلمينى بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها، وقالت بالنصف الآخر: وانكسرت ياسيدتى الزبدية.

كان رجل يقف تحت روشن امرأة، وهى تكره وقوفه، قالت: فجاء فى بعض الأيام وعليه قميص ديبقى قد غسله عند المطرى، وسقاه نشاء وتحته قميص رومى قالت: وكان للناس أترج سوسى فى الأترجة ثلاثون رطلاً، فأخرجت بطيخة وأشارت إليه: تعال خذ هذه، فجاء فوقف تحت الروشن، فقالت: أمسك حجرك صلباً حتى لا يقع فتنكسر، فلزم حجره، فأخرجت البطيخة كأنها ترمى بها، وأخذت أترجة، فرمت بها فى حجره، فلم يردها شئ سوى الأرض، فجمعه وهرب مستحياً وما عاد بعدها.

بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من

تجب عليه الزكاة.

كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة، إلا أنها كانت تفحش في مجونها، فقال لها مولاها: اقصرى من هذا الفحش بمحضر من الرجال، فقالت افحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببى، وقال لها بعض الحاضرين، وكان شيخاً:

يا أحسن الناس وجها	مني علي بقبله

فأجابت مسرعة:

يا أسمج الناس وجها	وأسخن الناس مقله
إذا سمحت لما رمـ	ـته فإني بذله
وكيف يوجد بين الجـ	ـمار والخشف وصله
فلا تطف بالغواني	فما يردنك جمله
وكل شيخ تصابى	على الصبايا فابله

قال رجل لجارية أراد شراءها، فسألها عن ثمنها فقال: يا جارية كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[1].

قال: حدثني أبوالقاسم عبد الله بن محمد الكاتب قال: حدثنى بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل حسني يعرف بالأدرع، شديد القلب جداً. قال، وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول ترة ويقصر أخرى، يقولون هو غولة يفزع منه الناس، فخرج الأدرع ليلة راكباً في بعض شأنه. قال لى الأدرع،

(١) سورة المدثر الآية رقم: ٣١.

فاعترض لى السواد والنار، فطال الشخص فى وجهى، فأنكرته ثم رجعت إلى نفسى، فقلت أما شيطان وغولة فهوس، وليس إلا إنساناً، فذكرت الله تعالى وصليت على نبيه ﷺ، وجمعت عنان الفرس وقرعته بالمقرعة وطرحته على الشخص، فازداد طوله وعظم الضوء فيه، فنفر الفرس، فقرعته فطرح نفسه عليه، فقصر الشخص حتى عاد على قدر قامة، فلما كاد الفرس يخالطه ولى هارباً، فحركت خلفه، فانتهى إلى خربة، فدخلها، فدخلت خلفه، فإذا هو قد نزل سرداباً فيها، فنزلت عن فرسى وشددته، ونزلت وسيفى مجرد، فحين حصلت فى السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار منى، فطرحت نفسى عليه، فوقعت يدى على بدن إنسان، فقبضت عليه فأخرجته، فإذا هى جارية سوداء، فقلت: أى شئ أنت وإلا قتلتك الساعة؟ قالت: قبل كل شئ أنت إنسى أم جنى، فما رأيت أقوى قلباً منك قط؟ فقلت: أى شئ أنت؟ قالت: أمة لآل فلان قوم بالكوفة ابقت منهم سنين، فتغربت فى هذه الخربة، فولد لى الفكر أن أحتال بهذه الحيلة وأوهم الناس أنى غولة حتى لا يقرب الموضع أحد، وأتعرض ليلاً للأحداث، وربما رمى أحدهم منديلاً أو إزاراً، فآخذه فأبيعه نهاراً وأقتات به أياماً، قلت: فما هذا الشخص الذى يطول ويقصر، والنار التى تظهر؟ قالت: كساء معى طويل أسود، فأخرجته من السرداب وقضبان مهندية أدخل بعضها فى بعض فى الكساء، وأرفعه فيطول، فإذا أردت تقسيره رفعت من الأنابيب واحدة واحدة فيقصر، والنار فتيلة شمع معى فى يدى لا أخرج إلا رأسها مقدار ما يضئ الكساء، وأرتنى الشمعة والكساء والأنابيب، ثم قالت: قد جازت هذه الحيلة

نيفاً وعشرين سنة، واعترضت فرسان الكوفة وشجعانها، وكل أحد، فما أقدم أحد على غيرك، ولا رأيت أشد قلباً منك، فحملها الأدرع إلى الكوفة، فردها إلى مواليها، فكانت تحدث بهذا الحديث، ولم ير بعد ذلك أثر غولة، فعلم أن الحديث حق.

قال أبو حامد الخراسانى القاضى: بنى ابن عبد السلام الهاشمى بالبصرة داراً كبيرة، ولم يتم له تربيعها إلا بسكن لطيف كان لعجوز فى جواره امتنعت من بيعه، فبذل لها أضعاف ثمنه، فأقامت على الامتناع، فشكا إلى ذلك، فقلت: هذا أيسر الأمر. أنا أوجب عليها بيعه فاضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن، ثم استدعيتها، فقلت: يا هذه، إن قيمة دارك دون مادفع لك وقد ضاعفها أضعافاً، فإن لم تقبليه حجزت عليك، لأن هذا تضييع منك، فقالت: جعلت فداك، فهلا كان هذا الحجر منك على من يزن فيما يساوى درهماً عشرة وتركت منزلى، فما أختار بيعه، فانقطعت فى يدها.

قال نزل رجل من أهل الحجاز مللاً فسأل أى ماء هذا؟ فقيل له: ملل، وإذا بين يديه صبية سوداء تلفظ العجم تريد النوى، فقال: قاتل الله الذى يقول:

أخذت على ماء الشعيرة والهوى   على ملل يا لهف قلبى على ملل

فقالت: أى بأبى أنه والله كان له بها شجن لم يكن لك.

قال المبرد: كان يسار الكواعب عبد الأناس من بنى الحرث بن سعد بن قضاعة، وكان راعياً فى إبلهم، فبعث ببعض نسائهم، وكان

أسود، فخدعته امرأة منهم، وأرته أنها قد قبلته وواعدته ليـوم، فعلـم بـه بعض أصحابه من الرعاة، فنهاه عنها، وقال له يا يسارا كل من لحم الجوار، واشرب مـن لبن العشار، ودع منك بنات الأحرار، فقال له يسار: إنى إذا جئتها زحكت أراد ضحكت ولاعبتنى، فأتاها فى اليوم الذى واعدته فيه، فقالت: مكانك حتى أطيبك، فعمدت إليه، فجدعت أنفه وأذنه، فرجع إلى صاحبه الذى كان نهاه، فأنكره، فقال: من أنت ويلك؟ قال: يسار. قال: فيسار كان لا أنف له ولا أذنين؟ قال: أفما ترى ويحك وبيض العينين، فذهبت مثلاً وسمى يسار الكواعب ممن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى نساء بنى شيبان، وزاد فى مهرها، فعيره جرير بذلك فقال:

وإنى لأخشى إن خطبت اليهمو عليك الذى لاقى يسار الكواعب

قال ابن قتيبة: جاءتنى جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك إنى لا أقبل الهدية، قالت: ولم؟ قلت: أخشى أن يستمد منى علماً لأجل هديته، فقالت: استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر، وقد كان يقبل الهدية، فقبلتها، فكانت الجارية أفقه منى.

قال وبلغنا أن رجلاً ابتلى بمحبة امرأة، فأتى أبا حنيفة، فأخبره أن ماله قليل، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه، فقال له أبوحنيفة: أتبيعنى أحليلك بأثنى عشر ألف درهم؟ قال: لا. قال: فأخبر القوم أنى أعرفك، فمضى فخطبها، فقالوا: من يعرفك؟ فقال: أبوحنيفة، فسألوا أباحنيفة عنه، فقال: ما أعرفه إلا أنه حضر عندى يوماً فساوم فى سلعة له بأثنى عشر ألف درهم، فلم يبع، فقالوا: هذا يدل على أنه ذو مال،

فزوجوه، فلما تيقنت المرأة من حاله قالت: لا يضيق صدرك وهذا مالى بحكمك، ثم مضت إلى أبى‌حنيفة فى حليها وحللها فقالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها، فقال: تسترى، فقالت: ما يمكن قد وقعت فى أمر لا يخلصنى منه إلا أنت. أنا بنت هذا البقال الذى على رأس الدرب، وقد بلغت عمراً واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجنى، ويقول لمن يخطبنى ابنتى عوراء قرعاء شلاء، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها. ويقول: ابنتى زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرنى، فقال: ترضين أن تكونى لى زوجة؟ فقبلت قدميه، وقالت: من لى بغلامك، فقال امضى: فى دعة الله، فخرجت، فحضر البقال ودفع إليه خمسين ديناراً وقال: زوجنى ابنتك، فكتب كتاباً بمائة دينار، فقال البقال: يا سيدى، استر ما ستر الله أنا لى بنت أزوجك. قال: دع هذا عنك رضيت بابنتك القرعاء الشلاء الزمنة، فزوجه على المائة والخمسين ومضى، فحدث زوجته فقالت: والله لا كان إلا يكون هذا إلا على يد أبى‌حنيفة، فلما كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها فى صن وحملها بينه وبين غلامه، فلما رآها أبوحنيفة قال: ما هذا؟ فقال البقال: أشهد على أمها إن كانت لى بنت غيرها، فقال أبوحنيفة: هى طالق ثلاثاً أعد علىّ الكتاب، ثم جاءت تلك المرأة إليه، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

قال أبو الحسن البيبى مؤذن المسترشد بالله قال: حدثنى بعض التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى فى جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يوماً نتحدث، وإذا بامرأة بقربنا فى

أصل سارية، فقال لها رجل من التجار من البغداديين: ما شأنك؟ فقالت: أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين، ولم أسمع له خبراً، فتصدت القاضي ليزوجني، فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلاً غريباً يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج أو يقول أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة، وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطيني ديناراً حتى أصير معك إلى القاضي وأذكر له أني زوجك، وأطلقك، فبكت وقالت: والله ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات، فأخذها منها ومضى معها إلى القاضي، وأبطأ علينا، فلما كان من الغد لقيناه، فقلنا: ما أبطأك؟ فقال: دعوني فإني حصلت في أمر ذكره فضيحة. قلنا أخبرنا: قال: حضرت معها إلى القاضي فادعت عليّ الزوجية والغيبة عشر سنين، وسألت أن أخلي سبيلها، فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي: أتبرئينه؟ قالت: لا. والله لي عليه صداق ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لي القاضي: أديها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها، فورد عليّ ما بلسني، ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها، فلا أصدق، فتقدم القاضي بتسليمي إلى صاحب الشرطة، فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني، ومثلها من عندي، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر، فلم يعرف له خبر.

قال: ونقل من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: حكى لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزار أعزب إلى أن أمست، فلما أراد غلق الدكان تراءت له، فقال لها: ما هذا المساء؟

فقالت: والله ما لى مكان أبيت فيه. فقال لها: تمضين معى إلى البيت؟ فقالت: نعم، فمضى بها إلى بيته، وعرض عليها التزويج، فأجابت، فتزوجها، وبقيت عنده أياماً، وإذا قد جاء فى اليوم الرابع رجل ومعه نسوة، فطلبوها، فأدخلهم وأكرمهم، وقال: من أنتم منها؟ فقالوا: أقاربها ابن عم وبنات عم، وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربنا، فدخل إليها، فقالت: لا تجبهم إلى ذلك وأحلف بطلاقى إنك لا خرجت من دارى شهر ليمضى زمن العرس، فإنه أصلح لى ولك، وإلا أخذونى وأفسدوا قلبى عليك، فإنى كنت غضبى وتزوجت إليك بغير مشاورتهم، ولا أدرى من قد دلهم إليك، فخرج فحلف كما ذكرت له فخرجوا مأيوسين، وأغلق الباب وخرج إلى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة، فخرجت ولم تستصحب من الدار شيئاً، فجاء فلم يجدها، فقال قائل: ترى ما الذى قصدت؟ قال أبو الوفاء لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثاً، فليتخوف الإنسان من مثل هذا، وليطلع به على غوامض حيل الناس.

الباب الثاني والثلاثون
فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه كلام الآدميين

أخبرنا أبو سعيد، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى أحد جناحى الذباب داء وفى الآخر شفاء وأنه ليتقى بالذى فيه الداء فإذا وقع فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه».

وعن أبى صالح، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «أن رجلاً كان يبيع الخمر فى سفينة، وكان يشوبه بالماء، وكان معه فى السفينة قرد، فأخذ القرد الكيس الذى فيه الدنانير، فصعد ذروة الدقل، ففتح الكيس، فجعل يلقى فى البحر ديناراً وفى السفينة ديناراً حتى لم يبق فيه شىء».

قال محمد بن ناصر: قدم رجل على بعض السلاطين، وكان معه عامل أرمينية منصرفاً إلى منزله، فمر فى طريقه بمقبرة، وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر كلب، فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا. فإن فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها وسأل أهلها، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة، فسأله، فقال: كان فى هذه الناحية ملك عظيم الشأن، وكان مشتهراً بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد رباه لا يفارقه، فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن فقد اشتهيتها، فأصلحوها ومضى منتزهه، فر[illegible] الطباخ، فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة، ونسى أن يغطيها بشىء، واشتغل بطبخ أشياء أخر، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى فكرع فى

ذلك اللبن، ومج فى الثردة من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله، ولو كان فى الأفعى حيلة لدفعها، وكان هناك جارية طفلة خرساء زمنة. قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار، فقال: يا غلمان، أول ما تقدمون إلى الثردة، فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه، فلم يفهم ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفت إليه، ولج فى الصياح، فلم يعلم مراده، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمى فى كل يوم، فلم يقربه ولج فى الصياح، فقال للغلمان: نحوه عنا، فإن له قصة ومد يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل ظفر إلى وسط المائدة، وأدخل فمه الغضارة وكرع من اللبن، فسقط ميتاً وتناثر لحمه، وبقى الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، ففهموا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من فدانى بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيرى، فدفنه وبنى عليه قبة، وكتب عليها ما قرأت.

قال أبو عثمان المدائنى: كان فى جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب، فأسحر يوماً فى حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه، فرده، فلم يرجع، فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فخرج الكلب وقد لحقته جراحة، فجاء إلى بيت صاحبه يعوى، وافتقدت أم الرجل إبنها، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل قتل إبنها، وأنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم، فطردت الكلاب عن بابها، فلزم ذلك الكلب طلب القاتل، فاجتاز القاتل وهو رابض، فعرفه فنهشه وعلق به، فاجتهد المجتازون فى تخليصه منه، فلم يمكنهم، وارتفعت ضجة وجاء

حارس الدرب، فقال: إنه لم يعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضية، ولعله الذى جرحه، وخرجت أم القتيل، فرأت الكلب متعلقاً بالرجل، وسمعت كلام الحارس، فذكرت بأن هذا الرجل مما كان يعادى ابنها، فوقع فى نفسها أنه قاتله، فتعلقت وادعت عليه القتل، وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد أن ضرب ولم يقر، ولزم الكلب باب الحبس، فلما كان بعد أيام أطلق الرجل، فلما خرج علق به الكلب، ففرق بينهما وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته، فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم، فكبس الدار، فأقبل الكلب بمخالبه موضع القتيل، فنبش فوجد الرجل، فضرب المتهم، فأقر على نفسه وعلى الباقين، فقتل وصلبوا.

وحدثنا محمد بن الحسين بن شداد قال: رأيت رجلاً له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه، فسألته عن السبب، فقال: كان لى رفيق يعاشرنى، فخرجنا فى سفر، وكان وفى وسطى هميان فيه جملة دنانير، ومعى متاع كثير، فنزلنا فى موضع، فعمد إلىّ فأوثقنى كتافاً، ورمى بى فى واد، وأخذ ما كان معى ومضى، وقعد هذا الكلب معى، ثم تركنى ومضى، فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف، فطرحه بين يدى، فأكلته ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معى باقى ليلتى، ثم نمت ففقدته، فما كان بأسرع أن وافانى ومعه رغيف فأكلته، فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى، فقلت يمضى ويجيئنى بالرغيف، فجاء ومعه الرغيف، فرمى به، فلم أستتم أكله إلا وابنى يبكى على رأسى، وقال: ما تصنع ههنا، وما قصتك، ونزل وحل كتافى، وأخرجنى، فقلت له: من أين علمت

بمكاني ومن دلك عليّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على أسمه، فلا يأكله وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه ولست معه، وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك. فهذا خبرى وخبر الكلب.

قال: كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، فعبث أحدهم بزوجته، وأرسلها، وكان للحرث كلب قد رباه، فخرج الحرث فى بعض منتزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل، وجاء إلى زوجته فأقام عندها، فلما جامعها وثب الكلب عليهما، فقتلهما، فلما رجع الحرث نظر إليهما فعرف القصة، وترك من كان يعاشره، واتخذ كلبه نديماً، فتحدث به العرب، فأنشأ يقول:

فللكلب خير من خليل يخونني	وينكح عرسى بعد وقت رحيلى
سأجعل كلبى ما حييت منادمى	وأمنحه ودى وصفو خليلى

وقال ابن عبيدة: خرج رجل من البصرة، فاتبعه كلب، فوثب بالرجل قوم، فجرحوه ورموه فى بئر وحثوا عليه التراب، فلما انصرفوا أتى الكلب رأس البئر، فيحث حتى ظهر رأس الرجل، وفيه نفس يتردد، فمر قوم فأخرجوه حياً.

قال ابن خلف: وحدثنى بعض أصدقائى قال: دخلت بستاناً ومعى كلبان لى قد ربيتهما، فنمت فإذا هما ينبحان، فانتبهت، فلم أر شيئاً أنكره، فعاودوا النبح فضربتهما ونمت، فإذا بهما يحركانى بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم، فوثبت فإذا أسود سالخ قد قرب منى ووثبت فقتلته فكانا سبب سلامتى.

قالت الحكماء: ومن فطنة الكلب أنه إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المعتل وغير المعتل والذكر من الأنثى، فلم يقصد الصيد فيها إلا الذكر، وإن علم أنه أشد عدواً وأبعد وثبة، ويدع الأنثى على نقصان عدوها وسبب ذلك أنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين حقن ببوله، وهكذا كل حيوان إذا فزعه، فإنه يدركه الحقن، وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو، فيثقل حينئذ عدوه ويقصر مدى خطاه، فيلحقه الكلب، وأما الأنثى فإنها تحذف بولها لسعة السبيل وسهولة المخرج، فتصير بذلك أدوم.

ومن فهم الكلب أنه إذا خرج الجليد والثلج، وقد تراكم على الأرض والكلاب لا تدرى حينئذ أين كناس الظبى، وأين جحر الأرنب، فيفر الكلب وينظر، إلى أن يقف على تلك الجحرة، وظنين معرفته أن أنفاس الحيوانات وبخار أجوافها يذيب ما لاقى من فم الجحر من الثلج الجامد، حتى يرق وذلك خفى غامض لا يقع عليه إلا الكلب، وإن الكلب إذا ظفر بشخص لم ينجه منه إلا أن يقعد بين يديه ذليلاً، فحينئذ لا ينبحه لأنه يراه تحت قدرته فيسمه بميسم ذل.

حدثنا أبو بكر بن الحضنة، عن مؤدبه أبى طالب المعروف بابن الدلو، وكان رجلاً صالحاً يسكن نهر طابق أنه كان ليلة من الليالى قاعداً ينسخ. قال: وكنت ضيق اليد، فخرجت فأرة كبيرة، فجعلت تعدو فى البيت، ثم خرجت أخرى وجعلا يلعبان بين يدى طاسة، فكفيتها فى إحداهما، فجاءت الأخرى، فجعلت تدور حول الطاسة، وأنا ساكت، فدخلت السرب، فخرجت وفى فيها دينار صحيح

وتركته بين يدى، فاشتغلت بالنسخ وقعدت ساعة تنتظر، ثم رجعت فجاءت بدينار آخر وقعدت ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة وقعدت زماناً أطول من كل نوبة، ورجعت فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقى شئ، فرفعت الطاسة ففرتا، فدخلتا البيت وأخذت أنا الدنانير.

قال محمد بن عجلان مولى ابن زياد قال: دخل زياد مجلسه ذات يوم، فإذا هو بهر فى زاوية البيت، فذهبت أزجره، فقال: دعه فأرى ما له، ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى مجلسه، ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه كل ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ، فوثب عليه الهر، فأخذه، فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر، فإنه يظفر بها.

قال القاسم بن أبى طالب التنوخى: كنت ماضياً إلى الأنبار فى رفقة بازيانية للسلطان، فأطلقوا بازاً على دراج، فطار، فلحق الدراج فانتهى الدراج إلى غيضة فدخلها فألقى نفسه بين شوك كان فيها، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين فى رجليه، ونام على قفاه ورفع رجليه، فاستتر بذلك من البازى، فلما قرب منه البازى طار، فصاده البازى، فقالوا ما رأينا دراجاً قط أحذر من هذا.

قال المصنف: والعرب تقول أحذر من غراب، وأحذر من عقعق، وأحذر من ذئب، ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذره أنه يزاوج بين عينيهن إذا نام فيفتح إحداهما لتكون حارسه.

قال حميد بن هلال فى الذئب:

ينام بإحدى مقلتيـــه ويتقـــى باخرى الأعادى فهو يقظان هاجع

قال العسكرى: هذا محال لأن النوم يأخذ جملة العين.

قال مؤلف الكتاب: أرادوا بذلك أن يغمض عيناً عند بداية النوم، ويفتح عيناً إلى أن يغلب عليه النوم، فيكون الكلام صحيحاً.

ويقولون: احذر من ظليم، وهو ذكر النعام.

روى عن ابن الأعرابى، عن هشام بن سالم قال: أكلت حية بيضة مكاء، فجعل المكاء يشرشر على رأسها، ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده، وهمت به ألقى في فيها حسكة، فأخذت بحلقها حتى ماتت.

وروينا أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون فى ضيافتي. قال سليمان: أنا وحدى؟ قال: لا. بل العسكر كله فى جزيرة كذا في يوم كذا، فمضى سليمان إلى هناك، فصعد الهدهد إلى الجو، فصاد جرادة وخنقها، ورمى بها فى البحر، وقال: يانبى الله، إن كان اللحم قليلاً فالمرق كثير، فكلوا من فاته اللحم ناله المرق، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً.

قلت من أحوال الحيوان البهيم، وأفعاله الدالة على الفطنة أن العصافير لا تقيم إلا فى دار مسكونة، فإن هجرها الناس لم تقم، وأما الهرة، فإنها تألف الدار، وإن رحل أهلها والكلب يرحل مع أهل الدار، ولا يلتفت إلى الدار، ومتى طرقت العصافير آفة استغاثت، فأغاثها كل عصفور يسمع، إلا جاء، فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم،

فيحدثون له بذلك قوة وحركة حتى يطير معهم.

قال بعض الصيادين: ربما رأيت العصفور على حائط، فأومى بيدى إلى الأرض، كأننى أتناول شيئاً، فلا يتحرك، فإن مسست بيدى حصاة طار قبل أن تتمكن منها يدى.

الحمام: إذا علم الذكر أن الأنثى قد حملت اشتغل هو وهى بعمل العش، وأشخصا لها حروفاً تحفظ البيض، ثم سخناها ونفيا عنها طباعها، وأحدثا لها طبيعة أخرى مستخرجة من رائحة أبدانها، ثم يقلبان البيض فى الأيام، فتأخذ البيضة نصيبها من الحضن، وساعات الحضن أكثرها على الأنثى كالمرأة التى تكفل الحضانة، فإذا صار البيض فراخاً كان أكثر الزق على الذكر، ومتى انصدع البيض علما أن حواصل الفراخ لا تتسع للغذاء، فينفخان الريح فى حلوقهما لتنتفخ الحوصلة وتتسع، ثم يعلمان أنه لا يصلح أن يزق الطعام، فيزقان اللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعام كاللبا، ثم يعلمان أن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية، فيأكلان من سورج الحيطان، وهو شئ بين الملح الخاص وبين التراب المالح، فيزقانه، فإذا علما أنه قد اشتد زقاه الحب، فإذا علما أنه قد أطلق أن يلقط منعاه بعض المنع، ليحتاج إلى اللقط، فيعوده، فإذا علما أنه قد قوى على ذلك ضرباه إذا سألهما الكفاية، ومنعاه، ثم يبتدئان لغيره، فيبتدىء الذكر بالدعاء، وتبتدىء الأنثى بالتأنى والأستدعاء، ثم ترفق وتتشكل، ثم تمتنع فتحجب، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف.

والتنين: إذا هلكت زوجته لم يتزوج، وكذلك هى والعنكبوت

تنسج بما هو سكنها شبكة للذباب، فإذا تعرقلت فيها صادها، ويروى أن الليث وهو صنف من العناكب يلطى بالأرض، ويجمع نفسه، ويرى الذباب أنه لاه عنه، ثم يثب وثوب الفهد فيصيدها.

والثعلب: إذا عوزه القوت تماوت ونفخ بطنه، فيحسبه الطير ميتاً، فإذا وقع عليه وثب عليها.

والخفاش ضعيف البصر، فلا يطير إلا عند الغروب، لأنه وقت لا ضوء فيه يغلب بصره ولا ظلمة. والنملة، والذرّة تدخر في الصيف للشتاء، ثم تخاف على المدخر من الحبوب العفن، فتخرجه فتنشره ليضربه الهواء، وربما اختارت ذلك في ليالي القمر، لأنها فيه أبصر، فإن كان مكانها ندياً، وخافت أن تنبت نقرت وسط الحبة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان، وفلقتها نصفين فإن كان كزبرة فلقتها أربع، لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب، فهي من الشم ما ليس لشيء، وربما أكل الإنسان الجراد، أو ما أشبهه فتسقط من يده الواحدة، أو بعضها وليس بقربه ذرة فلا تلبث تقبل ذرة أو نملة قاصدة إلى تلك الجرادة، فتحاول نقلها إلى موضعها، فتعجز، فتكر راجعة إلى بيتها، فلا تلبث أن تقبل وخلفها كالخيط الأسود، فتتعاون، فتحملها، فأنظر إلى صدق الشم لما لا يشمه الإنسان، ثم إلى نقد الهمة إلى الجرأة في محاولة نقل شيء وزنها خمسمائة مرة أو أكثر أو أقل أن تلقى أخرى إلا وقفت معها وحدثتها، ويدل على كلامها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة النمل الآية رقم: ١٨.

ومن الحيات، ما يغمس ذنبه في الرمل وينتصب قائماً نصف النهار في شدة الحر، فيجئ الطائر فيكره الوقوع على الرمل لحره، فيقع على رأس الحية على أنها عود، فتقبض عليه. وزعم قوم أن الحية في بلادهم تأتي البقرة، فتنطوي على فخذها وتلتقم الثدي، فلا تستطيع البقرة أن تتزمزم فتمتص اللبن.

ومن فهم اليربوع لا يتخذ حجره إلا في كدوة وهو الموضع الصلب ليرتفع عن السيل، فيسلم من مجاري المياه ومدق الحافر، فيحفر في الصلابة ويعمق، ثم يتخذ في زوايا بيته القاصعاء والنافقاء والرامقاء والرهطاء بيوت قد اتخذها ورق أبوابها، فإذا أحس شراً دفع بعضها، وخرج ولما علم من نفسه أنه كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، ليكون إذا تباعد عن حجره لطلب طعمه أو خوف حسن اهتداؤه إليه.

والظبي لا يدخل كناسه إلا وهو مستدبر يستقبل بعينيه ما يخاف على نفسه وخشفه، والضبة تبيض ستين بيضة، ثم تسد عليهن باب حجرها، ثم تدعهن أربعين صباحاً، ثم تحفر عنهن، وقد انشق البيض. والنسر كثير الشره، فإذا امتلأ من الجيف لم يستطع الطيران، فيثب وثبات ويدور حول مسقطه مرات، ثم يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل الريح تحته فيرفعه.

والسنور يرى الفأرة في السقف فيحرك يده كالمشير لها بالعود، فتعود ثم يشير إليها بالرجوع فترجع، وإنما يطلب أن تنزلق، فلا يزال يفعل ذلك حتى تسقط.

والأسد ربما حبس العنز بيمينه وطعن بمخلب يساره فى لبته، وقد أقفاه على مؤخرته فيتلقى دمه شاخباً فى فيه، كأنه ينصب من فوارة، حتى إذا شربه واستفرغه شق بطنه.

والبق يخرج لطلب الرزق، فيعرف أن الذى يعيشه الدم، فإذا أبصر الجاموس علم أن خلف جلده غذاءه، فسقط عليه وطعن بخرطومه، وهو واثق بنفوذ سلاحه.

والعقاب: لا تكاد تعانى الصيد، بل تقف على موضع عال، فإذا اصطاد بعض الطير شيئاً انقضت عليه، فإذا أبصره لم يكن له همة إلا الهرب، وترك صيده فى يدها.

وكذلك الحية لا تحفر موضعاً تسكنه، ولا تهتم بذلك، بل تأتى إلى المكان الذى حفره غيرها، فتسكنه، فينفر عن ذلك المكان.

والإيل: يذهب قرنه فى كل عام، فإذا علم أنه قد هتك سلاحه لم يظهر من مخافة السبع، فإذا قام فى موضعه سمن، فيعلم أن حركته تبطئ، فيزيد فى استخفائه، فإذا ظهر قرنه تعرض للشمس والريح، وأكثر الحركة والذهاب ليذهب شحمه ولحمه، فإذا استقام قرنه عاد إلى عادته الأولى، وهو يأكل الحيات، فيعتريه عطش شديد، فيدور حول الماء ولا يحجزه عن ذلك، إلا علمه بأن الماء ينفذ السموم، فيسرع هلاكه.

وبيوت الزنابير مبنية من زبد المدود، والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البرئ، والعقاب إذا اشتكت كبدها من رفعها الأرنب والثعلب فى الهواء وحطها لذلك

مراراً، فإنها لا تأكل إلا من الأكباد حتى يبرأ وجعها. وإذا وضعت الفأرة والعقرب فى إناء زجاج قرضت الفأرة طرف إبرة العقرب، فسلمت من شرها، ثم قتلتها كيف شاءت. وإذا وضعت الدب الأنثى ولدها كان حينئذ كقدرة لحم غير مفهوم الجوارح، فخافت عليه الذر، فرفعته فى الهواء أياماً، وتحوله من موضع إلى موضع إلى أن يشتد.

والسمك إذا حصلت فى الشبكة ولم تستطع الخروج علمت أنه لا ينجيها إلا الوثوب، فتتأخر قدر رمح، ثم تقبل واثبة نحو عشرة أذرع فتخرق الشبكة.

والفهد إذا سمن علم أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت، فهو يخفى نفسه بجهده حتى ينقضى الزمان الذى يسمن فيه الفهود.

الباب الثالث والثلاثون
فى ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلا
على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

تقول العرب أحذر من غراب، ويقولون: قال الغراب لابنه إذا رميت فتلوص أى تلوى. ياأبت! انى أتلوص قبل أن أرمى.

قال الشعبى: مرض الأسد، فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب: أيها الملك، مرضت، فعادك السباع، إلا الثعلب، قال: فإذا حضر فأعلمنى، فبلغ ذلك الثعلب، فجاء فقال له الأسد: يا أبا الحصين، مرضت، فعادنى السباع كلهم، ولم تعدنى أنت، قال: بلغنى مرض الملك، فكنت فى طلب الدواء له، قال: فأى شئ أصبت، قال: قالوا لى خرزة فى ساق الذئب ينبغى أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، فانسل الثعلب وخرج، فقعد على الطريق، فمر به الذئب والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند السلطان، فانظر ما يخرج من رأسك.

قال الشعبى: أخبرت أن رجلاً صاد قنبرة، فلما صارت فى يده قالت: ما تريد أن تصنع بى؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: ما أشفى من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلى. أما واحدة أعلمك وأنا فى يدك، والثانية على الشجرة، والثالثة على الجبل. فقال: هات الواحدة. قالت: لا تلهفن على ما فاتك. قال: فلما صارت على الشجرة. قال لها: هات الثانية. قالت له: لا تصدق بما لا يكون أن يكون، فلما صارت على الجبل. قالت له: يا شقى لو

ذبحتنى أخرجت من حوصلتى درتين فى كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعض على شفتيه، وتلهف، ثم قال لها: هات الثالثة: قالت: أنت قد نسيت إثنين، فكيف أحدثك الثالثة. ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون أن يكون، أنا وريشى ولحمى لا أكون عشرين مثقالاً. قال: وطارت فذهبت.

حدثنا عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: نصب رجل من بنى اسرائيل فخاً من ناحية الطريق، فجاء عصفور فسقط، ثم انطلق إلى الفخ، فقال للفخ: ما لى أراك متباعداً عن الطريق؟ قال: أعتزل شرور الناس. قال: فما لى أراك ناحل الجسم؟ قال: انحلتنى العبادة، قال: فما هذا الحبل على عطفيك؟ قال: المسوح والشعر لبس الرهبان والزهاد. قال: فما هذه العصا فى يدك؟ قال: أتوكأ عليها. قال: فما هذه الحبة فى فيك؟ قال: رصدتها لأبن السبيل أو محتاج. قال: فأنا ابن سبيل ومحتاج. قال: فدونك. قال: فوضع العصفور رأسه فى الفخ فأخذ بعنقه، فقال العصفور: سيق سيق، ثم قال: لا غرنى بعدك قارئ مرائى مرة أخرى.

قال مجاهد هذا مثل ضربه الله عز وجل لقراءة مرائين فى آخر الزمان.

قال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخاً ونصب فيه برة، فجاء عصفور، فقال: ما غيبك فى التراب؟ قال: التواضع، قال: لأى شئ نحلت؟ قال: من طول العبادة. قال: فما هذه البرة المنصوبة فيك؟ قال: أعددتها للصائمين، فقال: نعم الخبر أنت فلما

كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ، فقال العصفور: العبادة تخنق كخنقك، فلا خير حينئذ فى العبادة بعد اليوم.

قال حدثنا المعافي ابن زكريا قال: زعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا، فخرجوا يتصيدون، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد: للذئب: أقسم بيننا صيدنا. قال: الأمر أبين من ذلك الحمار لك، والأرنب لأبى معاوية، والظبى لى، قال: فخبطه الأسد، فأندر رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، ثم قال: هات أنت. قال الثعلب: يا أبا الحارث، الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغذائك، والظبى لعشائك، وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك، قال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذه القضية، قال: رأس الذئب النادر بين عيني.

وذكر الحكماء فى أمثالهم قالوا: قيل للذئب ما بالك تعدو أسرع من الكلب؟ فقال: لأنى أعدو لنفسى والكلب يعدو لصاحبه.

وذكر أبو هلال العسكرى قال: قالت العرب وجدت الضبع تمرة فاختلسها الذئب فلطمته لطمة، فتحاكما إلى الضب، فقالت: يا أبا الحسيل. قال: سميعاً دعوت.قالت: جئناك نحتكم إليك. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت: إنى التقطت تمرة. قال: حلواً جنيت. قالت: إن الثعلب أخذها، قال: حظ نفسه بغى. قالت: لطمته، قال: أشفيت والبادى أظلم. قالت: فلطمني، قال: حر انتصر لنفسه، قالت: اقض بيننا. قال: قضيت.

قالوا حدث المخاطب حديثين، فان لم يفهم فأربعة، قال

العسكرى المعنى إن لم يفهم حديثين كان ممن لا يفهم أربعة: أقرب. قال، وقال بعض الحكماء: إنما هو فأربع أى أمسك، وذلك غلط، قالوا: وصادت حدأة سمكة فهمت ببلعها، فقالت لا تفعلى، فانك أن أكلتينى لم أشبعك، ولكن استحلفينى بما شئت اننى آتيك كل يوم بسمكة، ففتحت فاها لتحلفها، فانسابت منها، فقالت: ارجعى، فقالت: ما رأيت فى مجيئى إليك خيراً فأعود.

قالوا وكان رجل فى صحراء فعرض له الأسد، فهرب منه فوقع فى بئر، فوقع الأسد خلفه، فإذا فى البئر دب، فقال له الأسد منذ كم وأنت ههنا؟ قال: منذ أيام وقد قتلنى الجوع، فقال الأسد: أنا وأنت نأكل هذا، وقد شبعنا فقال الدب: فإذا عاودنا الجوع، فما نصنع؟ وإنما الرأى أن نحلف له أننا لا نأذيه ليحتال لخلاصنا وخلاصه، فإنه أقدر على الحيلة منا فحلفا له، فأخذ فى التحيل، فلاح له ضوء، فنقب فخرج به إلى فضاء فتخلص وخلصهما.

قال كان أبو أيوب المرزبانى، وهو وزير المنصور إذا دعاه يصفر ويرعد، فإذا خرج من عنده عاد لونه، فقالوا له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى امير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه، فقال: مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا، فقال البازى للديك: ما أعرف أقل وفاء منك؟ قال: وكيف؟ قال: تؤخذ بيضة، فيحضنك أهلك، وتخرج على أيديهم، فيطعمونك بأكفهم، حتى إذا كبرت صار لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا، وصحت ههنا، فإن علوت حائطاً كنت فيها سنين طرت منها وتركتها، وصرت إلى غيرها، وأنا أؤخذ

من الجبال وقد كبر سنى، فأطعم الشئ اليسير، وأوثق يوماً أو يومين، ثم اطلق على الصيد فأطير وحدى، فآخذه وأجئ به لصاحبى، فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة، أما أنك لو رأيت بازين فى سفود ما عدت إليهم أبداً، وأنا كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكاً وأبيت معهم، فأنا أوفى منك، ولكن لو عرفتم من المنصور ما أعرف، لكنتم أسوأ حالاً منى عند طلبه إياكم.

قالوا: ورأت الضبع ظبية على حمار، فقالت: أردفينى فأردفتها، فقالت: ما أفره حمارك، ثم سارت يسيراً فقالت: ما أفره حمارك، فقالت الظبية: انزلى قبل أن تقولى ما أفره حمارى.

قالوا: وصادت الضبع ثعلباً، فقال الثعلب مِنى على أم عامر، فقالت: خيرتك خصلتين إما أن آكلك، وإما أن أوكلك؟ فقال الثعلب: أما تذكرين أم عامر التى نكحت فى دارها؟ فقالت الضبع: متى ذا؟ فانفتح فوها فأفلت الثعلب.

قالوا: وأولم طائر وليمة، فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعض رسله، فجاء إلى الثعلب، فقال: أخوك يدعوك. فقال: السمع والطاعة، فلما رجع أخبر الطائر، فاضطربت الطيور، وقالوا: أهلكتنا وعرضتنا للحتف. فقالت القنبرة: أنا أصرفه عنكم بحيلة، فمضت، فقالت: أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك: الوليمة يوم الإثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك من الكلاب السلوقية، أو مع الكلاب الكردية، فتجرعها الثعلب، وقال: أبلغى أخى السلام وقولى له: أبو سرور يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لى نذر منذ دهر بصوم الإثنين والخميس.

قال أبو عمير الصورى: مر تيس بزق، ففر منه، فقال له الزق: تنفر منى مثلك كنت ومثلى تكون، قال أبوسليم الخطابى: من أمثلتهم قولهم لا أريد ثوابك أكفنى عذابك، ومثله قول الشاعر:

كفانـــي الله شرك يا خليلـــي فأمـا الخيـر منـك فقـد كفانى

قال أبو سليمان: نظيره قولهم يدك عنى وأنا فى عافية، وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم: إن فأرة سقطت من السقف، فظفرت الهرة بحملها تقول بسم الله عليك، فقالت الفأرة: يدك عنى وأنا فى عافية.

قال المصنف رحمه الله: أسمعت على بن الحسين الواعظ، يحكى أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مر على حواء يطارد حية، ليأخذها، فقالت الحية: يا روح الله، قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضرباً أقطعه قطعاً، فمر عيسى عليه السلام، ثم عاد وإذا الحية فى سلته، فقال لها عيسى: ألست القائل كذا وكذا فكيف صرت معه؟ فقالت: يا روح الله، إنه حلف لى، فلئن غدرنى فسم غدره أضر عليه من سمى، والله الموفق للصواب.

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون



فهرس الكتاب